ماهر شرف الدين

مفاتيح



مفاتيح

٢

ماهر شرف الدين

مفاتيح

سياسة

الطبعة الأولى، 2021

منشورات ماهر شرف الدين

ISBN: 978-0-9995375-3-4

مقالات مختارة

واكبتْ الثورة السورية

بين عامَيْ 2018 - 2021

«مفاتيح» هو اسم زاوية الكاتب في موقع «زمان الوصل»
والتي نُشِرَ فيها الجزء الأكبر من مقالات هذا الكتاب.

شيفرا آل الأسد - إسرائيل (1)
بشار يراسل نتنياهو

بعد يومَيْن كاملَيْن، وبعد ضجَّةٍ لا يمكن تجاهلها، اضطرَّت «الهيئة العامَّة للإذاعة والتلفزيون» للخروج ببيان اعتذار عمَّا أسمته «خطأً»، بسبب بثِّ قناة «سبورت 24» (التابعة للنظام) فقرةً مطوَّلةً لفريق الجمباز الإسرائيلي، مع ظهور العلم الإسرائيلي بوضوح، ومع كتابة اسم إسرائيل بحروف كبيرة.

بالطبع ليس السهو أو الإهمال هما اللذان أدَّيا إلى ما حدث، كما يزعم البيان. فما عرضته القناة ليس لقطةً سريعةً في بثٍّ مباشرٍ، بل فقرة كاملة في برنامج خضع للمونتاج قبل بثِّه!

وإذا أخذنا على محمل الجدِّ وعيدَ البيان بالمحاسبة، فعلينا أن نتخيَّل إذاً أن القائمين على التلفزيون سيضطرّون إلى محاكمة بشار الأسد نفسه!

لأنَّ قراراً كهذا بتغطية نشاط رياضي إسرائيلي على شاشة رسمية، وبهذه «الحفاوة»، لا طاقة لمسؤول سوري عادي على تحمُّل

تبعاته، سواء أكان مديراً للقناة أو مديراً لـ«الهيئة العامة».

فمثل هذا القرار لا يمكن أن يصدر إلَّا عن الدائرة الضيِّقة للعائلة الحاكمة، تماماً كما حصل في بداية الثورة السورية حين قام رامي مخلوف، ابن خال بشار الأسد، بإعطاء تصريحه الشهير لجريدة «نيويورك تايمز» والذي ربط فيه أمن إسرائيل ببقاء النظام: «لن يكون هناك استقرار في إسرائيل ما لم يكن هناك استقرار في سوريا».

والحقّ أنه في كلِّ ما يتعلَّق بالإشارات المتبادلة بين آل الأسد وإسرائيل، علينا ليس فقط استبعاد «حُسن النيَّة» من المسألة، بل طردها ورجمها بالحجارة إذا استطعنا.

لقد نجح الأسد الأب في صنع شيفرا خاصة بينه وبين إسرائيل تُغنيه عن التواصل المباشر، وقد سبق أن تحدَّثتُ عن ذلك في أحد لقاءاتي التلفزيونية قبل سنوات. وهذه الطريقة في تشفير الرسائل، والتي كان ظهورها الأوَّل والفاقع في نصّ البلاغ العسكري رقم 66 الذي أعلن سقوط القنيطرة قبل أن تسقط فعلياً، استمرَّت منذ ذلك الوقت بطرق وأشكال مختلفة.

ولشرح فكرة هذه الشيفرا الخاصة التي ابتكرتها عائلة الأسد ومرَّرتها تحت غبار الشعارات، ليس لديَّ ما هو أفضل من مثال قرية الغجر (العلوية) في الجولان المحتل.

وإليكم المثال:

شيفرا قرية الغجر

بعد صدور قرار الضمّ الإسرائيلي للجولان السوري المحتلّ سنة 1981، والمسمَّى «قانون الجولان» والذي ينصُّ على «فرض القانون والقضاء والإدارة الإسرائيلية»، تظاهرَ سكَّان جميع القرى المحتلَّة (مجدل شمس، مسعدة، بقعاتا، عين قنية) ضدَّ هذا القانون رافضين تسلُّم الهوية الإسرائيلية، ومعلنين الإضراب العام... باستثناء قرية واحدة هي قرية الغجر، والتي هي -ويا للمصادفة!- القرية الجولانية الوحيدة التي ينتمي سكَّانها إلى الطائفة الدينية ذاتها الذي ينتمي إليها رئيس البلاد آنذاك حافظ الأسد!

مئة في المئة من سكَّان قرية الغجر (العلوية) تسلَّموا الهوية الإسرائيلية، بحسب السجلَّات الرسمية... في حين رفضها معظم سكَّان القرى الأخرى!

كان التلفزيون السوري الرسمي يُغطِّي تظاهرات الجولان الرافضة للهوية الإسرائيلية ويبثُّ الأغاني الحماسية... في حين كان أبناء القرية العلوية الوحيدة في الجولان قد تسلَّموا -وعن طيب خاطر- تلك الهوية، وبنسبة مئة في المئة!

إنَّ السؤالَ الأهمَّ الذي تطرحه هذه الحادثة التاريخية يتعلَّق بهذه النسبة تحديداً: مئة في المئة. فهل من المعقول أن حافظ الأسد الذي كاد أن يصل إلى رتبة القداسة لدى أبناء تلك القرية الصغيرة لم يستطع أن يمون على جزء بسيط من سكَّانها فيطلب منهم المماطلة على الأقلّ في استلام الهوية الإسرائيلية؟!

بل هل من المعقول أن حافظ الأسد، بكلِّ ثقله السياسي والطائفي يومذاك، فشل في إقناع أيِّ أسرة من أُسَر تلك القرية بتأجيل قبول أفرادها بما رفض قبوله بقيةُ أبناء القرى؟!

بالطبع لا. وبالطبع فإن نسبة المئة في المئة التي حقَّقتها القرية العلوية الوحيدة في الجولان في قبول أبنائها لتسلُّم الهوية الإسرائيلية جاء بقرار أعلى من الأسد الأب، تماماً كما جاء قرار عرض الفقرة المطوَّلة لفريق الجمباز الإسرائيلي على شاشةٍ رسميةٍ بقرار أعلى من الأسد الابن.

إنها رسالة جديدة «مشفَّرة»... مع فارق أن مفاتيح شيفرتها، اليومَ، باتت في متناول الجميع.

موقع «زمان الوصل»، **29** تشرين الثاني **2018**

شيفرا آل الأسد - إسرائيل (2)

«تغريدة» حافظ الأسد

الكلام الأخير للرئيس الأميركي دونالد ترامب حول اعتراف الولايات المتحدة بـ«سيادة إسرائيل على الجولان»، إذا أمعنا النظر فيه، ليس إلا ترجمة متجدِّدة للبلاغ رقم 66 الذي أصدره وزير الدفاع حافظ الأسد بتاريخ 10 حزيران 1967 معلناً فيه سقوط القنيطرة قبل يوم واحد من سقوطها.

ترامب أعاد بتغريدةٍ على «تويتر»، ما فعله حافظ الأسد ببلاغ عسكري عبر الإذاعة السورية.

***

في كتابه «ستَّة أيام، كيف شكَّلت حرب 1967 الشرق الأوسط»، سجَّل الإسرائيلي جيرمي بَوِن خيانة تسليم الجولان بسطورٍ تقشعرُّ لها أبدان الوطنيين السوريين: «وصلنا إلى القنيطرة بدون أيٍّ عائق تقريباً. كان هناك غنائم في كلِّ مكان حولنا. كلُّ شيء كان ما يزال يعمل، فمحرِّكات الدبابات لم تتوقَّف، ومعدَّات

الاتصال ما تزال في وضعية التشغيل، وقد تمَّ التخلِّي عنها. لقد سيطرنا على القنيطرة دون قتال»!

كانت خيانة حافظ الأسد في «بيع الجولان» سنة 1967 مفضوحةً لدى السوريين إلى درجة أنهم ابتكروا، يومذاك، نكتةً شهيرةً تتحدَّث عن محاولة بعض النازحين الجولانيين التسلُّل إلى قراهم من أجل تهريب بعض قطع الأثاث من منازلهم، وحين اعتقلهم الجيش السوري تساءلوا باستغرابٍ: وهل باع الجولان مفروشاً؟!

الإسرائيليون أيضاً تفنَّنوا في صنع النكات حول هذه الخيانة الموصوفة، وقد جاءت النكتة الأكثر خبثاً (ومرارةً) على لسان أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة تل أبيب، البرفسور إيال زيسر، الذي سجَّل لحافظ الأسد الأسبقية في إصدار بلاغ يُعلن فيه عن «هزيمة لم تحصل»، على عكس الإذاعات العربية التي اشتهرت بإصدار بلاغات عن «انتصارات لم تحصل»!

ولكي يكون الولد «ابن أبيه» حقّاً، قام بشار الأسد باستكمال جريمة والده بتغييب الجولان نهائياً وراء ركام المدن السورية التي قام بتدميرها.

حُجبت الهضبة المطلَّة على الوطن الأمّ. وصار السوري ينظر

حوله فلا يرى ما هو أعلى من ركام بيته.

لقد حقَّق آل الأسد لإسرائيل ما لم يستطع أعظم قائد لها أن يحلم بتحقيقه: سلَّموها الجولان بلا قتال، ثمَّ دمَّروا الأجيال التي يقع على عاتقها تحريره.

لذلك فإنَّ سهام اللعنات التي يقوم بعض العرب بتصويبها إلى ترامب صاحب «الاعتراف الكيفيّ»، كان الأحرى بهم أن يُصوِّبوها إلى حافظ الأسد صاحب «الانسحاب الكيفيّ»، وإلى ابنه الذي نقل الجولان من مكانه في جنوب سوريا، إلى مكان بعيد، خلف ركام المدن المدمَّرة، بحيث لم يعد السوريون قادرين على رؤيته.

لقد كتب حافظ الأسد التغريدة الأصلية حول الجولان قبل نصف قرنٍ، وترامب لم يفعل شيئاً سوى أنه أعاد التغريد.

موقع «زمان الوصل»، **25** آذار **2019**

شيفرا آل الأسد - إسرائيل (3)
الغَزَل البصري

استهوتني، منذ زمنٍ، فكرةُ التقاط الإشارات التي يرسلها نظام آل الأسد لمغازلة إسرائيل، من الأبواب الخلفية، والتي سبق لي أن أسميتُها «شيفرا الأسد - إسرائيل».

منذ زمنٍ، أي منذ أن وعيتُ حقيقةَ الشعارات التي تمَّ استعباد الأجيال السورية بسياطها، بينما كان الواقع في المقلب الآخر.

وربما يذكر قرَّاء هذه الزاوية أنني ضربتُ العديد من الأمثلة عن تلك الشيفرا، وأبرزها ما جرى في قرية الغجر بالجولان، حيث قامت هذه القرية -التي ينتمي أبناؤها للطائفة التي ينتمي لها حافظ الأسد- بقبول الجنسية الإسرائيلية بنسبة مئة في المئة سنة 1981، بينما كان التلفزيون السوري الرسمي ينقل بحماسةٍ منقطعة النظير وقائعَ انتفاضة أهل الجولان رفضاً لهذه الهوية!

مناسبة هذا الكلام الآن، إشارة غزل جديدة أرسلها نظام آل الأسد إلى إسرائيل، ومن خلال أشهر الصناعات السورية: الدراما.

فعلى قناة «سما»، وفي الحلقة الأولى من مسلسل سوري حمل اسم «الساحر» (بطولة: عابد فهد وعبد الهادي الصبَّاغ)، تمَّ بثُّ مقطعٍ من أغنية شهيرة للمغنية الإسرائيلية زهافة كوهين.

وبالطبع لا يمكن، هاهنا، الحديث عن «خطأ عفوي» و«هفوة غير مقصودة» لأنَّ الكلام يدور عن مسلسل تلفزيوني يشترك في صنعه العشرات من الكوادر.

تماماً مثلما لم يكن الحديث عن «سهو» و«إهمال» ممكناً عندما قامت قناة «سبورت 24» (التابعة للنظام)، في تشرين الثاني 2018، ببثّ فقرة مطوَّلة لفريق الجمباز الإسرائيلي، مع ظهور العلم الإسرائيلي بشكل بارز، وكتابة اسم إسرائيل بالأحرف الكبيرة.

واللافت أن هذا الغزل «البصري»، إذا جاز التعبير، لم ينقطع طوال السنتَيْن الأخيرتَيْن. فكلُّنا يذكر كيف قام نظام آل الأسد، في السنة الفائتة، ومن دون سابق إنذار، بتسريب فيديو، لم يسبق لأحدٍ أن شاهده، لإعدام الجاسوس الإسرائيلي الشهير إيلياهو كوهين في دمشق سنة 1965 (سُرِّبَ الفيديو على صفحة فيسبوكية تحمل مُسمَّى «كنوز الفنون السورية»)!

حتى أنَّ زوجة كوهين عبَّرت عن دهشتها من تسريب هذا الفيديو ليعود إليها الأمل من جديدٍ باستعادة رفات زوجها.

وهكذا يتكامل الجانب البصري في هذه الشيفرا «الغَزَلية»: ما بين دراما عاطفية وعروض رياضية وفيديوهات توثيقية.

وكالعادة، وبعد كلِّ إشارة غزلية، يُقدِّم النظام وصلةً قصيرةً من الشجب المسرحي، تماماً مثلما فعل البارحة حين أخرج لنا «نقيب الفنانين» ليقول غاضباً عن مسلسل «الساحر» بأنه «من غير المقبول أن يتمَّ ترقيص الجيل على أنغام مغنِّية صهيونية».

موقع «زمان الوصل»، **17** أيَّار **2020**

«الرئيس الضرورة»... إسرائيلياً

لم يُخطئ الحدس الشعبي السوري في كلامه المستمرّ عن الحرص الإسرائيلي على مصير بشار الأسد.

وعلى الرغم من المبالغات الشعبية في تشخيص أسباب هذا الحرص، إلا أن الحقيقة التي باتت ناطقةً، حتى على أفواه مسؤولي الدولة العبرية، هي أنَّ بقاء الأسد هو بالفعل ضرورة إسرائيلية.

ما يجب الالتفات إليه في هذا الصدد هو أنَّ نقاش مصير أو مستقبل الأسد داخل الأروقة الإسرائيلية يختلف كلِّياً عن النقاشات الجارية بشأن هذَيْن المصير والمستقبل في أروقة الدول الأخرى. بمعنى أنَّ الأسد ليس رأس نظام يقاتل معارضيه، فيخسر أو ينتصر، بل هو لغمٌ كبيرٌ بقاؤه سيمنع قيام أيِّ حلٍّ سياسيٍّ يُـمهِّد لتعافي سوريا كدولةٍ.

وبالطبع لا يحتاج المرء إلى القول إنَّ قوَّة إسرائيل لا يمكن أن تقتصر على قواها الذاتية فحسب، فهي تحتاج إلى ضعف المحيط أيضاً. لأنها قوَّة مشروطة قوامها التوازن الحاصل بين قوَّة الذات

وضعف العدو.

وبهذا الحساب، الذي يقول بأنَّ نصف قوَّة إسرائيل يكمن في ضعف أعدائها - جيرانها، يصبح بشار الأسد، من وجهة النظر الإسرائيلية، أهمّ لإسرائيل من بنيامين نتنياهو الذي يمكن استبداله برئيس وزراء آخر، بينما لا يمكن استبدال الأسد بشخص آخر يستطيع القيام بما قام ويقوم به.

في الثوابت التاريخية للصراع العربي - الإسرائيلي، كانت دمشق على الدوام هي عاصمة المواجهة. ففلسطين ليست دولة شقيقة يجب نصرتها، أو أرضاً عربية سليبة يجب استعادتها، أو مكاناً مقدَّساً يجب تطهيره، بل هي -بكلِّ بساطة- سوريا الجنوبية. إنها أرض شاميَّة تدور في فلك دمشق، تماماً كما تدور أراضي حمص وحماة وحوران، وطبعاً الجولان.

تحييد سوريا بمعاهدة سلام، كما حصل مع مصر، لا يبدو كافياً بالنسبة إلى مستقبل إسرائيل. أصلاً لقد حيَّد آل الأسد سوريا عن الصراع من دون معاهدة.

تحييد سوريا، إسرائيلياً، لا يتمُّ إلَّا بتفكيكها، والذي هو على كلِّ حالٍ جزءٌ مهمٌّ من الحلم الذي وصفه كاتب سيرة ديفيد بن غوريون، ميخائيل بار زوهر، بأنه «حلم بن غوريون الذي لم

يتحقَّق»، والذي يبدو بأن بشار الأسد قد حقَّقه فعلاً.

لذلك، مع هبوب رياح الثورة السورية التي تمَّ تحويلها بقوَّة المجازر الرهيبة إلى حرب طاحنة، برز بشار الأسد، إسرائيلياً، كأداة لا مثيل لها لتحقيق الحلم الذي لا مثيل له.

فقد فهمَ الإسرائيليون جيِّداً بأنَّ الأسد هو عنوان الصراع الجاري في سوريا، وهو الحاجز الذي يحول دون الوصول إلى أيِّ حلٍّ. لذلك فبقاؤه في السلطة هو ضرورة إسرائيلية لاستمرار التفكُّك وديمومة الصراع الأهلي في سوريا. إنه ببساطةٍ ضمانةٌ لسوريا المفكَّكة والضعيفة؛ أي سوريا «المثالية» بالنسبة إلى إسرائيل.

في أدبيات «حزب البعث»، الذي حكم سوريا والعراق، اشتُهر مصطلح «القائد الضرورة» و«الرئيس الضرورة». والحقّ أنه لم يحدث يوماً أن كان ثمَّة شخصٌ، في سدَّة الحكم، يفي هذا المصطلح حقَّه مثلما هو حال بشار الأسد. فهو «الرئيس الضرورة»، ولكنْ إسرائيلياً.

موقع «زمان الوصل»، **28** حزيران **2019**

اتفاق إدلب (1)
أرنب بوتين في قبَّعة أردوغان

كلُّ اتفاقٍ يحقن دم السوريين هو اتفاقٌ موضع ترحيب. هذا من نافلة القول.

ولكن، مع هذا الترحيب، ينبغي على أصحاب الرأي تقديم رأيهم الصريح في الاتفاق، لتبيان مغازيه وفكِّ ألغازه، وإثبات أن مقولة «ما بين السطور» لـمَّا تزل مقولةً خالدةً.

***

فشلُ اللقاءات الروسية التركية قبل الاتفاق بأيام، جعل خروج هذا الاتفاق أشبه بالمفاجأة لعموم المراقبين.

ظهر أردوغان بمظهر الساحر الذي، وفي غفلةٍ من الجمهور، استطاع إخراج الأرنب من قبَّعته. لكنَّ مشكلة هذا الأرنب أنه أرنب بوتين وليس أرنبه هو. كان أرنب بوتين الذي اتفق الطرفان على خروجه من قبَّعة أردوغان.

كان الاتفاق مستحيلاً، ثمَّ صار ممكناً فجأةً بلا أي مقدِّمات.

مثل هذه المفارقة لها ترجمتُها في معجم السياسة: ثمَّة من قدَّم تنازلاً. وربما ثمَّة من قايض تنازلَه بمكسبٍ آخر.

ولكي نعرف من هي الجهة التي قدَّمت التنازل في الاتفاق، علينا التدقيق في الاستراتيجية العامَّة لكلا الطرفين: روسيا وتركيا.

الاستراتيجية الروسية في سوريا واضحة وثابتة، تتلخَّص في إعادة احتلال جميع المناطق السورية دون استثناء، مع إبقاء (واستعمال) بشار الأسد ونظامه كواجهةٍ لشكل حكم جديد في البلاد تكون لروسيا فيه اليد الطولى. يريد بوتين الإمساك بسوريا من أقصاها إلى أقصاها لأنه يعرف بأنها مفتاح أساسي لفتح الكثير من أبواب السياسة الدولية، بل إنها تكاد تكون الـ«ماستر كي» (المفتاح الذي يفتح جميع الأقفال). لذلك هو يريد، بالترهيب أو بالترغيب، بقصف الطيران أو باتفاقات المصالحة، أن يعيد احتلال كامل التراب السوري لتنفيذ استراتيجيته التي يظهر وضوحها وثباتها منذ اللحظة الأولى لقراره بالتدخُّل العسكري ومنذ تنفيذ سلاحه الجويّ غارته الأولى في سوريا بتاريخ 30 أيلول 2015.

في المقابل، تكاد الاستراتيجية التركية في سوريا أن تغيب -خصوصاً بعد كارثة تسليم حلب والتراجع الكبير في العمل العسكري المعارض- حتى لم يبقَ من هذه الاستراتيجية سوى ما

يمكن تسميته بـ«استراتيجية حفظ ماء الوجه». فأردوغان محاصر بجزمة من الأزمات الداخلية والخارجية (الاقتصادية في أزمة الليرة، والقومية في أزمة الكيان الكُردي الناشئ على الحدود، والدولية مع الولايات المتحدة بسبب أزمة القسّ الأميركي أندرو برونسون التي كانت ما تزال متفاعلةً أثناء مفاوضات الاتفاق مع روسيا...)، لذلك من الطبيعي أن تتراجع سوريا درجاتٍ عديدةً في سلَّم الأولويات التركي، لتقتصر على مسألتين اثنتين: الأولى ضمان عدم اكتمال مشروع الكيان الكُردي في سوريا، والذي نعتقد بأنه كان أبرز النقاط التي تمَّ التركيز عليها في كواليس المفاوضات مع الروس. والثانية حفظ ماء وجه تركيا أمام السوريين (وعموم شعوب العالم الإسلامي) وعدم إظهارها بمظهر المتخلِّي كلِّياً عن قضيتهم.

فإذاً، نحن في سوريا أمام استراتيجية روسية في مقابل لا-استراتيجية تركية.

وهذه المقارنة أساسية لمن يريد أن يفهم الطبيعة الحقيقية للاتفاق، وحجم الإملاء الموجود فيه، واسم الطرف الذي أملى. لأن الاتفاق حين يكون بين طرفَيْن متفاوتَي القوَّة، أحدهما بلا استراتيجية فعلية، سيفتقد بالضرورة إلى التوازن.

لذلك جزمنا بأن الأرنب الذي أخرجه الرئيس التركي من

قبّعته في إدلب ليس في حقيقة الأمر سوى أرنب الروس.

موقع «زمان الوصل»، 22 تشرين الأوّل 2018

اتفاق إدلب (2)

درعا بالتقسيط المريح

اختلال التوازن، الذي تحدَّثنا عنه في المقال السابق، جرَّاء الحضور الواضح للاستراتيجية الروسية في مقابل غياب استراتيجية تركية واضحة في سوريا، انعكس بقوَّة على جوهر الاتفاق.

تركيا وحيدة في سوريا. وحيدة مع 3 ملايين إنسان يواجهون خطر المذبحة الجماعية والتهجير الجماعي. الخيارات أمامها -في ظلّ التوازنات والتحوُّلات الأخيرة- تكاد أن تكون صفراً.

إذا بدأ الروس حربهم التدميرية في إدلب، سيجد الرئيس التركي الذي اجترح نظرية المهاجرين والأنصار في محاولةٍ منه لإعادة تعريف الدور التركي في سوريا بشكل إنسانيّ... سيجد على حدوده مئات آلاف النازحين. إذا فتحَ الحدود لهم سيقع في مشكلة داخلية تركية، وفي مشكلة خارجية مع الاتحاد الأوروبي. وإذا لم يفتح الحدود لهم وظلّوا عالقين بخيامهم ومآسيهم المتلفزة على حدوده، وعلى أبواب فصل شتاء قارس، ستتأذّى سمعته وسمعة بلاده، ليس لدى

السوريين فحسب، بل في عموم العالم الإسلامي.

أمام هذا الواقع المقفل في سوريا، لم يعد لدى الرئيس التركي سوى إعادة ترتيب الخسائر، ولكنْ بشكل دبلوماسي وناعم. وفي سياق إعادة الترتيب هذه جاء اتفاق إدلب.

إنَّ عمليةً سياسيةً ضخمةً -مثل عملية إعادة ترتيب الخسائر- بالنسبة إلى دولة إقليمية كبرى كتركيا، هي عملية معقَّدة جداً لأنها تقع في صلب تقاطعات ومفترقات علاقاتها الدولية. الاتفاق مع الروسي أساسي، تماماً كالاتفاق مع الأميركي. الإيراني لا يمكن تجاهله أيضاً. إنها عملية نزول عن بعض الأشجار من أجل ضمان البقاء على أشجار أخرى. الخسارة المتدرِّجة في سوريا يريد الأتراك ثمناً لها فوزاً متدرِّجاً على الكيان الكردي الناشئ على حدودها.

في اتفاقيات من هذا النوع ثمَّة دائماً ما يختبئ وراء السطور، وليس بينها فقط. ثمَّة بنود غير معلنة يمكن استجلاؤها من خلال قراءة الظروف والتوازنات التي نضجَ على نارها الاتفاق.

عندما يقول بوغدانوف بأن الاتفاق في إدلب هو «إجراء مؤقَّت»، وعندما يصف لافروف الاتفاق بأنه «خطوة مرحلية»، لا بدَّ أن نُصدِّقهما. فالصانع أفضل من يستطيع وصفَ صنيعه. الروس صنعوا الاتفاق وهم أكثر من يجيد وصفه.

بوغدانوف يقول بأن اتفاق إدلب حاله حال بقية مناطق خفض التصعيد التي أُقرَّت في إطار اجتماعات أستانة والتي كانت أصلاً «إجراءات مؤقَّتة».

ثمَّة شجرة اسمها «أستانة» لم تنتج إلا الثمار المسمومة. وآخر هذه الثمار اتفاق إدلب.

المسؤولون الروس يحاولون القول بأنه ما دام اتفاق إدلب حلقةً من سلسلة اتفاقات مناطق خفض التصعيد، فلا بدَّ أن تكون جميع النتائج متشابهة. لدينا مسطرة نقيس عليها. لدينا نموذج يصلح للقياس والمقارنة. ما حصل في درعا دفعةً واحدةً سيحصل في إدلب على مراحل. الفارق تقنيٌّ فرضته طبيعة الميدان.

المنطقة التي سمَّاها الاتفاق بـ«المنزوعة السلاح» (15 – 20 كم داخل مناطق الثورة) هي في حقيقة الأمر المنطقة الأكثر تحصيناً والتي تُشكِّل الدرع أو القشرة المصفَّحة لحماية «المناطق المحرَّرة». يحتاج جيش النظام إلى التضحية بالآلاف من جنوده لنزع هذه الدرع الصلبة. الاتفاق يشرع بتفكيكها بلا قتال.

يقوم الاتفاق بتقسيط الهدف الروسي. ما أخذه بوتين في درعا نقداً، يريد أن يحصل عليه في إدلب بالتقسيط. الاتفاق في هذا المعنى هو اتفاق على آلية للدفع بالتقسيط.

سنكون أمام مرحلة تأجيل ثمَّ مرحلة قضم. قضم على مراحل وتحت عناوين مخادعة.

وفي نهاية الأمر سيكون الفارق بين إدلب ودرعا هو الشراكة التركية الروسية في النفوذ.

موقع «زمان الوصل»، 25 تشرين الأول 2018

السياسي والإنساني

بين موتٍ افتراضيٍّ -حتى الآن- للكاتب السعودي جمال خاشقجي، وموتٍ مؤكَّدٍ -حتى الآن- لأربعة عشر سوريًّاً في مخيَّم الركبان، يظهر زيف العناوين الإنسانية التي غالباً ما يتشدَّق بها الإعلامَيْن العربي والعالمي.

بين اهتمام غير مسبوق لتغييب شخص، وإهمالٍ غير مسبوق لتغييب 55 ألفً شخص، يبرز الإعلام عارياً من يافطاته الإنسانية وشعاراته الزائفة عن تغليب الإنساني على السياسي في نقل الأخبار.

حجم الاستقطاب السياسي المسيطر على ذهنية الإعلام بلغَ حدوداً مرعبةً سمحتْ له بالاعتقاد بقدرته على إعادة تعريف «الإنساني» وفق المصالح السياسية، وبالتالي الاعتقاد بقدرته على ترتيب الأولويات السياسية وكأنها أولويات إنسانية.

هذه اللعبة المضلِّلة صنعتْ مسطرةً إنسانيةً ذات وحدة قياسٍ سياسيةٍ. بمعنى أنَّ القضايا باتت تستمدُّ عمقها الإنساني من فاعليتها

السياسية فحسب.

مأساة مخيَّم الركبان، وهي جزء من قضيةٍ أكبر فقدت الكثير من زَخَمها السياسي، لم يعد لها مكانٌ وسط زحمة الأخبار المتعلِّقة بحدث تغييب جمال خاشقجي.

وهكذا، وبالطريقة الأكثر مأساوية، تحقَّقت المقولة أو المثل الشهير عن الشجرة التي حجبت الغابة.

شجرة خاشقجي حجبتْ غابة مخيَّم الركبان.

55 ألف مشرَّد سوري في مخيَّم الركبان، بلا غذاء ودواء، يحاولون الظهور على شاشة الأخبار من خلف كتفَيْ جمال خاشقجي، ولا ينجحون!

وجه خاشقجي الوديع يحجب، بلا قصدٍ، الوجوه المغبَّرة والبائسة لعشرات آلاف السوريين - غالبيتهم من النساء والأطفال والشيوخ - المهدَّدين بانتشار مرض التهاب الكبد الوبائي، والذين هم في أمسِّ الحاجة في هذه الساعات إلى كاميرات الإعلام لتنقل مأساتهم إلى العالم فيسرع لنجدتهم.

لو استطعنا الوصول إلى خاشقجي الآن -وهو المناصر للقضية السورية- وأخبرناه بما يحصل، لربَّما أزاح نفسه قليلاً من الشاشة وأفسح المجال لسوريي مخيَّم الركبان لكي يَظهروا في نشرات الأخبار

ويرووا مأساتهم.

لكنَّ خاشقجي ومشرَّدي مخيَّم الركبان، وعلى السواء، لا يملكان من أمرهما شيئاً. كلاهما مُغيَّبان.

لقد بات الزخمُ الإنسانيُّ لأيِّ قضيةٍ مرتبطاً بزخمها السياسي.
القضية الضعيفة سياسياً ضعيفةٌ إنسانياً.

سمكة المأساة التي لا تجيد السباحة في حوض السياسة... محكومٌ عليها بالموت.

لذلك، ومع تراجُعِ الحدثِ السوريِّ في قائمة الاهتمام الدولي، يموت مشرَّدو مخيَّم الركبان الصحراوي على الحدود السورية – الأردنية بلا ضجَّةٍ ولا محقِّقين ولا كاميرات... تارةً بسموم العقارب والأفاعي، وطوراً بسموم إعادة تعريف «الإنساني» في معجم الأجندة السياسية.

موقع «زمان الوصل»، **15** تشرين الأوَّل **2018**

مصالحة مع الذات

يتصالح «أشباه الرجال» مع بعضهم البعض.

***

من المرَّات القليلة التي نجح فيها بشار الأسد بقول كلمة صادقة، كانت تلك المرَّة التي وصف فيها زملاءَه من الحكَّام العرب بأنهم «أشباه رجال» سنة 2006.

والحقّ أنه، بذلك، نجح في تسمية النادي الذي ينتمي، هُوَ وهُمْ، إليه: نادي أشباه الرجال.

هذا النادي الذي فرَّقه ارتعاش أرجل الكراسي في بدايات الثورات العربية، عاد اليوم ليلمَّ شمله ويلمَّ شَعَثه.

إنَّ «التطبيع» الحاصل بين الدول العربية ونظام الأسد، هو في حقيقة الأمر ليس تطبيعاً بالفعل. فما يحدث هو أقرب ما يكون إلى المصالحة مع الذات. فقد زوَّر الحاكم العربي نفسه بما فيه الكفاية، حين ادَّعى وقوفه مع الشعب السوري في ثورته، وحان وقت التصالح مع الذات.

وكم كنَّا مفتقدين للدقَّة حين استعملنا مصطلح «تطبيع» عند الحديث عن إمكانية إعادة العلاقات بين الحكومات العربية وحكومة الأسد. فهذا المصطلح يُستخدَم، وعلى الدوام، في سياق الحديث عن عدوَّيْن أو خصمَيْن أو متنافرَيْن. بينما نظام الأسد وأنظمة العرب التي تتصالح معه ليسا عدوَّيْن ولا خصمَيْن ولا متنافرَيْن.

كلُّ حاكم عربي، حين يأتي عليه الدور، هو بشار.

بعضهم بشار مع عِقال وشماغ، وبعضهم بشار مع بدلة عسكرية، وبعضهم بشار مع زيٍّ شعبيٍّ... لكنهم -حين يخلعون أزياءهم- بشار.

كلُّ ما نُسمِّيه إعادة علاقات مع النظام، من زيارات وإعادة فتح سفارات وتصريحات تشيد بالنظام ورأسه، ليس إلا مظهراً من مظاهر احتفاء الحاكم العربي بتصالحه مع الذات. ليس إلا حفلةً ماجنةً حَرَمته فتوَّةُ الثورات العربية من إقامتها قبل سنوات.

من يُصدِّق بأنَّ الحاكم العربي الذي تحوَّلت سجونه إلى معلَّبات للحوم سجناء الرأي، والذي حوَّل فكرة «بساط الريح» الساحرة في «ألف ليلة وليلة» إلى أشهر أداة للتعذيب، والذي شرعنَ تقديس ذاته بقوانين (ذات مَلَكية، ذات أميرية... إلخ)، يمكنه حقَّاً أن يُؤيِّد قرار الشعب السوري في إشعال حطب الثورة؟

اليوم، يتصالح الحاكم العربي مع نفسه، مقيماً حفلاته الصغيرة في سفاراته، تمهيداً لحفلته الكبرى المزمع عقدها في «الجامعة العربية».

اليوم، تخرج صحافة الحاكم العربي بمانشيتات عريضة عن سوريا، استُبدلت فيها عبارة «عودة اللاجئين» بعبارة «عودة السفراء».

موقع «زمان الوصل»، **31** كانون الأوَّل **2018**

قيلولة الجولان

ما أصاب فلسطين كقضيةٍ عربيةٍ، أصاب الجولان كقضيةٍ سوريةٍ.

انشغال العرب بثوراتهم، التي أدَّت إلى انهيار شامل في بعض البلدان، استغرق جُلَّ انتباههم.

للمرَّة الأولى منذ عقود طويلة تتقدَّم أخبار البلاد العربية على خبر فلسطين. وللمرَّة الأولى أيضاً تتقدَّم أخبار المناطق السورية على خبر الجولان.

في بدايات ما سُمِّيَ، جُزافاً واستيراداً للمصطلح، «ربيعاً عربياً»، وهو في حقيقته زلزال سياسي اجتماعي هَدَمَ أجزاءً من البناء المنخور للنظام العربي الرسمي، لم تكن قضية فلسطين غائبةً عن شعارات المتظاهرين الأوائل في ساحات المدن المنتفضة، ولم يكن الجولان بلا صوتٍ في المظاهرات السورية الأولى.

أحياناً استُخدمت هاتان القضيتان في المظاهرات الشعبية لإدانة الأنظمة، وخصوصاً نظام الأسد الذي جعلهما غطاءً لتشريع

الاستبداد ونهب الثروة الوطنية (ظلَّ النفط السوري، طوال نصف قرن، خارج الميزانية الرسمية للدولة بحجَّة الصراع مع إسرائيل!).

لكنَّ حالة الاستعصاء الرهيب التي وصلت إليها معظم الثورات العربية (الدمار الشامل في سوريا مع استجلاب المحتلِّين، الانقلاب العسكري في مصر مع عودة أشدّ قسوة لسياسة القمع وتكميم الأفواه، الحرب الأهلية في ليبيا بين حثالات العسكر وحثالات المتطرِّفين مع محاولات حثيثة لإعادة إنتاج النظام القديم، الكارثة الإنسانية في اليمن مع تحلُّل جغرافي نتج عن اصطدام الطيش العربي بالتخطيط الإيراني) أدَّت إلى تراجع قضيتَي الجولان وفلسطين في حساب تقدُّم الأولويات.

الملفَّان، الفلسطيني الذي حاز صفة «المركزية» عربياً، والجولاني الذي حاز الصفة ذاتها سورياً، أغرقتهما الملفَّات المستجدَّة للأزمات العربية المؤجَّلة، والتي انفجرت كجدارِ سدٍّ متهالكٍ امتلأ بما يزيد عن سعته واحتماله.

لذلك من الطبيعي، في خضمِّ هذه الفوضى العربية الشاملة، أن تستغلَّ إسرائيل مواهبها في السطو على أملاك جيرانها، وأن يستغلَّ ترامب مواهبه في عالم العقارات.

وكما تمَّ الاعتراف، أميركياً، بالقدس عاصمةً لإسرائيل، تمَّ

الاعتراف بالجولان أرضاً لإسرائيل.

ولأنَّ حاكمي العرب من أبناء جلدتهم، قد ثبت بالتجربة أنهم مجرَّد سفراء وقناصل وموظَّفين لصالح القوى العظمى، اعتادوا على الاهتمام بتنفيس الغضب الشعبي أكثر من اهتمامهم بالقضية نفسها.

ومن أجل ذلك اعتمدوا أسلوب عقد القمم، التي لم يعد يخفى على الشعوب أنها مجرَّد طريقة لرفع العتب ولتنفيس الاحتقان ولمسرحة حالة الشلل العربي إخبارياً وإعادة صوغها في بيانٍ ختاميٍّ لا يصلح –حتى من الناحية البلاغية– لنشره في بريد القرَّاء.

وبعد قمم رفع العتب لفلسطين، لا بأس من عقد قمَّة رفع عتب للجولان.

وبدلاً من أن تبعث القمَّة العربية المنعقدة في تونس رسالةً قويةً وحازمةً بخصوص الجولان، بعثتْ بتلك الصور الفكاهية لبعض المجتمعين النائمين على كراسيهم وأمام كلٍّ منهم، على الطاولة، عَلَمُ بلاده!

وهكذا عُقدتْ قمَّةٌ عربيةٌ من أجل موضوع مصيري، من شأنه أن يضع كرامة الأُمَّة على المحكّ، وكان أبرز ما صدر عنها صورٌ لتلك القيلولة التي أخذها بعض المجتمعين على الهواء مباشرةً، والتي

تتناسب تماماً مع ما هو مطلوب منهم إسرائيلياً، وما هو مُنتظَر منهم عربياً.

موقع «زمان الوصل»، **3** نيسان **2019**

رؤية الهضبة من رصيف المرفأ

السوريون الذين تظاهروا، بالأمس، مُعلنين غضبهم على الرئيس الأميركي دونالد ترامب لأنه «أعطى» الجولان لإسرائيل، لم نلمح وجوههم، اليومَ، بعدما أعطى بشار الأسد ميناءَ طرطوس لروسيا.

المفارقة، هاهنا، لا تختزل فقط حالة النفاق الذي هم عليه هؤلاء، بل تختزل أيضاً فهمهم لمصطلحٍ ارتكازيٍّ، كالسيادة، باعتباره مجرَّد موضوع سياسيّ، يمكن لصاحبهِ تقليبَ رأيه فيه، فيرفضه ويشجبه، أو يأخذ به ويدافع عنه.

هذا الفهم «الانتهازي» لمسألة أساسية كالسيادة، انسحب على كلِّ المفردات التي تدور في فلكها.

فوجود الجيوش الأجنبية في سوريا ليس احتلالاً بل تحالف.

وانتهاك البروتوكولات المعمول بها أثناء لقاء رئيس البلاد ليس إهانةً بل صداقة زائدة.

واستجلاب الغزاة، براً وجوّاً وبحراً، ليس عمالةً بل استدعاءٌ

شرعيٌّ.

و«تأجير» مرافق الدولة لدول أجنبية، بعقودٍ تصل إلى نصف قرن، ليس بيعاً بل استثمار.

وقتل مليون سوري ليس حرب إبادة بل «مكافحة إرهاب».

وربما لا نُغالي إذا قلنا إنَّ أمثال هؤلاء كانوا أكبر المساهمين في تدمير سوريا، حتى ولو لم يشترك بعضهم في الأعمال القتالية. لأنهم، ببساطة، ساهموا في التشويش على الحقيقة.

وهذا التشويش كان واحداً من أكبر صنَّاع المأساة السورية، لأنَّه نجح، في نهاية الأمر، في تقديم الثورة السورية إلى العالم في هيئة الحرب الأهلية.

كانت الحرب السورية، في جزءٍ مهمٍّ منها، حربَ مصطلحاتٍ ومفاهيم. وكان الكسبُ في المعركة يُقاس بتقدُّم مصطلح على آخر.

فقد كانت الثورة متقدِّمةً حين كان مصطلح «شبِّيحة» متقدِّماً. وعاد نظام الأسد ليتقدَّم مع تقدُّم مصطلح «إرهاب».

كانت حرب المصطلحات «بارومتر» الحرب في سوريا.

لذلك يستطيع ابن مدينة طرطوس مثلاً، والذي تبنَّى بطريقة انتقائية مبتذلة المقولة الشهيرة «الخيانة ليست وجهة نظر»، أن يرى ما حدث في الجولان على بعد مئات الكيلومترات منه، دون أن

يستطيع رؤية ما جرى في المرفأ على بعد أمتار من بيته!

موقع «زمان الوصل»، **27** نيسان **2019**

الموالون يسخرون من أنفسهم

بعدما انتهت حفلة السخرية التي أقامها موالو الأسد على شرف جولة «مكافحة الفساد» التي قام بها وزير الداخلية والتي أسفرت عن إحالة موظَّف صغير إلى القضاء بتهمة تلقِّيه رشوة بقيمة خمسين ليرة (حوالى **10** سنتات أميركية)... أقول: بعد انتهاء حفلة السخرية تلك، أتساءل: هل يحقُّ لهؤلاء الناس تحديداً أن يسخروا من هذه الحادثة تحديداً؟

***

عندي أنَّ ما فعله وزير الداخلية هو تماماً ما يطالب به الموالون الذين سخروا منه.

عندي أنَّ وزير الداخلية استلهمَ حركته الكاريكاتورية هذه من الحركات الكاريكاتورية التي قام بها هؤلاء المتهكِّمون.

عندي أنَّ وزير الداخلية -بما فعله- كان المؤتمن الحقيقي على مطالب هؤلاء.

وشرحُ ذلك بسيطٌ من خلال إثبات تطابق عقلية هؤلاء في

مطالبهم... مع عقلية وزير الداخلية في تنفيذ أحد تلك المطالب، ألا وهو مكافحة الفساد.

ويمكن اختزال هذه العقلية المشتركة بين الموالين ووزير الداخلية بأحد أكثر الأمثال الشعبية شهرةً: «لا يقدر على الحمار فيستقوي على البَرْدعة»(*). والبردعة هي ما يُوضع على ظهر الحمار ليُركَب عليه. وأصل القصة يتعلَّق بحمار شرس مؤذٍ ولبَّاط، كلَّما أوقعَ أحداً عن ظهره يقوم أصحابُ الحمار بضرب البردعة وتحميلها المسؤولية.

فموالو الأسد جعلوا من هذا المثل الشعبي عقيدةً لهم.

ووفرة شتائمهم على صفحات التواصل الاجتماعي ضدَّ «مسؤولين» محدَّدين دون الاقتراب من مسؤولين آخرين، تؤكِّد لنا بأن فرزاً ما قد جرى في عقولهم، فتمَّ بموجبه تصنيف المسؤولين السوريين في فئتَيْن اثنتَيْن: مسؤول فئة حمار لا يجوز الاقتراب منه، ومسؤول فئة بَرْدعة يمكن الضرب فيه دون خوفٍ من العواقب. وبهذا الحساب أصبح الوزراء -الذين بعضهم قد سمعَ خبرَ توزيره من التلفزيون- هم من يتحمَّلون مسؤولية كلِّ الكوارث الحاصلة في البلاد، في نظر الموالين. وبهذا الحساب أيضاً تظاهر الموالون ضدَّ محافظ حمص وشتموه وطالبوا بإقالته ومحاكمته، مع أنهم

يعلمون علم اليقين بأنه مجرَّد بَرْدعة لحمير كُثُر لا يجرؤ المتظاهرون الساخطون على تسميتهم، ولو تلميحاً.

وزير الداخلية، أيضاً، جعل من هذا المثل الشعبي عقيدةً له. فصنَّف الموظَّفين في فئتَيْن اثنتَيْن: موظَّف فئة حمار يرتشي بعشرات الملايين ولا يمكن الاقتراب منه، وموظَّف فئة بردعة يمكن تحميله مسؤولية انتشار الفساد والإفساد حتى لو كانت رشوته لا تشتري نصف سندويشة فلافل.

يشترك وزير الداخلية والموالون الساخرون منه في كونهم جبناء يخافون الحمار ويضربون في البردعة، مع فارق أن الموالين المتهكِّمين يملكون وقاحة أن يسخروا من جولة الوزير... ومن أنفسهم أيضاً.

موقع «زمان الوصل»، **12** تشرين الثاني **2018**

(*) نَسَبَ بعضُ من يكتبون في الصحافة ومواقع التواصل الاجتماعي قصَّةَ الحمار والبردعة إلى كتاب «كليلة ودمنة»، والحقيقة أنها غير واردة في الكتاب المذكور إطلاقاً. ولكن يبدو بأن أحدهم كتب المعلومة الخاطئة فتبعه الآخرون قصَّاً ولصقاً!

تقييم الدور التركي في سوريا

غالباً ما يختلف سوريُّو الثورة في تقييم أدوار الدول التي يعتبرونها مساندةً لهم، بين رأي سلبي وآخر إيجابي وثالث موضوعي.

ولكن هذا الاختلاف سرعان ما يتحوَّل خلافاً كبيراً، إلى درجة الاستقطاب الحادّ، حين يصل التقييم إلى الدور التركي.

تقريباً، تغيب الموضوعية والاعتدال في التقييم؛ بين كارهٍ لا يرى في هذا الدور إلَّا التآمر على الثورة السورية، ومُحبٍّ لا يرى في هذا الدور إلا الجانب الإنساني مُردِّداً مصطلح أردوغان الشهير في وصف دور بلاده: «المهاجرون والأنصار».

وبالطبع أسباب ذلك متشعِّبة، ربما تبدأ بإشكالية التاريخ العثماني في بلادنا، ولكنها لا تنتهي حاضراً بالدعم التركي لتوجُّه معيَّن (إخوانيّ) على حساب التوجُّهات الأخرى.

***

لكنَّ قراءةً موضوعيةً للدور التركي في سوريا، تضع الحبَّ والكرهَ جانباً، ستضع أيضاً مفردات ذلك الاستقطاب جانباً.

فتركيا، ككلٍّ دول الأرض، لها مصالحها القومية العليا التي تبني عليها جميع تحرُّكاتها السياسية. ولا بأس تحت سقف هذه المصالح بأن يكون هناك دور إنساني مهمّ.

هذه هي القاعدة التي سار عليها أردوغان (الإسلامي)، والتي كان سيسير عليها خصومه (القوميون) لو كانوا مكانه.

مع الأخذ بالحسبان فوارق فهم تلك المصالح القومية العليا لدى كلٍّ من الرئيس الإسلامي الذي يرى في ظهور «عثمانية» جديدة مصلحةً كبرى لمكانة تركيا، وخصومه القوميين الذين يرون في صيانة الخطّ العلماني، الذي أرساه المؤسِّس أتاتورك لأحفاده، صيانةً لتلك المصالح العليا.

تحت هذا السقف تعامل أردوغان مع القضية السورية. وتحت هذا السقف حاول في بداية الثورة تقديم النصح لبشار الأسد موفداً إليه رئيس وزرائه أحمد داود أوغلو. وتحت هذا السقف، أيضاً، أعلن الوقوف الكامل إلى جانب الثورة في سوريا فاتحاً أبواب بلاده لأكثر من مليونَيْ لاجئ سوري.

فجأةً، ارتطم رأسه بشيءٍ في الأعلى تبيَّن بأنه المصالح القومية العليا لبلاده. ولأجل ألا يتكرَّر مثل هذا الارتطام عقدَ أحلافاً وثيقةً مع الذين يُعتبرون من ألدّ أعداء الثورة السورية.

فالتطوُّرات الميدانية التي عصفت بالثورة في سوريا -وخصوصاً نشوء ما يُعتبر كياناً كُردياً في الشمال السوري- عصفت بمخطَّطات أردوغان أيضاً.

وكذلك فعل التعقيد الداخلي (محاولة انقلاب فاشلة) والإقليمي (مواجهة كسر عظم مع المحور السعودي - الإماراتي - المصري) والدولي (الضغوطات الأميركية).

اختلاط الأوراق في المنطقة، وإرهاصات الكيان الكُردي السوري، وتدهور حال الاقتصاد التركي الذي كان السُّلَّم الأساسي لصعود أردوغان إلى قمَّة الهرم السياسي، ناهيك عن ضغط ملفِّ اللاجئين (يعزو إليه بعض المحلِّلين خسارة أردوغان لبلدية إسطنبول في الانتخابات البلدية الأخيرة)... كلُّها عوامل وضعت الرئيس التركي في موقف متناقض لا يُحسَد عليه.

فهو من جهةٍ أُولى يعطي يده اليمنى للرئيس الروسي فلاديمير بوتين ويده اليسرى لنظام الملالي في طهران، ومن جهةٍ ثانيةٍ يُعطي لسانه وعاطفته للسوريين.

***

إنَّ تقييم الدور التركي في سوريا يجب أن ينطلق من تقييم التحالفات السياسية الإقليمية والدولية، وليس من تقييم التصريحات

الداخلية. بمعنى أنَّ التقييم السياسي الاستراتيجي شيءٌ، والتقييم الإنساني العاطفي شيءٌ آخر.

التوافقات الروسية التركية في ملفِّ إدلب، التي تتعرَّض اليوم لحرب الأرض المحروقة، هي التي يجب أن تتمَّ مناقشتها، وليس ردّ بعض المسؤولين الأتراك على الأصوات العنصرية ضدَّ اللاجئين السوريين في تركيا.

موقع «زمان الوصل»، **5** أيَّار **2019**

مرض أسماء الأسد

من سرطان حافظ الأسد إلى سرطان أسماء الأسد، تغيَّر الأسلوب فقط.

***

كان سرطان الدم الذي أُصيب به حافظ الأسد أحد الأسرار الكبرى للنظام التي تمَّ التكتُّم عليها. شرخٌ كبيرٌ يُراد إخفاؤه بأيِّ شكلٍ من الأشكال في الصورة العملاقة للرجل الذي ادَّعى بأنه سيبقى «قائداً إلى الأبد». كان «الأبد» أحد أكثر أدوات الإرهاب النفسيّ فاعليةً للبقاء في الحكم، ولا يجوز لهذا «الأبد» أن يكون مريضاً.

لقد فهمَ «الأبد» المريض منذ سنة 1983 (تاريخ تشخيص المرض إثر إصابة حافظ الأسد بنوبة قلبية) بأنَّ دكتاتوراً صعد إلى سدَّة الحكم بالعنف، لا يمكن لـ«الصورة الإنسانية» أن تخدم بقاءَه. الترويج الوحيد الذي يمكن من خلاله تثبيت أركان حكمه هو صورة الرجل الذي لا يمرض ولا يموت. صورة الرجل المخيف

الذي يُخيف حتى الزمن فيمرّ عليه خفيفاً على رؤوس الأصابع.

لقد فهمَ الدكتاتور المريض بأنَّ إكسير الخلود في الحكم هو الإيحاء بامتلاكه إكسير الخلود في الحياة. وقد وجد تطبيقاً لهذه النظرية في ترسيخ الصورة القاسية للرجل القاسي.

***

في شهر آب 2018 أُعلنَ بشكلٍ رسميٍّ، وعبر مواقع وصفحات رسمية حكومية، إصابة أسماء الأسد بسرطان الثدي.

مَنْ فكَّر بالأسلوب القديم للنظام، أدهشه صدور هذا الإعلان!

كانت المأساة الإنسانية قد بلغت ذروتها في البلاد، والضحايا السوريون قد صاوا صورةً ناطقةً للعذاب البشري في كلِّ وسائل إعلام الدنيا، حين ظهرت أسماء الأسد لتعلن مرضها سارقةً الأضواء من ملايين الضحايا للآلة العسكرية التي يقودها زوجها.

يومذاك، كتبتُ على صفحتي الشخصية بأن أسماء الأسد «تستكثر» تعاطف العالم مع ضحايا سوريا، فتحاول سرقة الأضواء منهم. فهي السيِّدة الأولى في كلِّ شيء. وحين تمرض فلا بدَّ أن يكون ترتيبها الأوَّل. وحين تكون صاحبة وجع فلا بدَّ أن يتقدَّم وجعُها على أوجاع سواها. وهذا ما حصل فعلاً.

فقد شغلت أسماء الأسد الإعلام بقصَّة مرضها. شغلته بألوان

أغطية الرأس التي ترتديها في إطلالاتها المتلاحقة. شغلته بزيارتها لـ«مشفى تشرين العسكري».

الوشاح الذي قصدتْ به تغطية تساقط شعرها، قصدتْ به أيضاً تغطية دورها الرهيب في تأمين الوجه المدنيّ والعصريّ (اللاعب الجيِّد على أوتار التقييم الغربي) لحكم الاستبداد في سوريا.

وما كان مضرًّاً بصورة الحكم في الماضي (مرض حافظ الأسد)، صار مفيداً لصورة الحكم في الحاضر (مرض أسماء الأسد).

وما كان الحديث عنه «خيانة عظمى» بالأمس (سرطان الدم)، صار الحديث عنه «واجباً وطنياً» اليوم (سرطان الثدي)، يستدعي إطلاق أسرابٍ من هاشتاغات الدعم على وسائل التواصل الاجتماعي لـ«سيِّدة الياسمين».

حملة الترويج الدعائية التي أعطتها أسماء الأسد كلَّ وقتها قبل الثورة، والتي دمَّرتها مجازرُ زوجها، وجدت نافذةً جديدةً غير متوقَّعة للعودة بزخم كبير. و«الوردة في صحراء» (الاسم المدفوع الثمن الذي أطلقته عليها مجلَّة «فوغ» الفرنسية) وجدتْ رذاذاً مُنعشاً أعاد إحياءَها بعدما تحوَّلت إلى شوكةٍ في حلق كلِّ صحافي أجنبي سبق له أن امتدحها.

إنَّ «الشفافية» التي أراد النظام إظهارها سنة 2018، ليست

أكثر من نسخة ملوَّنة لصورة الأبيض والأسود التي التُقطتْ سنة 1983. وما حدث هو أنَّ الطاقية السوداء، التي اعتمرها حافظ الأسد في سنواته الأخيرة، حلَّ مكانها الوشاح الملوَّن على رأس أسماء.

موقع «زمان الوصل»، **31** كانون الثاني **2019**

أموال رفعت الأسد

الخبر الذي قرأناه أخيراً عن شروع فرنسا بمحاكمة رفعت الأسد بتهم عديدةٍ أبرزها «بناء إمبراطورية عقارية كبيرة في البلاد باستخدام أموالٍ من خزائن الدولة السورية»، يستحقُّ النقاش.

***

بلغ رفعت الأسد من العمر الحادية والثمانين، منها خمسٌ وثلاثون سنةً أمضاها في أوروبا، متنقِّلاً كالطاووس بين دولها، مستثمراً مئات ملايين الدولارات في أسواقها العقارية، دون أن يقول له أحدٌ ما قاله المثل الشعبي السوري بطريقةٍ ساخرةٍ: «ما أحلى الكحل في عينك».

ونكاد نجزم بأنَّ أحداً في فرنسا لم يكن ليحاكم رفعت الأسد لولا اندلاع ثورة الكرامة التي كسرتْ زمناً كاملاً من التعامي عن المجزرة، الجارية بصمتٍ، في سوريا.

خمسٌ وثلاثون سنةً من العيش والبذخ في أوروبا لأشهر مجرمي الإبادة الجماعية في النصف الثاني من القرن العشرين في سوريا، لم

تحرِّك قلماً جاداً، في القضاء أو في الصحافة، وعلى السواء، لملاحقة هذا الشخص أو حتى التضييق عليه وعلى مشاريعه التجارية.

القائمون على أعظم دساتير الدول، التي جعلت من مبادئ حقوق الإنسان أعظمَ الأناجيل، كانوا سيحاكمون رفعت الأسد لو أنه قتل عصفوراً داخل فرنسا في غير موعد الصيد، أو لو أنه قطع شجرةً بدون إذنٍ من البلدية.

لقد علَّمتنا ديموقراطية الغرب أنها ديموقراطية مُسوَّرة، ولأبنائها فقط. ديموقراطية لها سُورٌ وبوَّابةٌ. وخارج السُّور والبوَّابة يمكن للمرء أن يفعل ما يريده، شرط أن يخلع ملابسه الملوَّثة بالدم ويغسل يديه جيِّداً قبل الدخول من البوَّابة.

لذلك نجد بأنَّه -ويا للسخرية!- من بين الاتهامات الموجَّهة لرفعت الأسد تهمة «الاحتيال الضريبي»؛ أي أنه ولكي لا يدفع الضرائب المستحقَّة على ممتلكاته قام بتسجيلها بأسماء شركات في الملاذات الضريبية الآمنة.

وهكذا تحاكم فرنسا رفعت الأسد على تهرُّبه من دفع الضريبة على أموالٍ منهوبةٍ من الشعب السوري!

وهكذا تحاكم فرنسا رفعت الأسد لاستعماله ملاذات ضريبية آمنة، ولا تحاكم نفسها على تحوُّلها إلى ملاذٍ آمنٍ لأمثاله من المجرمين!

إنَّ هذه المحاكمة لن تكون، قطعاً، نقطة بيضاء في تاريخ فرنسا، بل على العكس هي لحظة كاشفة وفاضحة ومجلجلة. لأنَّ إدانة رفعت الأسد، بعد عقودٍ من عيشه الباذخ في فرنسا، هي إدانة لفرنسا أيضاً.

***

في حزيران **2017** قامت السلطات في إسبانيا بمصادرة **507** عقارات تعود ملكيتها إلى رفعت الأسد. وها هي فرنسا، اليوم، تصادر أمبراطوريته العقارية التي تتألَّف من قصور ومنازل فاخرة وشقق ومزارع ومكاتب في أرقى المناطق وأغلاها.

وبالطبع لا أحد يسأل: وفق أيِّ منطقٍ تقوم تلك الدول بمصادرة أموالٍ هي من حقِّ الشعب السوري؟!

وفق أيِّ منطقٍ تُصادَر مئات الملايين من الدولارات لتُصرَف على انتعاش الدول المصادِرة، في حين أنَّ أصحاب تلك الأموال، من السوريين، مشرَّدون في مخيَّمات القهر والموت البطيء؟!

***

إنَّ تزامناً حصلَ بالصدفة، بين كارثة احتراق كاتدرائية نوتردام في باريس، وتقديم رفعت الأسد للمحاكمة في باريس أيضاً، لا أريد تفويته من دون أن أقول ما في نفسي:

ربما تكفي عقارات رفعت الأسد المصادَرة لترميم الكاتدرائية المحترقة، ولا حاجة لأن يتبرَّع أحدٌ. لكنها لن تكفي، بالتأكيد، لترميم صورة الغرب لدينا، كمساهمٍ أكيدٍ في بؤسنا ماضياً وحاضراً؛ في الماضي كاستعمار، وفي الحاضر كراعٍ للدكتاتوريات.

موقع «زمان الوصل»، 18 نيسان 2019

أساطير آل الأسد

عندما بدأ النظام حملة الدعاية والترويج لشخصية بشار الأسد، بعد موت أخيه باسل، قال لي أحد العسكريين من معارفنا بأن بشار الأسد «طلع عبقري»! وحين سألته كيف عرف ذلك؟ أجاب بأنه قرأ هذه المعلومة في مجلَّة «جيش الشعب»!!

والحقّ أن ماكينة الدعاية الإعلامية للنظام أنتجت العديد من «الأساطير» المرتبطة بشخوص عائلة الأسد، مستعملةً لترويجها إفرازات طول أمد الاستبداد، والتي كان من أبرز تجلِّياتها تلك العقول المدجَّنة التي صدَّق أحدُها «عبقرية بشار» لمجرَّد أنَّ مجلَّةً عسكريةً يُصدرها النظام قد كتبت عنها!

ومن بين تلك «الأساطير»، التي علقَ الكثير منها في ذاكرة السوريين، أستذكرُ ثلاثاً: اثنتان تؤسطران لـ«شخصية فذَّة» كان عليها حافظ الأسد، وواحدة تؤسطر لـ«أخلاق لا تُضاهى» كان عليها باسل الأسد.

***

فحوى الأسطورة الأولى تهديدُ حافظ الأسد لإسرائيل بأنها إذا ما هاجمت سوريا فإنَّ الطيَّارين الإسرائيليين لن يجدوا مطاراتٍ في إسرائيل يهبطون عليها! بمعنى أنه سيقوم بتدمير تلك المطارات. وقد تبارى إعلاميو النظام في الإسهاب بشرح الجانب البطولي و«الفَهْلوي» في هذا التهديد الذي ليس لديهم، طبعاً، أيُّ إثبات على حصوله.

أما الأسطورة الثانية فقد أخذت الإثارةُ فيها منحىً قصصياً يقول بأنَّ حافظ الأسد حين وصله خبر الحشود العسكرية التركية على الحدود السورية سنة 1998، قام بسحب كلِّ قواته المرابطة على الحدود إلى الداخل السوري، مما أثار حيرة الأتراك وقلقهم من هذه الخطوة الغريبة، إلى أن تبيَّن لهم بأنَّ الأسد قام بتوجيه صواريخه باتجاه السدود المائية التركية لتدميرها وإغراق تركيا وجيشها بالماء، فما كان منهم إلا أن أذعنوا وسحبوا حشودهم العسكرية!

وتدور الأسطورة الثالثة حول الأخلاق الرفيعة لباسل الأسد، وحول روحه الرياضية التي نهلت من فروسيته، حتى استحقَّ من خلالهما لقبه الأشهر: «الفارس الذهبي». ولتوكيد حقيقة تينكَ الروح والأخلاق، واظب تلفزيون النظام، ولمئات المرَّات، على عرض تلك التمثيلية المدبَّرة والمصوَّرة لباسل الأسد وهو يُجبر

حصانه على التعثُّر أمام حاجز القفز لكي يُعطيَ فرصةً لمنافسه!

***

بخصوص الأسطورة الأولى، فإنَّ المطارات الإسرائيلية، المهدَّدة بالتدمير وفق الحكاية، أخذت تتوسَّع وتنتشر في عهد عائلة الأسد إلى أن وصلت أخيراً إلى الأراضي السورية نفسها، وبالقرب من ضريح الأسد الأب نفسه، حيث كشفت وزارة الدفاع الروسية في بيانٍ رسميٍّ لها، بتاريخ 15 تشرين الأوَّل 2015، عن دور مطار حميميم (السوري) كخطّ تنسيق روسي - إسرائيلي «تجنُّباً للحوادث بين طائرات البلدين في المجال الجوي السوري»!

وبخصوص الأسطورة الثانية، والتي يمكن تسميتها تهكُّماً بـ«طوفان حافظ»، لا تخفى على أحدٍ فضيحة «إتفاقية أضنة»، الموقَّعة بتاريخ 20 تشرين الأوَّل 1998، والتي هي إذعان كامل، حيث قام حافظ الأسد بموجبها بالتنازل عن سيادة سوريا على أراضيها من خلال إعطاء تركيا الحقّ بالتوغُّل لعمق خمسة كيلومترات في الشمال السوري (الملحق رقم 4)، والتخلّي عن المطالبة بلواء الإسكندرون المحتلّ والاعتراف به كأرضٍ تركيةٍ (الملحق رقم 3).

وبخصوص الأسطورة الثالثة، فقد تحوَّلت الأخلاق الرفيعة لباسل الأسد إلى فضيحة، مادَّتها الجريمة، عقب انكشاف أنه

-ولفرط روحه الرياضية- قام بسجن منافسه الأقوى الفارس عدنان قصَّار سنة 1993 بتهمة أنه حاول اغتياله!! وقد بقيَ قصَّار في السجن مدَّة 21 عاماً، وكان في كلِّ ذكرى سنويَّة لرحيل باسل الأسد يتذوَّق شتَّى صنوف التعذيب في زنزانته!

***

اليوم يكافح آل الأسد لإنتاج أساطير جديدة حول شخص الرئيس وزوجته وأولاده، ولكن -مع تغيُّر العالم واكتساح وسائل الاتصال الحديثة- لا تكاد «الأسطورة» تطفو على السطح إلا وتتحوَّل إلى مادَّة للسخرية، بل إنَّ بعض الأساطير الجديدة يكفي لتدميرها نشر نتائج مسابقات الرياضيات الدولية التي يشارك فيها حافظ الصغير ويحتلّ آخر المراتب، أو تسريب صورة واحدة كالتي سرَّبها الروس، قبل أيَّام، لبشار الأسد وهو يقف مع الضبَّاط الروس خلف الخط الأصفر بينما يُلقي بوتين كلمته أمام جنوده في قاعدة حميميم.

موقع «زمان الوصل»، **25** شباط **2019**

يوم وصفَ حافظ الأسد نفسَه بالمتآمر والجبان

عند إقفالها النهائي، قبل سنتَيْن، قامت جريدة «السفير» اللبنانية بنشر جزء كبير من أرشيفها القديم، والمهمّ أيضاً، كون الجريدة وصاحبها طلال سلمان كانا شاهدَيْن فاعلَيْن في كثير من مفاصل الحياة السياسية في لبنان. والحقّ أنني يومذاك دوَّنتُ بعض التواريخ التي شهدتْ أحداثاً مفصلية لأبحث عنها في أرشيف الجريدة فأعرف المزيد عن تفاصيلها وما الذي كُتِبَ عنها في وقت حدوثها. ومن بين تلك التواريخ تاريخ 17 آذار 1977، وهو يوم اغتيال قائد «الحركة الوطنية اللبنانية» كمال جنبلاط على يد الضابط السوري إبراهيم حويجة بأمرٍ مباشرٍ من حافظ الأسد.

ومع أنني أعرف بأن حافظ الأسد قد أنكر علاقته بالجريمة واستنكرها، على الرغم من ثبوت ضلوعه فيها بالدليل والبرهان، إلا أنني أردتُ أن أقرأ بشكلٍ حرفيٍّ ما الذي قاله الأسد آنذاك في استنكاره لجريمةٍ اقترفَها على مرأى العالم ومسمعه.

ولم يتأخَّر البحث، حيث وجدتُ برقية تعزية (كذا) أرسلها الأسد إلى وليد جنبلاط، نجل الشهيد، منشورةً في كعب الصفحة الأولى من جريدة «السفير» في ذلك اليوم.

كانت قوَّة فضولي تتجه، في الدرجة الأولى، إلى معرفة المفردات التي انتقاها الأسد لإدانة الجريمة. فقد توقَّعتُ أن يكون حذراً جداً في انتقاء الكلمات فلا يُسرف في استعمال التعابير القاسية كون الجميع يعلم بأنه هو القاتل، وأنَّ كلَّ تعبيرٍ سيقوم باستخدامه هو بمعنى ما وصفٌ لنفسه وسلوكه.

لكن، وعلى العكس مما توقَّعتُ، استعمل حافظ الأسد أقبح المصطلحات وأسوأها لوصف الجريمة ومرتكبها!

فقد وصفَ حافظ الأسد مرتكبَ الجريمة (أي أنه وصفَ نفسَه) في برقية التعزية بـ: الآثم، المتآمر، الجبان، المخرِّب لمسيرة الأمن والسلام في لبنان، والخادم لمخطَّطات أعداء الأُمَّة العربية!

ولو طُلِبَ من أشدّ كارهي حافظ الأسد أن يصفه، لما أجاد في ذلك كما أجاد الأسد في وصف نفسه!

***

وللمفارقة (الطبيعية)، وبعد مرور 34 عاماً على تاريخ تلك البرقية الوقحة، خرجَ السوريون علانيةً لاستعمال المفردات القبيحة

ذاتها لوصف حافظ الأسد وابنه بشار، في ثورة شعبية عارمة صار العالم بعدها غير ما كان قبلها.

وبصيغة البرقية أيضاً، وفي مشهدٍ شهيرٍ لا يمكن لسوريٍّ نسيانه يوم 25 آذار 2011، كانت قَدَمُ ذلك المتظاهر الشجاع تركل وجه حافظ الأسد في الصورة العملاقة التي اعتلتْ مدخل «نادي ضبَّاط حمص»، وكأنها تصيح به: أيُّها الآثم... أيُّها المتآمر... أيُّها الجبان!

موقع «زمان الوصل»، **3** كانون الثاني **2019**

ميناء طرطوس وتقسيم سوريا

طوال سنوات الحرب الماضية، لم تشهد سوريا مثل هذه الأزمة الخانقة التي ضربت البلاد جرَّاء فقدان مادَّة البنزين.

***

بتاريخ التاسع من نيسان الفائت، التقى الرئيس الأميركي دونالد ترامب بنظيره المصري عبد الفتَّاح السيسي، وهمس في أُذنه همسةً استطاع رادار الإعلام الغربي التقاطها: امنعْ ناقلات النفط الإيرانية من عبور قناة السويس.

في أعقاب تلك الهمسة، علا ضجيجٌ في شوارع دمشق تبيَّن، في ما بعد، أنه صوت السائقين الغاضبين من انتظارهم الطويل أمام محطَّات الوقود الفارغة.

في العاصمة، صار لا يمكن قياس طول بعض تلك الطوابير إلا بالكيلومترات. وبلا أيِّ مبالغةٍ، صارت المسافة بين أوَّل الطابور وآخره تكفي لمرور مخطَّط كبير مثل مخطَّط تقسيم سوريا.

***

في ذروة الأزمة، طارَ نائبُ رئيس الوزراء الروسي يوري بوريسوف إلى دمشق للقاء بشار الأسد. كانت ثمرة اللقاء اتفاقاً معلناً على تأجير (الأصحّ: نقل ملكية) ميناء طرطوس لروسيا لمدَّة 49 عاماً، واتفاقاً غير معلن على أن تتولَّى روسيا مهمَّة تزويد النظام بالوقود بدل إيران.

مكمن الخطورة في هذا الاتفاق سلَّطت الضوءَ عليه صحيفةٌ روسيةٌ، «نيزافيسيمايا غزيتا»، حين سرَّبت من اجتماع الأسد – بوريسوف ما قاله الثاني للأوَّل عن أنَّ «حقول النفط الرئيسية في سوريا باتت الآن بعيدةً عن متناول يد حكومته».

الخبير العسكري الروسي الذي التقته الصحيفة قال، في السياق ذاته، بأنَّ «روسيا التي أوقفت تصدير النفط إلى أوكرانيا، قادرة على تلبية احتياجات الصناعة السورية من النفط».

مثل هذا الكلام له ترجمة وحيدة بلغة السياسة: انسوا المنطقة الشرقية (الغنيَّة بالنفط) التي تسيطر عليها الفصائل الكُردية.

***

إنَّ قبول نظام الأسد بصفقة كهذه (ميناء طرطوس مقابل النفط الروسي + نسيان النفط السوري في مناطق «قسد») يعني تسليمه ضمنيَّاً بالمشروع الأميركي – الإسرائيلي الذي يريد لمناطق «قوَّات

سوريا الديموقراطية - قسد» أن تكون اللبنة الأساس في «إعادة إعمار» ليس سوريا الجديدة، بل خارطة سوريا الجديدة المقسَّمة.

إنَّ بوريسوف حين التقى الأسد، في «القصر الجمهوري» الذي تحوَّل إلى مكتب عقاري، وقال له: انسَ المنطقة الكُردية، كان في حقيقة الأمر يقول له: انسَ سوريا القديمة.

موقع «زمان الوصل»، **2** أيَّار **2019**

حَمَلة أختام الكاوتشوك

لو جُمعت البيانات التي أصدرها نظام بشار الأسد في السويداء، ممهورةً بتواقيع مشايخ ووجهاء، ضدَّ وليد جنبلاط لملأت سلَّة كبيرة من المهملات.

فمنذ أن أعلن جنبلاط موقفه الداعم للثورة السورية، والنظام مع ذيوله، من سوريين ولبنانيين، يُدبِّجون البيانات ضدَّه ويرسلونها كي تُختم بأختام مشايخ ووجهاء اعتقدوا، واهمين، بأن امتلاكهم لختمٍ مصنوعٍ من الكاوتشوك يُخوِّلهم الحديث باسم دروز سوريا.

والواضحُ أنَّ ما يزعج النظام وذيوله، في الجبلَيْن، السوري واللبناني، هو أن شراسة الحملة على وليد جنبلاط لـمْ تُؤتِ أُكْلها في السويداء، إلَّا لدى الأقلِّية الانتهازية المرتبطة ارتباطاً عضوياً بمصالح النظام، والتي هانَ عليها أصلاً تراث سلطان الأطرش، فكيف لا يهون عليها تراث كمال جنبلاط ودمه الذي أُريق على يد عصابة القرداحة المارقة! (للمفارقة التاريخية، الأليمة والدالَّة، أن المدعوَّة كنانة حويجة عرَّابة صفقة نقل مقاتلي «داعش» من مخيَّم

اليرموك إلى بادية السويداء وما أعقب تلك الصفقة من هجوم دمويٍّ على القرى الشرقية في الجبل بتاريخ 25 تمُّوز الفائت هي ابنةً أخ اللواء إبراهيم حويجة المسؤول المباشر عن عملية اغتيال كمال جنبلاط سنة 1977).

في العمق، إنَّ مشكلة حَمَلة أختام الكاوتشوك في السويداء هي مع كلِّ صوتٍ رافض للتبعية، مع كلِّ صوتٍ رافض لـ«حلف الأقلِّيات» المدمِّر، مع كلِّ صوتٍ يرفض تحويل سلطان الأطرش إلى مجرَّد صورة تُعلَّق في المضافات.

إنَّ مشكلة حَمَلة أختام الكاتشوك هي مع أهل السويداء أنفسهم قبل أن تكون مع سواهم. هل ننسى البيانات الممهورة بأختام هؤلاء ضدَّ حركة الشيخ وحيد البلعوس، وضدَّ أي تحرُّك -حتى لو كان تحرُّكاً مطلبياً بحتاً- في الجبل، بل وحتى ضدَّ المنشورات المعارضة على وسائل التواصل الاجتماعي؟!

لقد بلغ أمر البيانات مبلغاً من الإسفاف راح فيه ذيول النظام في لبنان يكتبون بيانات التضامن مع أنفسهم بأنفسهم، ويرسلونها إلى حَمَلة الأختام في السويداء لختمها وإصدارها في الإعلام!

فعل ذلك، قبل أيَّام، وئام وهاب حيث كتبَ بيان تضامن مع نفسه بنفسه وأرسله كي يُختم في السويداء! وقبله كتبَ طلال

أرسلان، بخطِّ يده، بياناً ضدَّ جنبلاط وختمه بختم أحد «الوجهاء»، لتطير به جريدة «الأخبار» إلى صفحتها الأولى محاولةً إعطاء البيان قيمةً أضحكتْ كلَّ من قرأ الجريدة صباح ذلك اليوم.

في مقابل ذلك، لم تستأهل أحداثٌ كبرى في الجبل إصدار مثل تلك البيانات: استشهد ما لا يقلُّ عن ثلاثين معارضاً من زهرة شباب السويداء تحت التعذيب في سجون النظام، واغتيل الشيخ البلعوس مع العشرات من رفاقه في تفجير موكبهم، وفُصِلَ مئات الموظَّفين في المحافظة من وظائفهم بسبب خيارهم السياسي المعارض... دون أن يُكلِّف «الختَّامون» أنفسهم عناء إصدار بيان إدانة واحد!

لا أكتب اليوم دفاعاً عن أحد، بقدر ما أكتب دفاعاً عن نفسي وعن أهلي الذين يحاول إعلام المحور الطائفي خنق أصواتهم. دفاعاً عن صوت الجبل الذي يحاول حَمَلة الأختام تزويره. دفاعاً عن صيحات الذين داسوا تمثال حافظ الأسد في وسط السويداء وجرفوه بجرافة البلدية المخصَّصة لتجميع زبالة المدينة.

لقد طفح الكيل من حَمَلة الأختام الذين يحسبون صوت دروز سوريا شقَّةً ينتفعون من إيجارها. طفح الكيل من حَمَلة نعش كرامتنا الذين يحسبون أنفسهم مشايخَ ووجهاء دون أن ينتبهوا إلى أنهم قد

تحوَّلوا إلى مجرَّد مُعقِّبي معاملاتٍ للذلِّ والهوان و... الشتيمة.

موقع «زمان الوصل»، **10** كانون الأوَّل **2018**

مختطفات السويداء واعتراف بشار الأسد

خلال استقباله لعائلات مختطفات السويداء اللاتي تمَّ «تحريرهنَّ» قبل أيام، قال بشار الأسد العبارة التي تُعتبر أوَّل اعترافٍ رسميٍّ من النظام بأنه أخلى، عسكرياً، المنطقة الشرقية في محافظة السويداء قبل هجوم «داعش» على قرى تلك المنطقة.

قال الأسد في سياق حثِّه الشباب الدرزي على الالتحاق بالجيش لملء النقص العدديّ فيه: «حين صاروا يسألون: أين الجيش في المنطقة الشرقية؟ لماذا هو غير موجود؟ قلنا لهم: إنه موجود في المنطقة الغربية».

بالطبع، تأتي أهمية هذا الاعتراف في أنه يُؤكِّد صدقية الرواية التي تجعل الأسد ليس شريكاً في الهجوم فحسب، بل راعيه أيضاً. فهجوم «داعش» ما كان له أن يتمَّ لولا حدثان اثنان:

الأوَّل: نقلُ النظام لأكثر من ألف مقاتل «داعشي» من مخيَّم اليرموك إلى بادية السويداء ضمن تسويةٍ جرت بين النظام والتنظيم

وكانت عرَّابتها «الإعلامية» المدعوَّة كنانة حويجة.

والثاني: إخلاء الجيش لمواقعه كافَّةً شرقي محافظة السويداء قبل هجوم «داعش» بأيَّام.

بخصوص الحدث الأوَّل، فقد تمَّ توثيقه بالفيديو، حيث جرت عملية نقل مقاتلي «داعش» بالشاحنات إلى منطقتَي الأشرفية والعورة قبل أن ينتشروا في بادية المحافظة. وهو أمرٌ بات محسوماً لدى عامَّة الناس إلى درجة أن النظام لم يجرؤ على تكذيبه إطلاقاً، واكتفى بعدم التعليق عليه.

أمَّا الحدث الثاني، فها هو رأس النظام يقوم بتوثيقه -دون أن يقصد- في كلامه أعلاه.

لقد جرى سحب قطعات الجيش من مواقعها شرقي المحافظة قبل أيام من الهجوم، بحجَّة مشاركتها في الحرب المزعومة -والتي لم تحدث- في درعا. وهكذا فُرِشَ السجَّاد الأحمر للدواعش - فرع النظام (الذين نُقلوا بالشاحنات) لكي يهجموا على تلك المنطقة. وبالتالي، فإنَّ ما كان يُعتبر «رواية المعارضة» صار اليوم «رواية النظام» أيضاً بعدما تمَّ تأكيده بلسان الأسد نفسه.

لقد أكَّد الأسد في كلمته لأهل المخطوفين كلَّ ما قلناه عن هدف النظام من تدبير هذه المذبحة في الجبل.

لقد قلنا إن النظام دبَّر هجوم «داعش» لكي يُجبر الأربعين ألف شابّ درزي رافض للخدمة العسكرية على الالتحاق بالجيش. وهاهو الأسد يؤكِّد صحَّة كلامنا حيث قال لأهالي المخطوفين بأنَّ كلَّ متخلِّف عن الخدمة العسكرية يتحمَّل ذنب ما جرى في السويداء! والمعنى أنَّ من يرفض الخدمة في الجيش سيُحرَم من خدمات هذا الجيش.

كلُّ من يعيد سماع كلمة الأسد لا يجد فيها غير لوم الدروز على عدم الالتحاق بالجيش وحثِّهم على الالتحاق. الحياد لن يُجنِّبكم المذبحة. هي ذي خلاصة الكلمة.

استشهد بشار بسلطان الأطرش الذي عمل أبوه، حافظ الأسد، كلَّ ما في وسعه لطمس تراثه وتهميشه حيًّا وميتاً. استشهد بثورة سلطان الأطرش ضدَّ الاستعمار، غافلاً عن أنَّ آخر رسالة بعثها الأطرش لأبيه الدكتاتور كانت برقيةً، غاضبةً وعقلانيةً، بعد حملة الاعتقالات الشاملة التي طاولت كبار ضبَّاط الدروز في الجيش، والتي قال له فيها: «لقد اعتاد الجبل وما يزال أن يقوم بالثورات لطرد المستعمر، ولكنَّ شهامته تأبى عليه أن يثور ضدّ أخيه ويغدر ببني قومه. هذا هو الرادع الوحيد» (كانون الأول 1966).

لكنَّ الرادع الذي ردع سلطان الأطرش عن مواجهة فئةٍ من

السوريين، لم يردع هذه الفئة التي قادها آل الأسد عن القيام بحرب إبادة أهلية.

***

في المحصلة، اعترف بشار الأسد، بشكل صريح، بأنه سحب جيشه قبل الهجوم بأيام، واعترف، بشكل مبطَّن، بأن سبب الهجوم هو عدم التحاق شباب الدروز بالخدمة العسكرية.

ما قلناه بغضبٍ... قاله الأسد بوقاحةٍ.

ما قلناه ونحن ننال سهام التخوين... قاله الأسد وسط التصفيق والأهازيج.

كان أَوْلى بأهالي المختطفين أن يُذكِّروه بعشرات الشهداء من الشبَّان الذين تفازعوا من مختلف أنحاء الجبل لصدِّ الهجوم، والذين كان بينهم من هو رافض للخدمة العسكرية.

كان أَوْلى بأهالي المختطفين أن يرفعوا صورَ هؤلاء الشبَّان الذين دفعوا حياتهم لأجلهم، بدل أن يرفعوا على أكتافهم المجرمَ الذي أشاد أمامهم بجيشٍ أخلى مواقعه قبل بدء الهجوم.

موقع «زمان الوصل»، **15** تشرين الثاني **2018**

عن السويداء و«العيشة الذليلة»

أعادت مطربةٌ من السويداء غناء إحدى أهازيجنا الشهيرة والتي تقول: «خَسَا (خَسِئ) من قال عيشتنا ذليلة».

لكنَّ الحقيقة لا تقيم في كلمات الأغاني، بل في نشرات الأخبار. الحقيقة هي ما تراه أعينُ الناس، لا ما نُردِّده عن أنفسنا. فعيشتنا ليست ذليلة فحسب، بل وذليلة جداً.

وما يزيد من ذلِّ هذه «العيشة»، أننا لم نكتفِ بتشويه حاضرنا، بل مددنا يدنا إلى الماضي ورحنا نُشوِّه فيه. رحنا نقصُّ من عباءة هذا الماضي لستر عوراتنا اليوم. ولم تنسترْ عوراتنا، وتقطَّعت عباءة الماضي إرباً إرباً.

وما يزيد من بؤس واقعنا -نحن أبناء جبل العرب- أننا وَرَثة تاريخٍ، بدل أن نحافظ عليه، قامَ بعضٌ منَّا بـ«التبسيط» به على رصيفِ المذبحة الأهلية الجارية في سوريا لبيعه كأيِّ قطعة أنتيكا.

فبعض عاداتنا التي جَدَلها الأجداد بحبل الوريد، ها نحن نمارسها اليوم بطريقةٍ أين منها الهزل على مسرح الدكتاتور: رفعُ العمامة عن

رأس الشيخ، كَسْر الفنجان بعد شرب القهوة، أهازيج الحرب... وطقوس كثيرة كان الجبل في الماضي لا يكون بعدها كما كان قبلها.

هل يعلم ذلك الشيخ المهرِّج الذي رفع اللفَّة (العمامة) عن رأسه في حضور موفد السفَّاح ماهر الأسد، بأن عمامة الدروز لا تُرفع تحيةً للمعتدين بل تُرفع لإعلان الحرب عليهم، وبأن أوَّل من اجترح هذا الطقس الذي يعني أن رافعَ العمامة طالبُ موتٍ هو شاعر الدروز وفارسهم الشيخ أبو علي قسَّام الحنَّاوي حيث رفع عمامته في معركة قرَّاصة ضدّ العثمانيين سنة 1878، ومن بعده رفعها رفاق سلطان الأطرش قبل معركة الكَفر ضدَّ الفرنسيين سنة 1925؟

هل يعلم ذلك الإمَّعة الذي رفع عمامته في حضور موفد ماهر الأسد بأنه لم يفعل شيئاً سوى الكشف عن قَرْعته أمام الناس، والكشف أيضاً عن واقعنا الـمُزري والأليم في السويداء؟!

هل يعلم الهُزْأة الآخر الذي رفع بشار الأسد على كتفيه بأنه رفع نعشاً لآخِر أملٍ لنا في الوقوف ببقية احترام أمام تاريخ الجبل وأجدادنا الذين جعلوا شاعر دمشق محمد البزم يقول سنة 1925: «غادرْ دمشقَ ويمِّمْ دارَ سلطانا/ على السويداء لا تحفلْ بمن مانا».

نحن اليوم حالنا في السويداء كحال أيِّ وريث فاشل بدَّد ثروة

أبيه. نحن أبناء جبل العرب اليوم الورثة الفاشلون لثروة لا تُقدَّر بثمن بدَّدناها بلعبة قمار في كازينو آل الأسد.

نعم أيتها السيِّدة التي غنَّت بحماسةٍ: «خَسَا من قال عيشتنا ذليلة»، فعيشتنا ليست ذليلةً فحسب، بل وذليلة جداً، ولن تستطيعي تغيير الحقيقة بصوتكِ الجميل.

موقع «زمان الوصل»، **26** تشرين الثاني **2018**

«وادي الصراخ»
بين السويداء وإدلب

لا وجود لسوريٍّ واحدٍ لم يسمع بـ«وادي الصراخ». لأنه لا وجود لسوري واحد لم تكن قضية الجولان بالنسبة إليه قضيةً وطنيةً عاطفيةً مرتبطةً بوجدانه الشخصي قدر ارتباطها بالوجدان السوري العام.

فمنذ سبعينيات القرن الفائت، أُطلق مُسمَّى «وادي الصراخ» على نقطةٍ تفصل بين أرض الجولان المحتلّ والأرض السورية الأمّ، وفيها كان يقف أهل القرى المحتلَّة على ضفَّةٍ وأقاربهم على الضفَّة المقابلة، ليتبادلوا التحايا وكلمات التشجيع عبر مكبِّرات الصوت.

والحقّ أن ما أعادني إلى ذلك المصطلح، أو بالأحرى ما أعاده إلى ذاكرتي، هو تلك التحيَّة التي تبادلتها مدينة السويداء -التي انتفضت مجدَّداً في الأيام الأخيرة ضدَّ نظام الأسد- مع بقية المدن السورية الثائرة. حيث هتف متظاهرو السويداء للمدن السورية بأسمائها، فقامت تلك المدن بالهتاف للسويداء باسمها.

وخصوصية تلك التحية بين السويداء وبقية المدن السورية شديدةٌ جداً، ومختلفةٌ أيضاً عن تبادل التحية بين حمص ودير الزور مثلاً، أو بين إدلب وحماة، أو بين درعا وحلب. وسبب تلك الخصوصية -كما لا يخفى على كلٍّ من شهدَ فصول الثورة المدنية السورية التي حوَّلها النظام إلى اقتتال طائفي- أن تبادل التحية هنا يتمّ بين مدينة «درزية» ومدن «سنِّية» جرَّب النظام كلَّ الأساليب الاستخباراتية القذرة للإيقاع بينها وللحيلولة دون تواصلها معاً.

فقد بدأت مشاركة السويداء بالمظاهرات والاعتصامات باكراً جداً (نفَّذ محامو السويداء أوَّل اعتصام بتاريخ 28 آذار 2011)، ولكنها سرعان ما خفتت بعدما بدأ النظام ألعابه الطائفية. وشخصياً أعتبر بأنَّ فيديو «الشيخ» (المخابراتي) عبد السلام الخليلي الذي شتمَ فيه أعراض الدروز ورموزهم من على منبر مسجد في درعا، في الأيام الأولى للثورة، كان له الأثر الأكبر في فتور شريحة واسعة من أبناء السويداء، خصوصاً أن النظام وأعوانه نجحوا في تعميم الفيديو بشكل لا مثيل له بين الناس.

مع ذلك ظلَّت المظاهرات تخرج، ولكن بشكل متقطِّع، وتبعاً لقوَّة الحدث (بلغت ذروتها بعد اغتيال الشيخ وحيد البلعوس ورفاقه سنة 2015).

وقد سبق لي أن أطلقتُ على ذلك الحراك المتقطّع مُسمَّى «الـهَبَّات»، تيمُّناً بانتفاضة سنة 2000، المعروفة شعبياً بمُسمَّى «هَـبَّة السويداء»، والتي استُشهد وجُرح خلالها العشرات من شباب الجبل، ولم تنتهِ إلا بعدما احتلَّت الدبَّابات شوارع السويداء ومداخلها، وقد كانت أوَّل انتفاضة شعبية في عهد بشار الأسد، وقد حصلت بعد أسابيع قليلة من وصوله إلى الحكم. وبسببها -لمن يذكر- اختار بشار الأسد زيارة السويداء حصراً سنة 2011 بعد اشتعال الثورة في تونس، ظنَّاً منه بأن الثورة ستنطلق من «جبل الدروز» ذي التاريخ المشهود له في الثورات المسلَّحة ضدَّ العثمانيين وإبراهيم باشا المصري والفرنسيين، وصولاً إلى أديب الشيشكلي.

ولأننا لسنا في وارد أيّ سرد تاريخي، بل ولسنا في صدد تحليل أسباب مشاركة أو عدم مشاركة دروز سوريا في الثورة الحالية، فيمكننا الاكتفاء بتثبيت النقطة الأهمّ في ذلك كلِّه، ألا وهي موقف السويداء بالامتناع عن إرسال أبنائها إلى جيش النظام (لا يوجد إحصاءات رسمية ولكنَّ التقديرات الأهلية باتت تتحدَّث عن 50 ألف شاب رافض للخدمة العسكرية).

هذا الموقف الذي جلب لها الويلات؛ من اغتيالاتٍ طالت بعض رموزها، وتشكيل عصابات خطف روَّعت المحافظة بأَسْرها،

إضافةً إلى الهجوم الدموي لـ«داعش» على قُراها الشرقية (25 تمّوز 2018) بعدما تمَّ نقل ألف عنصر من التنظيم، بموجب صفقة رعاها الروس، من جنوبي دمشق إلى بادية السويداء بباصات النظام وشاحناته.

لذلك أعطى هذا «الاستئناف» الثوري، الذي صنعته مظاهرات السويداء، زخماً كبيراً لاستئناف روح الوحدة الوطنية بين المناطق السورية، خصوصاً حين تمَّت ملاقاته من إدلب التي ترزح تحت حكم «جبهة النصرة»، لتتبادل مدينتان سوريَّتان، من على ضفَّتَيَ الاستبداد، التحيَّةَ... رادمتَيْن بذلك «وادي الصراخ» الذي حفره نظام الأسد بالتفرقة الطائفية.

موقع «أساس ميديا»، 10 حزيران 2019

حكاية ياسر السليم

حكاياتٌ كثيرةٌ تستحقُّ أن تُروى في سوريا، وحكاية ياسر السليم إحداها.

***

في عقر دار «جبهة النصرة»، رفع المحامي ياسر السليم لافتة تضامن مع مختطفي السويداء الذين اختطفهم «تنظيم داعش».

في عقر دار تنظيم يقوم بالخطف والذبح على الهوية الطائفية، رفع ياسر السليم لافتةً تُدين الخطف والذبح على الهوية الطائفية.

في عقر دار «داعش - فرع سوريا»، رفع ياسر السليم لافتةً ضدَّ «داعش - فرع العراق».

وباختصار، لقد رفع ياسر السليم اللافتة التي كُتِبَ على وجهها ما يُدين البغدادي، ولكنْ كُتِبَ على قفاها ما يُدين الجولاني.

بالطبع، لا يحتاج الجولاني إلى تلك اللافتة لاعتقال ياسر السليم.

لا يحتاج من اغتال رائد الفارس (صانع لافتات كفرنبل)

ورفيقه في وضح النهار إلى ذريعةٍ لاعتقال أحد.

لا يحتاج من يفتح النار على باص مدني فيقتل طفلاً ويصيب آخرين -لأن سائق الباص رفض قطْع وصل من كراج يتبع لـ«النصرة»- إلى حجَّة لاعتقال إنسان.

مع ذلك، فإن «صراحة» تنظيم الجولاني في الإشارة إلى لافتة التضامن كسببٍ للاعتقال، تعطي المأساة وجهها الأول، قبل أن يقوم باستكمال وجهها الثاني أهالي المخطوفين أنفسهم، والذين دخل ياسر السليم السجن لأجلهم.

فبعد إطلاق سراح مخطوفي السويداء الذين -وكما بات يعرف الجميع- وقف نظام الأسد وراء عملية اختطافهم بشكل لا لبس فيه، جاء أهلهم (أو الجزء الأكبر منهم) وشكروا بشار الأسد ورفعوه على أكتافهم! وبعيداً عن فرضية أنهم كانوا مجبرين أو غير مجبرين على فعل ذلك، فما حدث هو أنهم بدل أن يرفعوا صورة ياسر السليم الذي دخل غياهب المجهول لأجلهم، رفعوا بشار الأسد.

وهكذا، مَنْ كان يجب أن يُرفع على الأكتاف دخل إلى السجن، ومن كان يجب أن يدخل إلى السجن رُفِعَ على الأكتاف.

لقد كنتُ أنظر إلى صورة العار تلك، في ذلك اليوم، وأتخيَّل الجولاني داخلاً على ياسر السليم في زنزانته، مبتسماً شامتاً، وهو

يرفع بيده تلك الصورة، كمن يرفع إشارة النصر(*).

لقد كنتُ أنظر إلى الصورة، وأتساءل عن حجم الأمل الحقيقي في وجود طريق نجاةٍ لنا نحن الذين نشبه ياسر السليم. طريق نجاة لا يمرُّ بـ«سجن التوبة» الذي غُيِّبتْ فيه رزان زيتونة ورفاقها، أو بـ«سجن العقاب» الذي غُيِّبَ فيه ياسر السليم ورفاقه.

حكاية ياسر السليم هي حكايةُ كلِّ سوريٍّ أراد ثورة وطنية نظيفة. كلّ سوريّ أراد ثورة عابرة لهويات المناطق والطوائف والفصائل. كلّ سوريّ مغلوب على أمره اليوم، ولا يملك إلا حلمه ليواجه به أعداءَ هذا الحلم.

حكاياتٌ كثيرةٌ تستحقُّ أن تُروى في سوريا.

موقع «زمان الوصل»، **27** كانون الأول **2018**

(*) بعد خروجه من السجن، أكَّد لي المحامي ياسر السليم أن ما «تنبَّأتُ» به في مقالي هذا قد حصل فعلاً، مع فارق أن من دخل عليه الزنزانة شامتاً ليس الجولاني بل أزلامه.

سجون الفصائل

من رأى آثار التعذيب على جسد الناشط الإعلامي بلال سريول، لن يخطر في باله بأنه كان سجيناً لدى فصيل مسلَّح يدَّعي بأنه يقاتل من أجل الحرِّية.

72 ساعة اعتقال في سجنٍ يتبع لما يُسمَّى «فرقة السلطان مراد»، ذاق خلالها سريول شتَّى صنوف التعذيب الجسدي، وخرج بكدماتٍ اعتدنا على أن تكون صنيعة يد الاستبداد لا صنيعة يد الحرِّية!

ربما كانت لسعة الكرباج على جسده أشدَّ وأقسى من لسعة أيِّ كرباج آخر، لأنها تتمُّ باسم الحلم الذي خرج جيلُ سريول في سبيله.

في حدود علمنا أنَّ الاستبداد، فقط، هو الذي يملك سجوناً لتعذيب معارضيه. فلم نسمع يوماً بأنَّ «الحرِّية» لها سجون وجلَّادون وكرابيج.

في حدود علمنا أنَّ الحرية والكرباج نقيضان، وأن طلَّاب الحرِّية

لا يمكن أن يحملوا كرباجاً.

خارطة سوريا التي كانت مليئة بالنقاط السوداء الدالَّة على مواقع سجون النظام، بات لها نسخةٌ شبيهةٌ لمواقع سجون الفصائل.

في تلك السجون تقبع الأحلام المحطَّمة لكلِّ سوريٍّ خرج يواجه الاستبداد بحنجرته. في تلك السجون يقبع المستقبل الذي حسبناه يقف منتظراً عند آخر النفق. في تلك السجون تبخَّرت رزان زيتونة ورفاقها وغاب ياسر السليم وعبد الحميد البيوش.

لقد استنسخت تلك الفصائل تجربةَ النظام بحذافيرها، من الكلابشة إلى الصعق بالكهرباء إلى «بساط الريح» و«الشبح». لقد استنسخت الظلام لكنْ بلون أعمق، والظلم لكنْ برايات مقدَّسة.

وبعد كلِّ هذه السنوات الجدباء من حكم الفصائل، وبعد كلِّ هذه التجارب المكرَّرة لمقلِّدي جلَّاديهم، ثبتَ للسوريين بأنَّ أحلام قادة تلك الفصائل لم تتعدَّ حدود أن يكونوا على هيئة الدكتاتور الذي زعموا بأنهم خرجوا ضدَّه.

إنَّ الحرِّية في مفهوم هؤلاء هو الاستبداد لكنْ حين يطلق لحيته. الاستبداد حين لا يكون حليقاً. الاستبداد حين يستبدل شعاراً فضفاضاً بشعار فضفاض آخر.

اعتقال عشوائي ليس للمعترضين على سلوك الفصائل

فحسب، بل لكلٍّ من قد لا يعجب رأيه السياسي قائد الفصيل المسيطر في المنطقة. لا قضاء ولا محكمة، وإن وُجدا أحياناً فمن مستلزمات الديكور الرثّ.

مساجين سابقون في سجون النظام باتوا سجّانين حاليين في سجون الفصائل. أحد أشهر الجلّادين اليوم كان نزيلاً في سجن صيدنايا. أحد أشهر الجلّادين في سجنٍ يتبع لأحد الفصائل يُطبِّق على أجساد الآخرين ما طبَّقه جلّادو صيدنايا على جسده. يا لهذا الغرام الرهيب بلعب دور الجلّاد!

لقد كان أمامي اليوم موضوعان للكتابة عنهما: الأصوات المخنوقة لمعتقلي «سجن حماة المركزي» مع دخول إضرابهم عن الطعام اليوم السابع احتجاجاً على أوضاعهم اللاإنسانية وعلى أساليب التعذيب التي يمارسها جلّادو النظام عليهم... والأصوات المخنوقة لمعتقلي سجون الفصائل وممارسات التعذيب الممنهج ضدَّهم.

لقد كان أمامي اليوم خياران للكتابة، خياران للبكاء، خياران للتأمُّل في مغزى هذه الكارثة المستطيلة التي تعمُّ البلاد.

موقع «زمان الوصل»، **19** تشرين الثاني **2018**

اقتتال الفصائل واستمراء الكذب

لا يكاد يمرُّ شهرٌ على المناطق التي اصطُلحَ على تسميتها بـ«المحرَّرة»، إلا وينشب اقتتالٌ دامٍ بين فصائل مسلَّحة يدَّعي كلٌّ منها بأنه حامل الراية الثورية، بطبعتَيْها الوطنية والإسلامية. ولو وُضِعَتْ تلك الفصائل في ميزان الوطنية والإسلام لما كانت أكثر من تجمُّعات مسلَّحة عديمة الإحساس بأيّ معنى من معاني المسؤولية الطبيعية تجاه أهلها ومجتمعها، فما بالكم بالمسؤولية الثورية!

ولا أُخفيكم بأنه طُلِبَ منِّي في الأيام الفائتة، من قبل أحد تلك الفصائل، أن أستحثَّ قلمي في فضح بغي «جبهة النصرة» عليها. وبكلِّ صراحة لقد اعتذرتُ عن فعل ذلك لسببٍ بسيطٍ وجوهريٍّ في الآن ذاته. فحقيقةُ أنَّ كون الطرف الباغي في كلِّ مرَّة هو «جبهة النصرة»، لا تكفي للشهادة بحسن سلوك بقية الفصائل التي تقاتل ضدَّها.

فأنا، منذ الخيانة الكبرى في تسليم مدينة حلب، والتي كانت القطرة التي طفح بها الكيل، لم أعد أنظر إلى دور تلك الفصائل

خارج إطار الارتزاق للجهة التي تدفع. كما أنَّ غياب المشروع الوطني -وبهذا الشكل الـمُزري- عن أجندة معظم الفصائل يكاد يضعها في كفَّة واحدة مع «جبهة النصرة».

وإلَّا، فليدلَّني أحدُكم على أيِّ فرقٍ جوهريٍّ بين تلك الفصائل وفصيل «النصرة»، سوى ارتباط الأخيرة بـ«تنظيم القاعدة»؟ في معنى أنه لو صدقَ الجولاني بإعلان فكِّ ارتباطه بالتنظيم الأمّ فسيصعب على أيٍّ منَّا تحديد فرق حقيقي -على صعيد غياب المشروع الوطني- بين فصيله وبقية الفصائل.

أليس خيانةً لدورنا، كأقلام للثورة، أن ندافع عن فصائل «فضيلتها» الوحيدة تكمن في أنها لم تُبايع «القاعدة»؟

أليس استمراءً للكذب أن نستمرَّ في استعمال دشداشة الجولاني لستر عورات من لا يختلفون عنه كثيراً في عدائهم للخطاب الوطني الجامع؟!

لا أعرف بماذا يختلف نهج بقية الفصائل عن نهج «جبهة النصرة». لا أعرف بماذا تختلف مكائد الفصائل لبعضها بعضاً عن مكائد «جبهة النصرة» لها. بل لا أعرف كيف نستطيع التمييز بين سلوك الفصائل مع المناطق التي تحكمها وسلوك «النصرة» مع المناطق التي تحكمها (هل ظلام سجون الفصائل أقلّ حلكةً من

ظلام سجون «النصرة»؟).

***

لقد سادَ الاستبدادُ بالتقنية القديمة ذاتها التي سادَ بها الاستعمار: فَرِّقْ تَسُدْ.

لذلك فإنَّ الضربة الفكرية العميقة التي تلقَّتها الثورة كانت في تبنِّيها عَلَم «الثورة السورية الكبرى» دون تبنِّيها شعار تلك الثورة: «الدين لله والوطن للجميع». أي كانت في تبنِّيها شكل العَلَم دون تبنِّي مضمونه! حتى بات هذا العَلَم -الذي تمَّ تفريغه من معناه- أشبه بشيك بلا رصيد.

***

إنَّ ضحية الاقتتال الدائر، والدائم، بين الفصائل ليس الناس الأحياء فحسب، بل أيضاً الناس الموتى الذين قضوا كشهداء لحلمٍ راودَ أجيالاً سوريَّةً كاملةً قبل أن يجرؤ جيلٌ شجاعٌ على أن يجهر بهِ ويجهر بقبوله دفع الثمن الباهظ له.

إنَّ من بين ضحايا هذا الاقتتال أسماء الذين استشهدوا في مطلع الثورة لتحرير المناطق التي أُعيد احتلالها تحت عناوين لا تمتُّ إلى الحرية بصلةٍ، ولا إلى الوطنية بصلةٍ، ولا إلى الثورة بصلةٍ.

إنَّ من بين ضحايا هذا الاقتتال أسماء شهداء ربَّما أسعفهم

الحظُّ بأنهم استشهدوا على يد ميليشيات النظام وليس على يد «إخوة السلاح».

السكوت عن حقيقة هذه الفصائل، المتحلِّلة من كلِّ مسؤوليةٍ، صار جريمةً تستحقُّ أن يلعننا التاريخ عليها. وإذا كان الساكتُ في الماضي يجيب عندما يُسأل عن شيء فيه حَرَج: «في فمي ماء». فنحن أيتام هذه الثورة في فمنا دماء، بل ودماء كثيرة يكفي أن نفتح أفواهنا لها ونتركها تتكلَّم.

موقع «زمان الوصل»، **7** كانون الثاني **2019**

عن «القائد الذي سامح شعبه»!

بلغةٍ ركيكةٍ، تُوحي بأُمِّية صاحبها، قال الشيخ أحمد الدحَّام الخرفان، أمام شيوخ يُشاركونه ضعف التعليم والثقافة، ضمن «اجتماع عشائريّ» التأمَ في أثريا بريف حلب، بأنَّ بشار الأسد هو «قائد سامحَ شعبه وبدأ بالمصالحات وكلّ يوم يصدر مرسوم عفو تلو الآخر ليعفو عن شعبه»!

مثل هذا الكلام ما كان ليستحقَّ أن يكون مادَّةً للصحافة، أو حتى للتداول، لولا أنه يُراد له أن يكون أحد عناوين المرحلة المقبلة في سوريا: الرئيس يعفو عن الشعب.

***

لكنَّ «القائد الذي سامح شعبه» لم يستطع أن يسامح وسام الطير، مؤسِّس أكبر شبكة إعلامية مؤيِّدة للنظام، بسبب انتقاده البسيط للأوضاع المعيشية في سوريا، فاعتقله ونكَّل به.

لكنَّ «القائد الذي سامح شعبه» لم يستطع أن يسامح جماعته، التي قاتلت من أجله، بمجرَّد أن أبدتْ بعض التململ لطول الطوابير

التي تقف فيها لاستلام قنينة غاز، فأفلتَ عليهم أحد أبناء عمومته، المجرم وتاجر المخدِّرات وسيم الأسد، ليتوعَّدهم ويُهدِّدهم ويصفهم بأقذع الأوصاف.

لكنَّ «القائد الذي سامح شعبه» لم يستطع أن يسامح حتى الذين خانوا الثورة وعادوا إلى أحضانه صاغرين متأسِّفين. فهذا نوَّاف البشير، شيخ عشيرة البكَّارة، معتقلٌ منذ شهور في أقبية أحد الفروع الأمنية دون أن تعرف عائلته عن مصيره شيئاً.

لكنَّ «القائد الذي سامح شعبه» لم يستطع أن يسامح حتى «الضفادع» الذين لعبوا دوراً أساسياً في تسليم العديد من المناطق الثائرة عبر لعبة «المصالحات» الوهمية، فاغتال الكثير منهم ممن لا تتَّسع هذه السطور لحصر أسمائهم.

***

بالطبع، ولمن يعرف الحركة الحثيثة لآلة النظام الدعائية الموجهة إعادة إنتاج «الهيبة» المفقودة لصورة النظام المتهالك، يعرف بأن الكلام عن «القائد الذي سامح شعبه» لم يصدر عفو الخاطر عن قائله، وإنما وُضِعَ على لسانه ليقوله.

فهذه اللغة، المستلَّة من قواميس العبيد، تنتمي إلى زمن ما قبل الثورة، أي الزمن الذي مضى وانقضى ولم يعد في وسع أحد

استعادته. حتى مؤيِّدي النظام صار مثل هذا الزمن بالنسبة إليهم من الماضي، وما ارتفاع صوتهم الناقد للأوضاع المعيشية المزرية، ضدَّ النظام الذي توافقوا على تسميته بـ«الحكومة»، سوى دليل على انقضاء ذلك الزمن إلى غير رجعة.

العقل القديم للنظام ما يزال يعتقد بأن إجبار الشعب على الاستسلام، بأكثر الطرق إذلالاً، هو الحلُّ الوحيد لمعضلة ضياع الهيبة.

إنَّ «النصر» العسكري لا قيمة له من دون النصر النفسي، لأنَّ إعلان النصر غير ممكن ما دام الناس لا يكفُّون -وهم على مقربة من الدبَّابات- عن الاستهزاء بالرئيس وحكومته.

لذلك يبذل العقل القديم للنظام كلَّ ما في وسعه لاستعادة الهيبة المفقودة. ولذلك جاء إصدار مراسيم العفو الشكلية، والمتكرِّرة، للإيحاء بأنَّ القرار لـمَّا يزل في يد النظام. ولذلك جنَّ جنون مسؤوليه لانتقادات المؤيِّدين وسخريتهم من الحال الذي وصلت إليه البلاد.

وهكذا صار من اللازم على الأسد ألَّا يُعيد «تربية» معارضيه فقط، بل أن يُعيد تربية مؤيِّديه أيضاً.

***

إنَّ استعمال تعابير مثل المسامحة والعفو، لا يبتغي أبداً إضفاءَ أيِّ بُعدٍ إنسانيٍّ على المجرم القادر على المسامحة، بل تقديم نموذج لبقية السوريين لإعادة تقديم فروض الطاعة.

العبث بمسرح الجريمة، عبر وضع المجرم في مكان الضحية، وبالتالي منحه الحقّ بالمسامحة والعفو، لا يقصد أكثر من العبث بعقارب الزمن من خلال إعادة كلِّ شيءٍ إلى سابق عهده.

إنها، باختصار، لعبة العقل القديم للنظام الذي ما يزال يحاول، يائساً، جمع الأجزاء المتناثرة لـ«هيبته»، التي عَلِقَ بعضُها بأحذية المتظاهرين الأوائل، مع الحصى والزجاج المكسور.

موقع «زمان الوصل»، **4** شباط **2019**

بشار برواية بندر

المرَّة الأولى التي اهتممتُ فيها بمعرفة المزيد عن أدوار الأمير السعودي بندر بن سلطان كانت في سنة 2005، حين نشر موقع يتبع للمخابرات السورية اسمي، بين أسماء معارضين سوريين ولبنانيين، قائلاً بأننا من «جماعة بندر»!!

كان ذلك الموقع -المشهور آنذاك- يُدعى «فيلكا إسرائيل»، وقد أطلقتْ عليه مخابرات الأسد هذا الاسم لكي تُسرِّب عبره معلوماتٍ وتقاريرَ، تزعم بأنها إسرائيلية أو نقلاً عن مصادر إسرائيلية، تحاول إظهار المعارضين كعملاء لإسرائيل، خصوصاً بعد اشتداد الحملة الدولية على النظام إثر تورُّطه في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري.

في البداية ركَّز الموقع على ربط المعارضين بإسرائيل، لكنه سرعان ما تحوَّل إلى التركيز على ربطهم ببندر بن سلطان. وقد بلغ الموقع في مسعاه «البندريّ»، يومذاك، درجةً من الابتذال دفعتني إلى تحوير اسمه من «فيلكا إسرائيل» إلى «فيلكا بندر».

تلفزيون مثل «المنار»، وقد كان يحظى بمتابعة واسعة في سوريا، راح يستلُّ تلفيقات الموقع، ضمن تنسيق مخابراتيّ واضح، ليُبرزها كعناوين في نشرات أخباره وبرامجه الحوارية.

وقد كانت «ميزة» ذلك الموقع -إذا جاز لنا الحديث عن ميزة ونحن نتحدَّث عن نفايات إخبارية سامَّة- أنه قدَّم نفسه كموقع استخباراتي إسرائيلي متخصِّص بنشر المعلومات «السرّية»، وفي الوقت ذاته كان ينشر مقالاتٍ ونصوصاً (ملفَّقة) موقَّعةً بأسماء معارضي النظام في سوريا ولبنان بصفتهم متعاونين معه (نشر الموقع باسمي أكثر من عشرة نصوص ومقالات مسيئة، بل إنه نشر خبراً أعلن فيه أني تسلَّمتُ إدارة قسمه الثقافي!).

وقد أصدر معارضو النظام، تباعاً، العديد من بيانات التوضيح للرأي العام الذي أرادت مخابرات الأسد تضليله، إلى أن انكشف أمر هذا الموقع للجميع، وبأنه لا علاقة لإسرائيل به، بل هو مجرَّد أداة مخابراتية تضليلية لنظام الأسد لتشويه سمعة كلِّ من قال له «لا»، في سوريا ولبنان.

والحقيقة أنَّ ما أعاد إلى ذهني تلك الذكرى، هو الحديث الصحافيّ، المطوَّل والمثير، الذي أدلى به بندر بن سلطان لموقع «إندبندنت العربية»، والذي جاء سردياً أشبه بكتابة المذكِّرات،

ضاجّاً بالعديد من التفاصيل المهمَّة عن كثير من الأحداث في المنطقة والعالم، والتي كان للأمير السعودي دورٌ فيها بحكم المناصب الحسَّاسة التي كان يتقلَّدها، سواء كرئيس للاستخبارات السعودية، أو كسفير للرياض لدى واشنطن لأكثر من 22 عاماً.

ومن بين تلك التفاصيل والأحداث، والتي يُروى بعضها للمرَّة الأولى، ما يتَّصل بسوريا وعائلة الأسد، وتحديداً شخصية بشار الأسد.

فمن بين القصص العديدة التي أوردها بندر بن سلطان حول بشار الأسد، ثمَّة ثلاث قصص تستحقُّ التوقُّف عندها، ليس فقط من أجل تفسير بعض الأحداث التي كان بعضنا يستغرب حدوثها مع بشار (كإصرار بوتين على إهانته بروتوكولياً وبشكل متكرِّر)، بل أيضاً لإلقاء بعض الضوء المساعد على سَبْر أغوار شخصية هذا الشاب المهزوز الذي جاء، بصدفةِ موت أخيه الأكبر، إلى الحكم، وحصلت في عهده أكبر حملة إبادة سكَّانية في تاريخ سوريا منذ اجتياح المغول لبلاد الشام في القرن الثالث عشر الميلادي.

الحادثة الأولى: «نبوءة» بوتين

سنة 2012 التقى بندر، وكان ما يزال رئيساً للاستخبارات

السعودية، بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين ليجسَّ نبضه بخصوص موقفه الفعليّ من الثورة في سوريا ومصير بشار الأسد، فإذا ببوتين يقوم بلوم السعوديين على ما أسماه «تضخيم دور بشار»، قائلاً لبندر: «أنتم من رتَّب له زيارة لشيراك، ثمَّ زيارة لندن. هل تعلم بأنني دعوته أكثر من مرَّة لزيارة موسكو ولم يأتِ؟ لكن أنا باقٍ هنا، وستأتي اللحظة التي يأتيني فيها حَبْواً على يديه ورجليه».

هذه الحادثة التي لم يُكذِّبها الروس -بل على العكس من ذلك قاموا بتأكيدها بشكل غير مباشر من خلال تغطية الإعلام الروسي لحديث بندر- تُفسِّر لنا كلَّ ذلك الازدراء البروتوكولي المتعمَّد الذي يواظب بوتين على القيام به مع بشار الأسد، والذي حاول إعلام النظام إظهاره بمظهر الأحداث العفوية التي تأتي في سياق العلاقة الدافئة بين الرجلين (بلغ هذا الازدراء أقصاه يوم 11 كانون الأول 2017 في اللقطة الشهيرة لضابط روسي وهو يمسك الأسد من ذراعه ويمنعه من اللحاق ببوتين أثناء زيارة الأخير لقاعدة حميميم).

فإذاً، كلُّ ما حدث من «أخطاء» وإهانات في البروتوكول لم يكن عفوياً، إنما هو انتقام متأخِّر من بوتين على رفض بشار الأسد تلبية دعواته لزيارة موسكو، قبل الثورة، إرضاءً لزعماء الغرب.

الحادثة الثانية: صبيانية بشار

عدم تلبية رفيق الحريري للطلبات التي كان يرسلها إليه بشار الأسد (قبل أن يصبح رئيساً) ستُكلِّفه حياته. هي ذي خلاصة القصَّة التي يرويها بندر بن سلطان عن انتقام بشار الأسد من الحريري فور وصوله لرئاسة سوريا، من التضييق عليه، إلى شتمه وإهانته في اللقاء الشهير بدمشق وتهديده بتكسير رأسه (ورأس وليد جنبلاط) إذا لم يُنفِّذ أوامر رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك إميل لحُّود، وانتهاءً باغتياله المدوِّي في 14 شباط 2005.

فقد كان الحريري -والتزاماً بأوامر حافظ الأسد نفسه- يطلب موافقةً شخصيةً من الأسد الأب على أيِّ طلب يبعث به الأسد الابن. وهذا الأمر أوغرَ صدر بشار على رفيق الحريري، فسارع إلى الانتقام منه غير آخذٍ بالحسبان وضعيته الجديدة كرئيس دولة.

هذه الحادثة تفضح الجانب الصبيانيّ المسيطر في شخصية بشار الأسد، والذي كان له دورٌ لا يخفى في إيصال سوريا إلى حالها اليوم. وليس أدلّ على خطورة ذلك الجانب من طريقة تعامل الأسد مع قضية ابن خالته العميد عاطف نجيب رئيس الأمن السياسي في مدينة درعا، أو ضحكاته ونكاته أثناء خطابه الأوَّل في مجلس الشعب بعد اندلاع الثورة.

الحادثة الثالثة: إهانة «الرئيس»

كان غضب الملك السعودي الراحل عبدالله بن عبد العزيز مضاعفاً، بعد اغتيال رفيق الحريري ومراوغة بشار الأسد وحنثه بالعهود، لأنَّ السعودية -وباعتراف بندر- كانت من أكبر داعمي نظام الأسد. بل إن الملك عبدالله، حين كان ولياً للعهد، أصرَّ على البقاء في دمشق يوماً إضافياً، بعد وفاة حافظ الأسد سنة **2000**، كنوع من الدعم لبشار لكي «لا يلعب أحدٌ بذيله» كما ينقل بندر عن لسان الملك الراحل.

وفي آخر زيارة لبشار الأسد إلى السعودية، وبحضور الملك الحالي سلمان بن عبد العزيز (أمير الرياض آنذاك)، والأمير الراحل سلطان بن عبد العزيز (ولي العهد آنذاك)، والأمير الراحل نايف بن عبد العزيز (وزير الداخلية آنذاك)، إضافة إلى فاروق الشرع الذي رافق الأسد في زيارته تلك، وجَّه الملك عبدالله أكبر إهانة يمكن تُقال لرئيس جمهورية، حيث قال له: «أنت كاذب».

ولم يتجاوز ردُّ فعل بشار على هذه الإهانة، التي تطابق الشتيمة، حدودَ تذكير الملك بأنه «رئيس الجمهورية العربية السورية». ليُعيد الملك إهانته بالقول مجدَّداً: «أنت كاذب»، ثمَّ يغادر الاجتماع.

لقد سمحَ بشار الأسد لأحد الذين وصفهم بـ«أشباه الرجال»

أن يقوم بإهانته بشكل مباشر، وعلى مرأى من نائبه فاروق الشرع وبقية الأمراء، دون أن يجرؤ على ردِّ الإهانة بمثلها، وإنما اكتفى -كما ينقل بندر- بثني قدميه تحت الكرسي بعد مغادرة عبدالله.

وما بين شخصية المهان والـمُذلّ على يد الملك السعودي بالأمس، وشخصية المهان والـمُذلّ على يد الرئيس الروسي اليوم، يثني بشار الأسد قدمَيْه تحت الكرسي أكثر فأكثر.

موقع «زمان الوصل»، **11** شباط **2019**

خطابات بشار

في خطابه الأخير (**17** شباط **2019**) سرقَ بشار الأسد أشهرَ وأقدمَ نكتةٍ قيلتْ عنه وعن أبيه من قَبْله: «أسد في لبنان، وأرنب في الجولان»، حيث توجَّه بالخطاب إلى معارضيه قائلاً لهم: «ما لي أراكم أُسوداً على دولتكم، وقططاً أمام المحتلّ»!

ولتمام الفكاهة، خرج من بين جمهور المصفِّقين شخصٌ قال جملةً، لو جاءت على لسانِ معارضٍ لاعتُبرت إهانةً وتلميحاً بأن الأسد أرنب فعلاً: «الجولان ينتظركم يا سيادة الرئيس»!

والحقّ أن هذا الخطاب -لولا الصفة الحاسمة لصاحبه كمجرم حرب- ليس أهمّ بكثير من القصائد والكلمات التافهة التي ألقاها المصفِّقون الذين كانوا في القاعة والذين يحملون صفة «رؤساء المجالس المحلِّية».

فمنذ تاريخ **30** آذار **2011**، وهو اليوم الذي ألقى فيه الأسد خطابه الأوَّل بعد اندلاع الثورة، لم يعد هناك من أملٍ جدِّي لكي يُعلَّقه البعض على ما يمكن أن تحمله الخطابات الجديدة. فقد أنهى

بشار في ذلك اليوم الكذبةَ الكبرى، التي تمَّ التسويق لها طوال أكثر من عقدٍ من الزمن، عن أنه شابٌّ إصلاحيٌّ منفتحٌ يختلف عن أبيه.

قهقهاته المتواصلة، يومذاك، وسط تهريج المصفِّقين في «مجلس الشعب»، كانت أهمَّ فقرةٍ في ذلك الخطاب، لأنها قالت ما لا يمكن لأكبر الكلمات أن تقوله. كانت بشكلٍ من الأشكال قهقهةً صريحةً من الذين صدَّقوا خرافةَ تأثير الدراسة في بريطانيا وإتقان لغة أجنبية على الرئيس الشابّ.

بعد ذلك الخطاب الذي أثبت فيه بشار سذاجةَ المراهنين على إصلاحٍ غير قابل للوجود، لم يعد بوسع أحدٍ أن ينظر إلى الخطابات اللاحقة إلا كمرايا عاكسةٍ لحالة الأسد نفسه. لم يعد بوسع أحدٍ أن يتعامل مع تلك الخطابات إلا كحالةٍ نفسيةٍ لما هو عليه الرئيس في زمن الخطاب. هل هو خائف؟ هل هو غاضب؟ هل هو نادم؟... إلخ.

وبالإضافة إلى كونها مرايا حالٍ، قدَّمتْ تلك الخطابات بعض زلَّات اللسان (الفرويديَّة) التي أنتجت مصطلحاتٍ روَّستْ لعناوين مشاريع خطيرة لا يرغب النظام بالاعتراف بها، مثل مصطلح «المجتمع المتجانس» الذي استعمله بشار لأوَّل مرَّة في خطابه في مؤتمر المغتربين بتاريخ 20 آب 2017. أو حديثه عن أنَّ سوريا «ليست

لمن يسكن فيها بل لمن يُدافع عنها» في خطابه أمام النقابات وغرف الصناعة والتجارة والزراعة والسياحة بتاريخ 26 تمُّوز 2015.

بل وحتى في خطابه الأخير، والذي جاء نموذجاً لخطاب الشتيمة السياسية حيث امتلأ بمصطلحات مثل: العملاء، السماسرة، الازدراء، الاحتقار، النفوس المريضة، قلَّة الأخلاق... إلخ، فقد اجترح بشار مصطلح «الشعب الوهمي» في إشارة إلى الملايين من معارضيه، مستغرباً عدم تفكيرهم بـ«حكم التاريخ» عليهم!!

إنَّ جَمْعَ خطابات بشار الأسد ومقابلاته الإعلامية، على تفاهتها الفكرية، في كتابٍ -إذا تمَّ- هو نوع من التأريخ للمأساة السورية، لجهة أنَّ هذه الخطابات والمقابلات ترسم صورةً، عقليةً ونفسيةً، دقيقةً للشخص المعتوه الذي وُضِعَ مستقبل البلاد بين يديه، والذي لم يتورَّع عن قول كلِّ ما يُدينه، وكلِّ ما يفضح تعثُّر شخصيته التي تقودها نرجسيته العمياء، ولم يتورَّع حتَّى عن المزاح بموضوع مجزرة الكيماوي التي ارتكبها جيشه (راجع مقابلته مع جريدة «الأخبار» اللبنانية، 14 تشرين الأول 2013) حين قال بأنه بات يستحقّ «جائزة نوبل للسلام» لأنه وافق على تدمير ترسانة الأسلحة الكيماوية في سوريا!

موقع «زمان الوصل»، **21** شباط **2019**

رشوة زاخاروفا

قدَّمَ الرئيس الأميركي دونالد ترامب «هديةً» جديدةً لإسرائيل عبر الاعتراف بهضبة الجولان المحتلَّة أرضاً إسرائيليةً.

شعرَ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بضرورة مجاراة نظيره، فقدَّم «هديةً» مماثلة لإسرائيل عبر تسليمها رفات الجندي الإسرائيلي المفقود منذ سنة 1982 أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان، معلناً -خلال لقائه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو- أنَّ هذا «الإنجاز» تمَّ بـ«التنسيق مع الجيش السوري».

لقد كان وقع هذه الفضيحة الجديدة لبشار الأسد (تسليم الرفات) من النوع الذي تفنَّنت اللغةُ العربيةُ في وصفه بالقول: القشَّة التي قصمتْ ظهرَ البعير.

فقد تمادى بوتين في إحراج الأسد بشكل علنيّ، وكرنفاليّ أيضاً، عبر إظهار تعاونه التامّ لتأمين المصالح الإسرائيلية.

وبسبب هذا التمادي، وهذه الاحتفائية المبالغ فيها لأسباب انتخابية تخصُّ نتنياهو، لم يمرّ خبر رفات الجندي الإسرائيلي، في

الإعلام، مرورَ خبر الدبَّابة الإسرائيلية أو خبر ساعة الجاسوس كوهين اللتين سلَّمهما نظام الأسد، من خلال الروس، إلى إسرائيل.

وحتى قبيل إعلان بوتين عن تعاون الجيش السوري في قضية الرفات، كانت صورة الأسد كـ«رئيس ممانع» قد هُشِّمت ونُزعت من إطارها، وجاء تصرُّف الرئيس الروسي ليصنع منها طائرةً ورقيةً يلهو بها نتنياهو على مرأى من مؤيّدي الأسد وحلفائه.

وفي اللحظة التي بلغ فيها غضبُ الأسد منتهاه، دون أن يجرؤَ على القيام بأيِّ ردٍّ فعلٍ تجاه هذا التمادي المتكرِّر في إهانته أمام جمهوره، قدَّم بوتين رشوةً صغيرةً يعرف تماماً بأنَّ لعاب الأسد سيسيل لها:

خرجت المتحدِّثة باسم الخارجية الروسية، ماريا زاخاروفا، إلى الإعلام لتقول بأنَّ «مسألة رحيل الأسد باب مغلق»!

والحقّ أننا، لكي نفهم المغزى الحقيقي لهذا التصريح الذي أدلت به زاخاروفا لإذاعة «صدى موسكو»، نحتاج الالتفات إلى أمرَيْن:

الأوَّل، أنَّ موضوع رحيل الأسد، في الإعلام والسياسة، لم يكن متفاعلاً أو مطروحاً على الإطلاق في الوقت الذي خرجت فيه زاخاروفا لتتحدَّث عنه! فقد كان الإعلام مشغولاً بحكاية رفات الجندي الإسرائيلي ولا وقت لتناول موضوع قديم ومكرَّر مثل

موضوع رحيل الأسد.

الثاني، هو توقيت التصريح، حيث إنه جاء بعد الفضيحة مباشرةً! وكأنَّ بوتين طلب من زاخاروفا أن تُبلسمَ مكانَ اللكمةِ التي سدَّدها للأسد توّاً.

وباختصار، لقد تمَّ افتعال تصريحٍ روسيّ لتطييب خاطر الأسد المكسور.

ومع أنَّ هذا التصريح لا يحمل قيمةً سياسيةً فعليةً، بسبب استعماله كرشوة، إلا أنه ينقل لنا، بدقَّةٍ، نظرة بوتين إلى بشار الأسد كمُرتشٍ صغيرٍ لا تتعدَّى قيمة رشوته بضع كلماتٍ تنطق بها زاخاروفا.

موقع «زمان الوصل»، **15** نيسان **2019**

الحاجة إلى الرمز

ترافقَ إجماعُ قطاع واسع من جمهور الثورة السورية على اعتبار الشهيد عبد الباسط السَّاروت رمزاً، مع جملة من التساؤلات، أخذ بعضُها شكلَ الاعتراض.

وفحوى ذلك الاعتراض تتعلَّق بمؤهِّلات الساروت كشابّ «بسيط» غير متعلِّم، وبتقلُّباته الأيديولوجية؛ بين خطاب مدنيّ جعله يقف منشداً إلى جانب الفنانة الراحلة فدوى سليمان ويرفع لافتة عن «يسوع» في تشييع الشهيد باسل شحادة، وخطاب دينيّ جعله يتعامل بنبرة «ودِّية» مع تنظيمات مُدرجة على لوائح الإرهاب.

والحقّ أنَّ مثل هذه المقاربات لحالة الساروت تبقى ناقصةً، ما دامت قد أغفلت الجانب الأهمّ الذي قامت عليه رمزية هذا الشخص، ألا وهو حيازته كلَّ مواصفات «البطل الشعبي»، الذي أجاد الصديق الأديب إسلام أبو شكيِّر بوصفه بأنه فاتن الأرواح عبر التاريخ.

فلو كانت مقاييس اختيار الرموز تقتصر على المؤهِّلات الفكرية

و«الاستقرار» الأيديولوجي للشخصية، لكان المفكِّر الراحل طيِّب تيزيني، ابن مدينة حمص أيضاً، والذي سبق الساروت إلى الرحيل بأسابيع قليلة فقط، أَوْلى بهذه الرمزية منه.

إنَّ قياس الساروت بغير مقاييس البطل الشعبي ليس ظلماً له فحسب، بل هو خطأ مهنيّ أيضاً. فالساروت ليس مفكِّراً سياسياً ولا قائداً عسكرياً ولا مطرباً رسمياً يتمُّ تقييمه بشروط الطرب والموسيقى (كما فعل أحدُ الموسيقيين الموتورين حين استغلَّ استشهاد الساروت ليعطيَ رأيه بصوته عبر كلمات نابية!).

سيرة الساروت هي سيرة البطل الشعبي الذي تماهى مع الشعب إلى درجة أنَّ مديحه صار يعني مديحاً للشعب نفسه.

لم يمتلك الساروت مشروعاً سياسياً بالمعنى الخاص للمصطلح. كانت الثورة كمشروع سوري عامّ هي مشروعه الشخصي. لم يُعنَ أصلاً بأن يكون صاحب مشروع سياسيّ، ولم يدَّعِ أيَّ قدرة على التنظير أو التأطير الفكري. ما قاله الناس في المظاهرات ردَّده الساروت، هتافاً أو إنشاداً.

لولادة البطل الشعبي ليس من الضروري للمرء أن يملك مشروعاً خاصاً، فالأهمّ هو أن يملك مشروعية خاصَّة. وقد امتلك الساروت مثل هذه المشروعية عبر الإقدام والشجاعة والالتصاق

بالناس والأرض.

وفي نسقٍ موازٍ، فإنَّ محاولة فهمنا لسبب تبجيل شهادة الساروت، على المستوى الشعبي، أكثر من غيرها، هي في عمقها محاولة لفهم حاجة الناس إلى وجود رمز.

لقد جاء استشهاد الساروت في لحظةٍ تشهد فيها الثورة السورية تفكُّكاً رهيباً، حتى يكاد يُخيَّل للمتابع بأنَّ ما بقي منها لا يتعدَّى الركام.

الإجماع الشعبي الذي تحصَّل على مشروعية رفع الساروت إلى مستوى الرمز، ليس ابن الواقعة (واقعة الاستشهاد) وحدها فحسب، بل أيضاً ابن الحاجة إلى ولادة رمز جامع في زمن التشظِّي.

«المبالغة»، التي انتقدها البعض في تبجيل شهادة الساروت دون سواها، ليست سوى رغبة ملحَّة في استعادة الثورة المصادَرة، من خلال رمزٍ شارك بفاعليةٍ في الحقبة السِّلْمية، وإعادة إنتاجها ضمن شروطها المدنية التي قُيِّض لسيرة الساروت امتلاكها.

وكما سبق لي أن كتبتُ قبل سنوات، في مقالة عن الساروت عنونتُها بـ«حكاية حارس المرمى الذي تحوَّل إلى قلب هجوم»، فإنَّ حكاية هذا الشاب هي حكاية الثورة السورية نفسها. فقد كان سِلْمياً حين كانت الثورة سِلْميةً، وحمل السلاح حين حملت الثورةُ

السلاحَ، وجمحَ تجاه الأيديولوجيا الدينية حين جمحت الثورة. بمعنى أنه كان مرآةً للثورة وأحوالها. وبهذا المعنى كان لصيقاً بها وبناسِها. وبهذا المعنى أيضاً كان نقيضاً لكلِّ طفيلياتها السياسية ممن توافق الشعب على تسميتهم بـ«جماعة الفنادق»، والذين تعاملوا مع الثورة كفرصةٍ للجاه والسلطة والثروة.

إنَّ الشعور بالحاجة إلى الرمز هو شعور أصيل في زمن المنعطفات الكبرى في حياة الشعوب. وربما بسبب فشل النخب السورية في تقديم مثل هذا الرمز، اختار السوريون له بطلاً شعبياً.

موقع «زمان الوصل»، **16** حزيران **2019**

جرف قبر غياث مطر

جَرَفَ نظامُ الأسد قبرَ غياث مطر.

لقد انتهت جريمة قتل الثورة، وحان الوقت للتنكيل بجثّتها.

***

لم يكن غياث مطر شهيداً عادياً، ولذلك لن يكون قبره قبراً عادياً، خصوصاً في بلد حكمته القبور كسوريا (من منّا لم يسمع بأن بشار الأسد في بداية حكمه كان يقول بأن أباه يحكم سوريا من قبره؟ بل إن الحزب الذي تلطّت العائلة خلفه لحكم البلاد استقى اسمه من قاموس المقابر: البعث).

كان غياث مطر أكثر بكثير من شهيد للثورة، وكان قبره أكثر بكثير من التراب الذي أُهيل فوق جسده الذي سرقَ قاتلوه بعض أعضائه.

من لم يعرف قيمة الوجه المدنيّ للثورة، لن يعرف قيمة غياث مطر.

من لم يفهم أن مدنية الثورة أرعبت جنرالات النظام أكثر من

سلاحها، لن يفهم شهادة غياث مطر.

الورود وقناني الماء التي قدَّمها غياث مطر ورفاقه للجنود، كانت عبوات ناسفة تحت الكرسي الذي يجلس عليه بشار الأسد. كانت الوردة ما إن تصل إلى يد الجندي حتى تتحوَّل إلى رصاصة في صدر رئيس هذا الجندي.

إنَّ أحداً منَّا لم يدرك خطورة ما قام به غياث مطر مثلما أدركها بشار الأسد نفسه. كان نزيل القصر الجمهوري أكثر من فهم غياث مطر، وأكثر من أرعبته تحركات غياث مطر. لذلك -ووسط كل هذا الركام والفوضى- فطنَ إلى قبر هذا الشاب، وما إن وصل إليه بجيشه حتى أمر بجرفه.

***

لا أعرف بأيِّ طريقةٍ جُرِفَ قبر غياث مطر. لا أعرف إذا ما كانوا قد عبثوا بشاهدة القبر قبل تحطيمها. لكني على يقين بأن كلّ ما فعلوه لم يتعدَّ جرف التراب والحصى والرخام. على يقين بأنَّ سائق الجرَّافة كان، في تلك اللحظات، يشعر بأنه يهدم مبنى شاهقاً ولا يجرف قبراً أعلى بقليلٍ من سوية الأرض. مبنى في كلِّ طبقة من طبقاته عاشت الثورة المدنية جزءاً رهيباً من عمرها القصير، أو جزءاً رهيباً من حلمنا الأبدي بأن نعيش أحراراً في البلاد التي حمَّلتنا

اسمها ووجعها وحكايتها. حلمنا الأبديّ بسوريا مدنية متحضِّرة.

مثل هذا الحلم، الذي بدأ بوردة وقنينة ماء، لن تقدر عليه جميع الجرَّافات.

موقع «زمان الوصل»، **17** كانون الأول **2018**

حكاية الملازم أول أحمد خلف

حين دخلت دبَّاباتُ النظام مدينةَ الرستن بتاريخ 28 أيلول 2011، عرف الجميع بأنَّ الملازم أوَّل أحمد خلف قد استشهد. وقبل إذاعة خبر الاستشهاد كان هناك من قرأ الفاتحة على روحه.

لقد صدَّق السوريون ما قاله هذا الضابط الشجاع عند بدء المعركة: «إذا رأيتم الدبَّابات في الرستن فاعلموا أني قد استشهدتُ».

كانت هذه الجملة التي قالها أحمد خلف من النوع الذي لا يمكن أن يخرج إلا من أفواه المجانين أو الشعراء أو الأبطال. وقد كان أحمد خلف مجنوناً وشاعراً وبطلاً.

بين تاريخ إعلان انشقاقه في 24 حزيران 2011، وتاريخ استشهاده في 28 أيلول من السنة ذاتها، ثلاثة أشهر أمضاها أحمد خلف مدافعاً عن شرفه كضابطٍ أقسم اليمين على حماية بلده وشعبه.

ثلاثة أشهر هي عمره الحقيقي الذي اشتراه بدمه ودموعه وحلمه بالحرِّية التي، بعد ثماني سنوات على استشهاده، لم يحصل السوريون عليها.

قاتل الملازم أوَّل أحمد خلف (مواليد 1983) بسلاح فرديّ خفيف يليق بمقاتل حقيقي. قاتل هو ورفاقه بأسلحة خفيفة تليق بشعبٍ لم يطلب إذناً من أحدٍ حين قرَّر إشعال حطب الثورة.

لم يكن مال دول الخليج قد أفسدَ الضمائرَ بعد، ولم تكن استخبارات الدول قد أسَّست فصائلها في سوريا. كان الحلم خفيفاً كالأسلحة الخفيفة التي قاتل بها الثوَّار يومذاك.

كانت مهمَّة الملازم أوَّل أحمد خلف ورفاقه حماية المدخل الشرقي لمسقط رأسه مدينة الرستن في ريف حمص الشمالي. وحين سأله قائد كتيبته الرائد عبد الرحمن الشيخ عن إمكان دخول قوَّات النظام من هناك، قال جملته التي لن تحتاج إلى أن تُكتب بالذهب طالما أنها كُتبتْ بدمه: «إذا رأيتم الدبَّابات في الرستن فاعلموا أني قد استشهدتُ».

وبعد يومين من القتال، رأى السوريون الدبَّابات في الرستن، ورأوا أيضاً شريطاً مصوَّراً لجثَّة أحمد خلف وهي غارقة بدمائه ودماء الحلم الذي قاتل من أجله.

إنها سيرة قصيرة لأحد أبطال الثورة في سوريا. سيرة قصيرة جداً إلى درجة أنه يمكن اختصارها بكلمتَيْن: قال وفعل.

موقع «زمان الوصل»، **7** نيسان **2019**

سوريا الـمُقبرصَة

ما إن استعمل «مجلس الأمن القومي التركي»، في بيانه الصادر بتاريخ 30 تمُّوز 2019، تعبيرَ «ممرّ السلام»، لوصف العملية العسكرية التي تعتزم تركيا تنفيذها في شمالي سوريا، حتى قرنتْ بعض وسائل الإعلام التركية هذا الاسم باسم آخر، هو «عملية السلام»، الذي كان كنايةً عن عملية عسكرية ترًكية نُفِّذت في شمالي جزيرة قبرص سنة 1974، وأدَّت إلى تقسيم الجزيرة لقسمَيْن: قبرص التركية وقبرص اليونانية.

وعلى الرغم من أنَّ المقارنة التاريخية بين «عملية السلام» في قبرص و«ممرّ السلام» في سوريا، ستكشف عن تباينات عديدة، لا تبدأ بأنَّ الأُولى جاءت دفاعاً عن أقلِّية في وجه أكثرية، بينما تجيء الثانية دفاعاً عن أكثرية في وجه أقلِّية، ولا تنتهي بأنَّ الأُولى حصلت خلال حالة فوضى وأعمال عنف في قبرص، بينما الثانية ستحصل (إن حصلت) خلال حالة مذبحة شاملة ما زالت قائمة في سوريا... إلا أنَّ روح الهدف ذاتها ماثلةٌ في العمليتَيْن.

فمنذ التدخُّل الروسي الحاسم لمصلحة نظام الأسد، والذي قَلَبَ الموازين، صار واضحاً بأنَّ الرئيس التركي رجب طيِّب أردوغان خسرَ حلمه بالصلاة في الجامع الأموي بدمشق، وصار يتصرَّف بناءً على هذه الخسارة، محاولاً تقليصها إلى الحدّ الأدنى، عبر الحصول على حصَّةٍ تركيَّةٍ من الكعكة التي تناهبتها الدول.

ولم يعد من ممرٍّ إلى هذه الحصَّة إلَّا «ممرّ السلام»، الذي سيكون حرباً عسكريةً، تتبعها حربٌ ديموغرافيةٌ، فحربٌ سياسيةٌ، وربما قانونية دولية أيضاً تتعلَّق بالأراضي والحدود.

فمن الواضح أنَّ «ممرّ السلام» هو في حقيقة الأمر ممرَّات عديدة:

فهو أوَّلاً ممرٌّ عسكريٌّ للقضاء على المشروع الكُردي الناشئ في الشمال السوري الرخو.

وهو ثانياً ممرٌّ ديموغرافيٌّ يريد الاستفادة من حالة الشتات والتهجير لتركيز أعداد السوريين العرب في المناطق الخاضعة لسيطرة الميليشيات الكُردية.

وهو ثالثاً ممرُّ إعادةٍ للاجئين السوريين في تركيا، والذين فاضت أخبار ترحيلهم المأساوي على المشهد التركي، بقرار حاسم من أردوغان الذي أدرك، متأخِّراً، بأنَّ خصومه أجادوا استعمال قضية هؤلاء اللاجئين لنزع بلدية إسطنبول منه، كمقدِّمةٍ لنزع الحكم كلِّه.

وهو رابعاً ممرٌّ سياسيٌّ ليكون لتركيا دورٌ في تقرير شكل النظام السياسيّ المستقبليّ في سوريا.

وهو خامساً ممرٌّ لعودة تركيا إلى الأراضي التي ما زال حَمَلة «الهوى العثماني» يجادلون بحقٍّ دولتهم فيها.

لا نعلم مدى قدرة تركيا على تنفيذ ما تعتزم القيام به، فدون ذلك تحدِّيات كبرى ومفاجآت لا يمكن أن تكون سارَّةً في ظلِّ الحجم الكبير للمشروع.

وما يُفاقم الوضع بالنسبة إلى الأتراك هو المراوغة الأميركية في التفاوض معهم.

فقد أخطأ الرئيس التركي خطأً فادحاً حين طالب الأميركيين، مراراً، بالاختيار بين الدولة (أي تركيا) والميليشيا (أي «قسد»). لأن الأميركيين لا ينظرون إلى «قسد» كميليشيا، بل كمشروع. وبهذا المعنى يكون الخيار الأميركي -ومن خلفه الإسرائيلي طبعاً- ليس اختياراً بين دولة كبيرة وميليشيا صغيرة، بل بين دولة كبيرة ومشروع كبير.

فقد بات مؤكَّداً أنَّ الكيان الكُردي الناشئ في الشمال السوري هو حجر الزاوية في الحلم الإسرائيلي بتقسيم سوريا.

ولذلك لن يتمَّ التسليم لتركيا، إسرائيلياً وأميركياً، بسهولةٍ من

أجل إقامة مشروعها الـمُسمَّى «ممرّ السلام»، إلَّا إذا ضمنَ هذا المشروعُ ما يُوفِّره المشروع الكُردي من ركائز جدِّية لتنفيذ عملية التقسيم.

موقع «زمان الوصل»، **11** آب **2019**

تركيا تهاجم «روج آفا»

تتعالى صيحات بعض الكُرد في سوريا مندِّدةً بتقاعس الوطنيين السوريين عن إعلان موقف صريح بالوقوف مع «قوَّات سوريا الديموقراطية» (قسد) ضدَّ العملية العسكرية التركية التي تحمل مُسمَّى «نبع السلام» (اتَّخذت العملية في الفترة الماضية اسماً إعلامياً أوَّلياً هو «ممرّ السلام»).

وبالطبع يجدر بالوطنيين السوريين أن يرفضوا التدخُّل العسكري التركي في سوريا، مثلما رفضوا، من قبل، شتَّى أنواع التدخُّل الأجنبي.

ولكنَّ هذه الإدانة وذلك الرفض للتدخُّل التركي لا يجب أن يعنيا الوقوف مع «قسد» بأيِّ حالٍ من الأحوال.

فمنذ أن أطلقت الفصائل الكُردية مصطلح «روج آفا» على مناطق سيطرتها شمالي سوريا، ومنعتني أنا السوري الذي عاش طفولته وصباه في محافظة الحسكة من زيارتها دون «كفيل»، لم تعد الرابطة الوطنية السورية هي التي تحكم علاقتي بتلك الفصائل.

بمعنى أنه لم يعد في مقدوري التعامل مع الجهة التي طردتني، وطنياً، من أرضٍ سوريَّةٍ، وعاملتني فيها معاملة الأجانب، إلا بوصفها جهةً أجنبيةً أيضاً.

وبالتالي لا أستطيع النظر إلى المعركة الجارية بين تركيا و«قسد» بوصفها غزواً خارجياً صرفاً، بل إنما هي حربٌ بين جهتَيْن أجنبيَّتَيْن على أرضي السورية، أو هي معركةٌ تدور رحاها بين غازيَيْن، أو بين احتلالَيْن.

إنَّ تعليق الفصائل الكُردية لصور عبدالله أوجلان -وهو مواطن تركي- في ساحات البلدات والمدن السورية هو أيضاً شكلٌ من أشكال الغزو التركي، ولكنْ بصيغته الثورية.

وإنَّ توسُّع خريطة «روج آفا» -ناهيك عن وجودها أصلاً- بحسب قدرة البندقية الكُردية على الوصول (شملت «روج آفا» في إحدى خرائطها محافظة إدلب!)، لا تجعلني أقلَّ قلقاً مما أنا عليه اليوم تجاه دخول الجيش التركي.

لقد اختار الحلم الكُردي الكبير (كردستان) -والذي هو حقٌّ مشروعٌ للشعب الكُردي من أجل تقرير مصيره بنفسه- الانبثاقَ في المكان الخطأ للأسف. ففي سوريا ثمَّة حقوق مدنية مسلوبة للكُرد يجب استعادتها، وثمَّة خصوصية ثقافية كُردية يجب احترامها

دستورياً، ولكن لا وجود لـ«كردستان سوريا».

كردستان الكبرى موجودة في تركيا وإيران والعراق. أمَّا في سوريا فثمَّة وجود كُردي متداخل وبنيوي بشكلٍ لا يمكن فصله عن الوجود العربي والسرياني والكلداني وبقية المكوِّنات السورية. هذه حقيقة تاريخية وجغرافية وديموغرافية لا يجدر العبث بها.

إدانة الوطنيين السوريين لأيِّ تدخُّل خارجي -ومنه التركي- لا يجب أن تكون مشروطةً، بل هي واضحة وجليَّة. ولكنها يجب أن تكون إدانةً مزدوجةً لتدخُّلَيْن اثنَيْن، وليس لتدخُّل واحد.

موقع «زمان الوصل»، **10** تشرين الأوَّل **2019**

مسار تسليم حلب

بين جميع المسارات التي اخترعتها «الدول الضامنة»، ظلَّ «مسار تسليم حلب» (الحدث الجلل الذي تحوَّل إلى مسار حقيقي لا تعترف به تلك الدول في مؤتمراتها) هو المسار الأمّ. حتى لتشعر بأنه الأوتستراد الكبير الذي يتفرَّع منه مسارا سوتشي وأستانة وبقيَّة المسارات.

فمنذ كانون الأوَّل **2016**، تاريخ تسليم الجزء الشرقي من المدينة، رُسِمَ المسار الذي قُدِّرَ للأحداث أن تسير عليه.

صار للتوافقات (اقرأ: المقايضات) التركية - الروسية الكلمة الفصل في سير الحدث السوري. لم يعد للساسة الأتراك من هاجسٍ سوى القضاء على الكيان الكُردي الناشئ على حدود بلدهم. إسقاط نظام الأسد تحوَّل إلى إسقاط للمشروع الكُردي، والقرداحة انتقلت إلى القامشلي.

الرئيس الروسي الذي أثبتَ قدرةً فائقةً على إبرام الصفقات من موقع المبتزّ، أبرمَ صفقةً -كشفَ مرور الوقت وتعاقب الأحداث

أنها صفقة كبرى- مع الرئيس التركي الذي دفعته هواجسُ أمنه القومي نحو استراتيجية تقليل الخسائر إلى حدودها القصوى في سوريا.

إنَّ عمليات «درع الفرات» و«غصن الزيتون» و«نبع السلام» (التركية بأيدي مقاتلين سوريين) لم تكن بلا ثمن. وما حصل في «المناطق المحرَّرة» لم يكن منقطع الصلة عمَّا جرى ويجري في مناطق تلك العمليات. ففي أقفال مورك وخان شيخون ومعرَّة النعمان دارت مفاتيح «نبع السلام»... تماماً مثلما دارت، قبل سنوات، مفاتيح «درع الفرات» في أقفال مدينة حلب.

أمَّا اللقاء شبه المعلن بين رئيس جهاز الاستخبارات التركي حقان فيدان ورئيس «مكتب الأمن الوطني» علي مملوك في موسكو، بتاريخ 13 كانون الثاني الجاري، والذي طارت به «وكالة سانا»، دون صدور أي تكذيب تركي، فليس إلَّا دليلاً -لا نحتاجه- على وجود تنسيقٍ عمليَّاتيٍّ على الأرض ظهرتْ أعراضه في التساقط السريع للمناطق.

إنَّ العودة إلى تاريخ تسليم مدينة حلب ليس عودةً إلى حدث كبير، بقدر ما هو إعادة استكشاف للمسار الأكبر الذي رسمَ طريق الهاوية لما تلاه من أحداث، والذي ما يزال مستمرَّاً حتى اليوم. وإنَّ

كتابةً منصفةً وجريئةً لتاريخ الثورة في سوريا لا يمكن أن تتمَّ من دون إفراد فصل كبير للكتابة عن هذا الحدث الكارثيِّ الذي شاءت له «الدول الضامنة» أن يتحوَّل إلى مسارٍ كارثيٍّ.

موقع «زمان الوصل»، **30** كانون الثاني **2020**

فكاهات سوداء

للتصريح الفكاهيِّ الذي أدلى به مدير كهرباء طرطوس عن أنَّ لصوصاً يَستغلُّون انقطاع الكهرباء الطويل لسرقة الكابلات، ما يوازيه -بصرياً- في صورةٍ نشرها أحد السوريين لكابلات كهربائية تحوَّلتْ، بسبب انقطاع الكهرباء الدائم، إلى حبالٍ لنشر الغسيل.

والحقّ أنَّ هذا الانقطاع، الذي اتَّخذ مُسمَّىً أكثر نعومة هو «التقنين»، صنعَ إلى جانب بقية المأساة المعيشية في سوريا، من فقدان مواد حيوية كالغاز والمازوت وانهيار الليرة واستعراضات طبقة أثرياء الحرب، ملهاةً كاملةً.

وما كان لهذه الملهاة السوداء أن تُتمَّ فصولها لولا الطريقة التي حاول بها النظام التصدِّي لها. حيث حاول بعض كبار الفاسدين استعراض غيرتهم الوطنية بتمثيليات مكشوفة، تحوَّلتْ لفرط انكشافها إلى مادَّة للسخرية والهزل.

وقد لفتَ انتباهي، من بين تلك القصص الكثيرة، ما رواه أحد المحامين على صفحته من قيام معاون وزير العدل بتفتيش مكاتب

القضاة في قصر العدل بالمزَّة ومصادرة أجهزة التدفئة البسيطة منهم، مع تقريعهم وتوجيه الإهانات لهم بحضور الشرطة!! وقد برَّر هؤلاء القضاة مسألة وجود تلك «الدفَّايات» في مكاتبهم بضرورة عدم ظهورهم في المحكمة بمظهر الكائنات المتجمِّدة بما يمسُّ بهيبة القضاة والقضاء أمام الناس (وكأنَّ للقضاء في بلادنا هيبةً فعلاً!).

ولم يكد معاون وزير العدل يكمل جولته، التي كان من أبرز نتائجها أنه للمرَّة الأولى في التاريخ سيكون حجم ارتعاش القاضي في المحكمة (بسبب البرد) أكبر من حجم ارتعاش المتهم (بسبب الخوف)، حتى فاحت رائحة فضيحة موازنة الضيافة للسادة الوزراء -والذين منهم وزير العدل ومعاونه- والتي بلغت حوالى نصف مليار ليرة سورية ثمناً للقهوة والحلويات في ميزانية سنة 2019!

وبإلهام من جولة معاون الوزير، اندفع عضو ما يُسمَّى «مجلس الشعب» فارس الشهابي (أحد أكثر الداعمين لحملات الإبادة) ليشير بالاسم إلى مُهرِّبٍ كبيرٍ في سوريا، فإذا بمقابلته المقرَّرة مع «الإخبارية» يتمُّ إلغاؤها دون تقديم أيِّ سببٍ!

ولأنَّ إعلاميي النظام أخذوا درساً حاسماً مما حدث لأحد زملائهم، والذي لا يزال مجهول المصير في فرع «المخابرات الجوية» بدمشق بسبب إجرائه استطلاعَ رأيٍ حول أزمة الوقود، اكتفى

إعلاميٌّ، اشتهرَ بتشبيحه، بحصَّةٍ صغيرةٍ من كرنفال البطولة تتلخَّص في الاحتجاج على نشر الإعلام لصورة رجلٍ مسنٍّ وهو مكبَّل بالأصفاد بعدما قبضت عليه دورية شرطة في حلب بتهمة محاولته بيع 5 ربطات من «الخبز التمويني»! قبل أن يتمَّ تقديمه إلى القضاء.

وبين وصلات التهريج هذه، أصدر «المصرف المركزي» بياناً يدعو فيه المواطنين لاستبدال «العملة الورقية المهترئة»! وكأنما «المصرف» أراد مساعدة هؤلاء المواطنين على تزجية الوقت بالنكات في ظلِّ انقطاع الكهرباء المستمرّ.

***

البارحة، مات السوري أسامة عزَّام، بطل العالم في الكاراتيه، مختنقاً بالغاز الذي استعمله للتدفئة في شقَّته بعد فقدان مادَّة المازوت! رياضيٌّ متوَّج بالذهب يموت اختناقاً بالغاز والفقر في بلدٍ كان اللقب المفضَّل لدى دكتاتوره: «راعي الرياضة والرياضيين»!

***

وهكذا أُحيلَ على القضاء الرجلُ المتهم ببيع القليل من الخبز، ليقوم بمحاكمته القضاة المتجمِّدون من شدَّة البرد.

موقع «زمان الوصل»، **7** آذار **2019**

«معارضة» من نوع آخر

إثر الهدوء الحاصل على جبهات القتال، فُتحتْ جبهةٌ جديدةٌ على نظام الأسد.

استحقاقاتٌ كثيرةٌ ساهم الخوف في تأجيلها. دعاية النظام عن معارضيه، عبر إظهارهم بمظهر أَكَلة لحوم البشر، جعلت الحاضنة الشعبية للنظام تعضُّ على نواجذها المعيشية ولا تنبس ببنت شفة، معتبرةً سكوتها جزءاً من المجهود الحربي.

لكنْ، مع انقشاع جزء كبير من غمامة الحرب، بدأت هذه الشريحة من مؤيِّدي النظام بتجريب صوتها.

إنَّ التلاعب الذي مارسه إعلام النظام مع مفرداتٍ مجرَّدةٍ طرحتها جماهير الثورة مثل «حرِّية» و«ديموقراطية»، لا يمكن ممارسته مع مفردات شديدة الوضوح وغير قابلة للتأويل مثل «خبز» و«مازوت» و«قنِّينة غاز».

فالوضوح المفرط، والبساطة المفرطة، والأحقِّية المفرطة، لهذه المفردات المطلبيَّة، تضع نظاماً -اعتاد على الغموض والتعقيد

والظلم- في مأزق كبير.

لقد وصل الغضب ببعض المنتمين إلى تلك الشريحة إلى درجة قيامهم، على سبيل النكاية، بتقديم اعتذارٍ علنيٍّ من «القنوات الـمُغرضة»، وهي التسمية الرسمية لكلِّ وسائل الإعلام التي بادرت إلى تغطية مظاهرات الثورة وقَمْع النظام لها.

الخطاب الأخير لبشار الأسد، والذي اعتبر فيه حرب مواقع التواصل الاجتماعي أخطر أشكال الحروب على نظامه، لا يريد الاعتراف بأنها ليست حرباً، بل هي مظاهرات افتراضية لجمهوره الغاضب.

لم يكن بمقدور الأسد أن يقول الحقيقة كما يجب أن تُقال: إنَّ أخطر حربٍ تُخاض علينا هي الحرب التي تشنُّها حاضنتنا الشعبية.

لقد حوَّل المؤيِّدون الغاضبون صفحات الفيسبوك (الموقع الاجتماعي الأكثر استخداماً في سوريا) إلى ميادين افتراضية لتظاهُر فئةٍ يمكن تسميتها بـ«المعارضة المعيشية» تمييزاً لها عن المعارضة السياسية.

لذلك أُريد لاعتقال مؤسِّس صفحة «دمشق الآن» الموالية، ثمَّ تسريب شائعة مقتله تحت التعذيب، أن يبعثا برسالةٍ واضحةٍ لجميع روَّاد السوشال ميديا، من مديري الصفحات، إلى محرِّريها، إلى

الناس العاديين أصحاب التعليقات: لن نتسامح مع كلِّ من يفتح ملفَّ الأزمة المعيشية، حتى ولو على شكل استفتاء بسيط كذاك الاستفتاء الذي طرحته صفحة «دمشق الآن» عن أزمة الوقود.

فأركان النظام يدركون جيِّداً بأنَّ المواجهة، وتحت أيِّ عنوان، مع معارضة منبثقة من داخل الحاضنة الشعبية، لن تكون أقلَّ خطورة من المواجهة التي خيضت مع المعارضة الصريحة طوال السنوات الماضية.

ولادة مثل هذه «المعارضة» غير السياسية، المقتصرة على الشقّ المعاشي، تُخيف النظام لأنها، ببساطةٍ، معارضةٌ لا يمكن تخوينها، فلا وجود في أدبياتها لمصطلحات المعارضة السياسية.

إنها «معارضة» لا تمانع في بقاء بشار الأسد حاكماً للأبد، ولكن بشرط أن لا يكون ثمن دوام كرسيِّه... دوام الجوع والبرد.

موقع «زمان الوصل»، **16** آذار **2019**

أنانية «فلسطينية»

التصريح الذي أدلى به مؤخراً خليل الحيَّة، المسؤول في حركة «حماس»، عن أنَّ الفلسطينيين لم يشعروا بالأمان إلا تحت حكم نظام الأسد، والذي يأتي ضمن سلسلة تصريحات متتابعة من مسؤولين حمساويين يغازلون النظام في سياق العودة إلى حضنه، يكشف عن أنانية «فلسطينية» من نوع خاصّ.

فهؤلاء على الرغم من معرفتهم تمام المعرفة -بحكم تصريحاتهم ومواقفهم السابقة- بأنَّ مظلومية الشعب السوري لا تقلُّ شأناً عن مظلوميتهم، إن لم تكن تفوقها بدرجة الوحشية التي عُوملَ بها أشقاؤهم، فإنهم لا يمانعون بتجاهل ذلك كلِّه في سبيل ما يفترضون أنها مصلحتهم.

والملاحظ عموماً أنَّ القضية الفلسطينية ولَّدت ما يشبه «الأنانية» لدى بعض الأخوة الفلسطينيين، بمعنى أنهم يعتقدون بأن قضيتهم يجب أن تكون بالنسبة إلينا أهمّ من قضيتنا، وأن بلدهم يجب أن يكون أَوْلى لدينا من بلدنا.

فقضية السوري لا يجب أن تكون سوريا، بل فلسطين. وحرِّية الفلسطيني يجب أن تكون -بالنسبة إلى السوري- أهمّ من حريته هو نفسه. حتى عذابات الفلسطيني يجب أن تكون بالنسبة إلى السوري أكثر ألماً من عذاباته هو!

لا يجب على ابن داريا الذي خسر مدينته وأرضه أن يحزن لذلك، بل عليه أن يحزن على خسارة حيفا ونابلس. ولا يجب على ابن دمشق الذي تتعرَّض أحياؤه للغزو الفارسي أن يقلق بهذا الخصوص، بل عليه أن يُوفِّر قلقه لتهويد القدس فحسب، لأنَّ تغيير ديموعرافيا سوريا لا شيء أمام تغيير ديموغرافيا فلسطين.

الروائي والقاصّ الفلسطيني المعروف رشاد أبو شاور هاجمَ الثورة السورية مراراً عندما كانت لـمَّا تزل في مرحلة المظاهرات السلمية، ولم يخجل من تبرير ذلك بالقول إنها ستُشوِّش على القضية الفلسطينية.

وخلال لقاء تلفزيوني مخصَّص لمناقشة القضية السورية، راح الإعلامي الفلسطيني الشهير عبد الباري عطوان يقول بغضب: وماذا عن فلسطين؟ هل نسيتم فلسطين؟ ألا تفكِّرون بفلسطين؟! وكأنه، هو وغيره من الفلسطينيين، يتبرَّمون من وجود قضية عربية أخرى «تنافس» قضيتهم، لذلك هم يلومون الشعب السوري على

«اختراع» قضية خاصَّة به، بدلاً من قضية فلسطين.

هذا المنطق الذي يُفكِّر به هؤلاء، إضافة إلى أنه موصوم بالانتهازية، فإنه أيضاً محكوم بالتهافت. ليس لأنَّ الفصل بين القضيتَيْن على هذا النحو سيضرُّ بهما معاً فحسب، بل لأنَّ تحالفاً حقيقياً بين قضيةٍ عادلةٍ ونظامٍ ظالمٍ هو أمر غير ممكن.

الشعب السوري هو أكثر الشعوب العربية التزاماً بالقضية الفلسطينية على الإطلاق. وهذه الانتهازية التي يتعامل بها قطاعٌ غير قليل من النخبة الفلسطينية تجاه المأساة السورية لن تكون بلا أثرٍ على علاقة الشعب السوري بهذه القضية القومية الكبرى التي توافقَ، لعقودٍ من الزمن، على محضها صفة «المركزية». نقول ذلك من دون أن نهمل وجود شريحة عزيزة من الشعب الفلسطيني، ومثقَّفيه، ناصرت وتناصر ثورة السوريين، وقد تمَّت مبادلتها بكلِّ مشاعر الامتنان.

موقع «زمان الوصل»، **8** حزيران **2019**

راحتا جميلة بوحيرد

لا أعتقد أن سوريَّاً من أبناء جيلي يمكنه أن ينسى تلك القصيدة التي كانت مقرَّرةً في منهاج المرحلة الثانوية، والتي تتحدَّث عن مقاومة المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد لسجَّانها:

«لن تسمع الجدرانُ يا جميلهْ/ فالسجنُ مثلُ جبهةِ السجَّانِ/ من حجرٍ صخرٍ ومن صوَّانِ/ وما الذي تصنعُ راحتانِ/ جميلتانِ مستطيلتانِ/ لامرأةٍ صغيرةٍ نحيلهْ».

فالقصيدة التي كتبها الشاعر السوداني محمد الفيتوري تحت عنوان «رسالة إلى جميلة»، كانت من بين القصائد التي أُفرِدَ لها حيِّزٌ مهمٌّ في ذاكرتنا المدرسية، ليس لأنها كانت مُدرجةً ضمن لائحة التوقُّعات كقصيدة أساسية في الامتحانات فحسب، بل لأنها أيضاً كانت مُترعةً بالمعاناة الإنسانية لامرأة عربية ناضلت ضدَّ الاستعمار الفرنسي لبلادها قبل أن يعتقلها ويسجنها، بل ويصدر فيها حكم إعدام لم يُنفَّذْ بسبب الضجَّة العالمية التي رافقت قضيتها.

كلُّ شيء في قصَّة تلك المرأة الجزائرية، من الاسم إلى الحكاية،

كان يُلهب مشاعرنا الطفولية المتلهِّفة إلى سماع أخبار الأعمال البطولية ومقارعة السجَّانين والاستعمار والعملاء.

لكنَّ المرَّة الأولى التي أُتيح لي فيها أن أرى صورة هذه المرأة المناضلة كانت قبل عشر سنوات فقط، وتحديداً في العام 2009، عبر خبر منشور في الإنترنت. فقد كنتُ آنذاك من بين الذين يظنُّون بأن جميلة بوحيرد ليست على قيد الحياة. ربَّما لأنَّ بُعد الزمن المدرسي الذي تقع فيه القصيدة المذكورة أعماني عن التفكير بالبحث عن صورةٍ لها، أو خبرٍ عنها، بعد دخول محرِّك «غوغل» إلى حياتنا.

وكم كان صادماً لي أن تلك الصورة الأولى التي أراها للمناضلة جميلة بوحيرد كانت تصافح فيها بشار الأسد أثناء تقليدها «وسام الاستحقاق السوري»!!

لقد غادرتُ جميلة بوحيرد وهي تصارع سجَّانها في القصيدة المدرسية، وحين رجعتُ وجدتُها تصافح سجَّاناً أسوأ من السجَّان الذي قاومتْه!

مع ذلك، كان يمكن تبرير ما فعلته بوحيرد في سنة 2009، من خلال محاكمة فهمها السياسي السطحي لواقع الاستبداد في سوريا، معطوفاً على الدور الأسود لبعض الإعلام العربي الشعبوي الذي كان قد رفع مَنْ هو على شاكلة بشار الأسد إلى مرتبة «الرئيس

المقاوم».

لكن مع اندلاع الثورات العربية، وانفضاح مستوى التوحُّش الذي مارسه نظام الأسد ضدَّ شعبه، لم يعد ممكناً تبرير موقف بوحيرد التي استمرَّت في تأييد الأسد، بل وأضافت إلى ذلك «فضيلة» أخرى ألا وهي تأييد الدكتاتور عبد الفتَّاح السيسي في مصر!

وكأنَّ بوحيرد بعملها هذا تدعونا إلى إعادة النظر في تاريخنا العربي وأبطاله!

***

كانت قصيدة الفيتوري تقول: «وما الذي تصنعُ راحتانِ/ جميلتانِ مستطيلتانِ/ لامرأةٍ صغيرةٍ نحيلهْ».

لقد صنعتا ما لم نكن نتخيَّله يوماً: صافحتا الجلَّاد، وصفعتا الشعوب!

موقع «زمان الوصل»، **19** آذار **2019**

مضربو «الأمعاء الخاوية»

جاءت ردود الفعل على ما كتبه رسَّام الكاريكاتور السوري علي فرزات، استهزاءً بمجموعة ناشطين قرَّروا القيام بإضراب عن الطعام لجلب انتباه الرأي العام إلى المجزرة السورية، استهزائيةً أيضاً تهدف إلى إلحاق الأذى المعنوي برسَّام الكاريكاتور المعروف، بالمقدار ذاته الذي ألحقه هوَ بالناشطين الـمُضربين.

ولم تبدأ تلك الردود بمطالبة فرزات بصورةٍ شعاعيةٍ لأصابع يده (التي كانت قد كُسِرتْ في الاعتداء عليه سنة 2011) ردَّاً على مطالبته المضربين بإثبات أنهم لا يتناولون العشاء بعد ذهابهم إلى المنزل، ولم تنتهِ بتذكيره بصداقته السابقة مع بشار الأسد.

بالطبع لا أكتب هنا لكي أخوض في هذا السجال، الذي أعتبره سطحياً إلى درجة أنه كان يمكن تفاديه بسهولةٍ، بل لكي أعيد صياغة سؤالٍ مهمٍّ ضاع في زحمة الأسئلة الكبرى التي عصفت بالثورة السورية:

هل في وسع الإنسان السوري العادي الذي لا يملك أيَّ سلطةٍ

فعليةٍ، سواء أكانت سياسيةً أو عسكريةً أو اقتصاديةً أو اجتماعيةً، أن يفعل شيئاً لنصرة قضيته؟

***

بعد سنوات كانت فيها مساهمة الإنسان السوري العادي في الثورة مساهمةً رئيسيةً (فهو الذي يتظاهر وهو الذي يُخطِّط اللافتات وهو الذي يُقدِّم الشهداء ويحملهم في جنازاتهم وهو الذي تلهث الكاميرات لالتقاط ما يقوله وهو الذي يُحدِّد أهداف الثورة...) تحوَّل إلى نازح ولاجئ ومشرَّد بلا حَوْل ولا طَوْل.

هذا التحوُّل، من الفاعلية الكاملة في المشهد إلى العجز الكامل عن فعل أيِّ شيءٍ مؤثِّرٍ، لم يتمّ تقبُّله بسهولةٍ لدى الفئة الأوسع من جمهور الثورة.

وما فاقم من حجم معضلة هؤلاء هو شعورهم الأكيد بأنَّ من يتحدَّثون باسمهم في مؤسَّسات المعارضة لا يملكون من أمرهم شيئاً، فإنما هم موظَّفو دول وسفارات، وأحياناً أقلّ من ذلك.

لذلك حاول البعضُ خلقَ استمراريةٍ ما لدورهم السابق بأيِّ طريقة ممكنة. فتحوَّلوا من المشاركة في المظاهرات على الأرض إلى المشاركة في «الهاشتاغات» على «فيسبوك»، ومن حمل اللافتات في الداخل إلى توقيع البيانات في الخارج، ومن إسقاط التماثيل في المدن

السورية إلى الإضراب عن الطعام أمام السفارات الأجنبية.

لقد فعلوا كلَّ ما يمكن لإنسانٍ خسر كلَّ شيءٍ أن يفعله، وقدَّموا كلَّ ما يمكن لإنسانٍ لم يعد يملك شيئاً أن يُقدِّمه.

وبالطبع لم يكن لدى الأغلبية من هؤلاء أيُّ وهمٍ بأنهم، بذلك، سيغيِّرون مجرى الأحداث، وسيُوقفون القصفً، وسيُسقطون الأسد. لم يكن المضرِب عن الطعام أمام سفارةٍ مُصدِّقاً بأنَّ أمعاءَه الخاوية في وسعها تغيير سياسات الدول. ولم يكن كاتب البيان (أو صائغ «الهاشتاغ») مُصدِّقاً بأنَّ كلماته ستقنع الجنود بعدم متابعة القصف.

إنَّ حاجة السوريين العاديين إلى القيام بشيءٍ ما -أيّ شيء- يجعلهم يشعرون بأنهم ينصرون قضيَّتهم هو الذي كان يُحرِّكهم، وليس أوهامهم بأنهم سيُغيِّرون المشهد.

إنه فعلٌ أشبه بأنْ يقوم المرءُ بوضع قطعة نقدية صغيرة في يد فقير، مع علمه بوجود مئات ملايين الفقراء في العالم. إنه لن يُغيِّر شيئاً في مشهد الفقر بهذه القطعة النقدية الصغيرة، ولكنه سيُريح ضميره بدعوى أنه يفعل كلَّ ما يستطيعه.

لذلك فإنَّ تقزيم السجال إلى جزئية حبِّ البعض للظهور والتصوير والاستعراض -كما فعل فرزات- هو تقزيمٌ لأكثر سؤالٍ

يطرحه السوريون العاديون على أنفسهم كلَّ يوم؛ هو استخفافٌ بالسؤال اليوميِّ والمؤرِّق للإنسان السوري العادي: ماذا أستطيع أن أفعل لنصرة الثورة؟

البعض وجد الجواب بأن لا يبقى ساكناً، وأن يقوم بأيِّ فعلٍ، بغضِّ النظر عن جدواه. وله كامل الحقِّ، وله كامل الاحترام.

موقع «زمان الوصل»، **26** تـمُّوز **2019**

عواقب القراءة العاطفية

تسبَّبت القراءةُ العاطفيةُ، من قبل شريحةٍ واسعةٍ من السوريين، للموقف التركي من الثورة السورية بجملةٍ من الخيبات لامسَ بعضُها حدودَ الصدمة.

ردود أفعالهم على «واقعة» قرن البوظة الذي تناوله أردوغان صحبةَ بوتين، كانت أكبر من ردود أفعالهم على واقعة تسليم حلب الشرقية والتي كان أردوغان عرَّابها الأساسي!

حرَّكَ قرن البوظة في يد أردوغان مواجعَهم، أكثر مما فعلت كلُّ الاتفاقات المسمومة التي صنعها الروس والترك، والتي أدَّت إلى حشر أربعة ملايين سوري في بقعة جغرافية صغيرة كرهائن لمشاريع آلاف التكفيريين الـمُستجلَبين من شتَّى بقاع الدنيا.

في خمسينيات القرن الماضي دفع السوريون ثمن القراءة العاطفية في السياسة وحدةً كارثيةً مع مصر عبد الناصر، أدَّتْ بهم إلى أن يكونوا مواطنين من الدرجة الثانية في بلادهم.

وفي العقدَيْن الأخيرَيْن، جعلت القراءة العاطفية حسن نصرالله

بطلاً قومياً لديهم، قبل أن يتبيَّن بأنه سفَّاحهم المؤجَّل. مثلما جعلت رفيق الحريري عدوَّاً لهم، قبل أن يتبيَّن بأنه «شهيدهم» المؤجَّل.

تدخُّل دول الخليج في بدايات الثورة، والذي كان كارثياً بالمعنى الاستراتيجي للكلمة حيث حَرَفَ مسار الثورة المدنية إلى مسار صراع ديني، تمَّت قراءته بمنطق القراءة العاطفية.

دخول الغرباء المتطرِّفين من حَمَلة المشاريع الإرهابية المناهضة للحضارة، تمَّت قراءته بمنطق القراءة العاطفية أيضاً.

الأذى الذي تسبَّب به هذا النوع من القراءة للشعب السوري، يكاد أن يكون صورةً طبق الأصل للأذى الذي تسبَّب به -من قبل- للأشقَّاء في فلسطين.

واليوم، مع العدوانية الشعبية المتصاعدة في تركيا ضدَّ اللاجئين السوريين، نشهد فصلاً جديداً من العواقب الأليمة للقراءة العاطفية لسياسة الذين «تحمَّلناهم» في بلادنا أربعمئة عام، ولم يحتملونا في بلادهم لبضع سنوات!

موقع «زمان الوصل»، **4** أيلول **2019**

مرثاة العاجز

كأني في بلادٍ لستُ منها

إذا قال المذيع: هنا دمشقُ

عيسى عصفور

(شاعر سوري راحل)

الانهيار المتسارع لليرة السورية في الآونة الأخيرة، يُعجِّل باقتراب حصول «مجزرةٍ» معيشيةٍ قياساً إليها سيبدو ما عاناه السوريون من شظفٍ وبؤسٍ، في الفترة الماضية، مجرَّدَ تمرينٍ عليها.

إنَّ الأسى لا بدَّ أن يعتصر قلبَ كلِّ وطنيٍّ سوريٍّ وهو يرى إلى شعبه مبتعداً، نزولاً، أكثر فأكثر، تحت خطِّ الفقر، دون أن يكون في وسعه عمل شيء، سوى كتابة مرثاةٍ من تلك المراثي التي اعتاد على تدبيجها، في الكوارث الكبرى، قليلو الحيلة.

اليوم، الغالبية العظمى من السوريين هم من هذه الفئة التي تشاهد بلادها وهي تعيش سقوطاً حرّاً، بأرضها ومجتمعها وعمرانها واقتصادها، بل وحتى بقِيَمها، دون أن يكون في مقدورها تحريك

شيءٍ سوى المواجع.

مجازر الدماء، على أنواعها، ستقف على ضفَّتها مجزرةٌ من نوع آخر ستطال الذين تمَّ احتسابهم من فئة الناجين. سيكونون على موعد مع مجزرة معيشية كبرى ستُضاف إلى قائمة المجازر التي ارتكبتها العصابة الحاكمة، مع فارق أنها هذه المرَّة ستطال الجميع دون أيِّ تفرقةٍ طائفيةٍ أو مناطقيةٍ.

وما يزيد في آلام الوطنيين، أنه في السياسة ووجهات نظرها قد عَلِقَ السوريون بين رأيَيْن حول انهيار العملة الوطنية: رأيٌ يقول بأنَّ انهيارها يُعجِّل في انهيار اقتصاد العصابة، ورأيٌ يقول بأنَّ انهيارها لن يُعجِّل إلا في انهيار ما تبقَّى من حياةٍ للسوريين الذين وصل راتبُ الموظَّف منهم إلى ما يُعادل عشرين دولاراً شهرياً، بينما يجلس السفَّاح وحاشيته بمنأى عن ذلك كلِّه.

مئات آلاف المهجَّرين الذين هم الآن بلا مأوى حقيقي، سوى خيام النايلون والـمَغاور وأشجار الزيتون التي تتَّخذ مئات العائلات من ظلالها مسكناً، بدأوا بالارتعاش برداً لمجرَّد فكرة اقتراب فصل الشتاء.

وبين بؤسَيْن، سُمِّيا مجازاً «مناطقَ»، تمَّ تقسيم السوريين: فمناطق (تتمدَّدُ) محكومةٌ من عصابةٍ طائفيةٍ مدعومةٍ من دول ومحاور

وميليشيات عابرة للحدود، ومناطق (تتقلَّصُ) محكومةٌ من شراذمِ فصائلِ قادتها مَنْ لم يكن منهم تكفيرياً مُعادياً للعصر والحداثة، كانَ عميلاً لاستخبارات الدول، إلَّا من رَحِمَ ربِّي من قادةٍ شرفاء قضى معظمهم ومن بقيَ منهم فيده على سلاحه دفاعاً عمَّا تبقَّى له من أرضٍ وأملٍ.

ومع توالي سقوط الليرة، ومع توالي سقوط المناطق، ومع توالي سقوط الأمل... يسقط ما كان يجب أن يبقى، ويبقى ما كان يجب أن يسقط.

موقع «زمان الوصل»، **10** أيلول **2019**

لجنة التصفية

«اللجنة الدستورية» مصطلحٌ تحسبه يخصُّ دولةً تعيش أزمة مؤسَّساتٍ ودستورٍ، ترافقها بعض الإضطرابات والقلاقل، ولا يخصُّ دولةً تمَّ محوها عن الخريطة بفعل حرب همجيةٍ شرَّدت أكثر من نصف سكَّانها، وقتلت من أبنائها مليوناً، وغيَّبت في السجون مليوناً، وعَوَّقتْ مليوناً.

هذه المفارقة تفضح المغزى الحقيقي الذي أراده الصانعون من وراء إنشاء هذه اللجنة: تصفية القضية السورية بتوقيع «معارضةٍ» أقرب ما تكون إلى هيئة شهود الزور.

إنَّ اختيار الإصلاح الدستوري آليةً، أو مدخلاً، لغلق الملفِّ السوريِّ هو أساساً تزييفٌ لحقيقة المأساة التي يُراد إنهاؤها.

فالسنوات الأُولى من الثورة لم تتضمَّن أيَّ إشارة من قبل الثائرين إلى المسألة الدستورية، لأنَّهم -ببساطةٍ- يدركون شكلية هذه المسألة ضمن التركيبة الأمنية الحاكمة التي لا تقيم اعتباراً للكرامة الإنسانية للمواطنين، فكيف بحقوقهم!

ناهيك عن أنَّ بعض البنود الموجودة أصلاً في الدستور الحالي للنظام (دستور 2012)، والتي تتعلَّق بحقوق المواطنين وحرِّياتهم، تكاد تكون موضع تندُّر حين تُقارَن، نصّاً، مع حالها على أرض الواقع.

ولنا في بعض الموادّ من فصل «الحقوق والحرِّيات» شواهد:

«لكلِّ مواطن الحقُّ في أن يُعرب عن رأيه بحرِّيةٍ وعلنيةٍ...» (المادَّة 42)

«تكفل الدولة حرِّية الصحافة...» (المادَّة 43)

«للمواطنين حقُّ الاجتماع والتظاهر سلمياً...» (المادَّة 44)

... إلخ.

بل إنَّ المادَّة الثامنة في دستور 2012 تقول بأنَّ النظام السياسي للدولة يقوم على «مبدأ التعدُّدية السياسية»!!

إنَّ قراءة ما تقدَّم من بنودٍ لا تفضح نظرة النظام إلى الدستور فحسب، بل تفضح أيضاً مقدار التزوير الذي تقوم عليه فكرة إنشاء «اللجنة الدستورية».

فإذا كان الدستور الموضوع من قبل النظام نفسه، لا يُحترم في تطبيقه أيُّ باب أو فصل أو مادَّة، باستثناء الجزء المتعلِّق بالصلاحيات شبه الإلهيَّة لرأس النظام، فما هي الغاية من التفاوض على دستور

جديد ليس لديه أيّ فرصة في الاحترام والتطبيق، في حال اقتنعنا طبعاً أنه سيكون في وسع هذه اللجنة وضع دستور جديد للبلاد حقّاً؟

هذا التحريف الخطير للمأساة، القائم على تحريف خطير للحلِّ، يريد للمذبحة السورية أن تستمرَّ، ولكن برعاية أُمميَّة، وتحت سقفٍ «دستوريٍّ» أيضاً!

موقع «زمان الوصل»، **11** تشرين الثاني **2019**

محنة علم الثورة

مرَّتْ فضيحةُ اجتماع ما يُسمَّى «الحكومة السورية المؤقَّتة»، في ظلٍّ غياب عَلَم الثورة وحضور العَلَم التركي، بلا ضجَّةٍ تقريباً.

والذين تفنَّنوا بالسخرية والاستهزاء من بشار الأسد حين غاب عَلَم النظام عن لقاءاته مع الرئيس الروسي أو مع الرئيس الإيراني، ابتلعوا ألسنتهم.

إنَّ استغلال بعض الجماعات السياسية لعاطفةِ شريحةٍ كبيرةٍ من جمهور الثورة تجاه تركيا من أجل تمرير أجنداتهم غير الوطنية، هو أمرٌ مشينٌ.

ناهيك عن أنَّ طيَّ عَلَم الثورة هو طيٌّ للثورة ذاتها.

لا نفهم كيف تكون «حكومةً سوريَّةً» وترفع عَلَمَ دولةٍ أُخرى! تماماً مثلما لا نفهم كيف يكون الجيش «وطنياً» وهو يرفع عَلَمَ وطنٍ آخر!

لقد تمَّ التنكيل بعَلَم الثورة على أيدٍ مُضافةٍ إلى أيدي نظام الأسد، حتى بات يُخالجنا شعورٌ سوداويٌّ بأنَّ النجوم الحمراء

التي تتوسَّط العَلَم ليست إلا عيوناً مفقوءةً لشهداء قمنا بالتفريط بتضحياتهم.

وهكذا، بعدما داست عصابة الجولاني («جبهة النصرة» سابقاً، «هيئة تحرير الشام» لاحقاً) على عَلَم الثورة عَلَناً، يحصل ما هو أسوأ من مؤسَّسةٍ تدَّعي تمثيل الثورة!

أحد أعضاء هذه المؤسَّسة، التي نكاد لا نسمع أخبارها إلا حين تحصل فضيحةٌ، فهي من «الحكومات» العقيمة التي ليس لها أيُّ دورٍ فعليٍّ على الأرض، حتى أنَّ السوريين المستغيثين لا يذكرون اسمها من بين أسماء الجهات التي يناشدونها...

أقول: إنَّ أحد أعضاء هذه «الحكومة»، وضمن مجموعة خاصَّة على تطبيق «واتساب» تضمُّ نخبةً من الشخصيات السورية الوطنية، سخَّفَ من أهمِّية مسألة حضور العَلَم أو غيابه، واعتبر انتقاد ذلك «اصطياداً في الماء العكر»!

وكأنَّما عَلَم الثورة هو زيٌّ من ضمن أزياء عديدة نلبسه ساعة نشاء، ونخلعه ساعة نشاء!

وكأنَّما عَلَم الثورة هو لوحةٌ فنِّيةٌ تُعجب بعضاً فيُعلِّقها في صالون منزله، ولا تعجب البعض الآخر فيُعلِّق غيرها!

***

ربما فعلت «الحكومة المؤقَّتة» خيراً باستبعادها عَلَم الثورة عن اجتماعها. مَنْ يدري؟

ففي نهاية الأمر لا نظنُّ بأنَّ وطءَ عَلَمِ الثورة بحذاءِ أحد الإرهابيين أكثر شناعةً من رَفْعه فوق صلعة أحَد المرتزقة.

موقع «زمان الوصل»، 10 كانون الأوَّل 2019

«عدوّ الغنم»!

لو دقَّقنا في أخبار الأيَّام الماضية فقط، فسنجد أربعةً أو خمسةً منها، على الأقلّ، تتعلَّق بسرقاتٍ موصوفةٍ يقوم بها عناصر «الجيش الوطني» لمواشي وأغنام السوريين القاطنين في مناطق سيطرته!!

بعض تلك السرقات، والتي هي في الحقيقة عمليات سطو مسلَّح، انتهى بموت الضحية، مثلما حصل قبل أيَّام مع المواطن عبيد عيسى السودان في قرية العامرية بريف الحسكة حيث تُوفِّي بنوبةٍ قلبيةٍ نتيجة قيام عناصر من «الجيش الوطني» بالسطو على قطيع أغنامه خلال رعيها.

اليوم الأخير من السنة الفائتة (31 كانون الأوَّل 2019) اختُتِمَ بسرقة ألفَيْ رأس غنم في منطقة تل أبيض على يد عناصر يتبعون «الجيش الوطني». (بعد ذلك بيومَيْن، وفي المنطقة ذاتها، قُتِلَ شابّ مدنيّ جرَّاء ضربه بقضيبٍ حديديٍّ على رأسه بعد مقاومته لعناصر مجموعة تابعة لـ«الجيش الوطني»، تُدعى «فيلق المجد»، حاولت الاستيلاء على سيَّارته).

وفي 22 كانون الثاني 2020 تمَّ السطو بقوَّة السلاح على 150 رأس غنم في قرية أم الكيف بريف تل تمر، مع خطف الرعيان قبل إطلاق سراحهم دون إعادة الأغنام إليهم.

ومن لا تُسرَق أغنامه يتمّ فرض «خوَّة» عليه، كما حصل في بلدة المناجير جنوبي رأس العين، حيث فُرِضَ على أصحاب المواشي دفع مبلغ 1000 ليرة عن كلِّ رأسٍ يُربُّونه!

حوادث كثيرة، وكثيرة جداً، تحتاج إلى مساحة تحقيق صحافي طويل لإدراجها وتفصيلها، وليس إلى مقالة رأي سريعة كهذه المقالة.

مئات الشكاوى قُدِّمت من الأهالي، الذين تمَّ السطو على ماشيتهم، إلى قيادات «الجيش الوطني»، وكان مصيرها الإهمال الذي اتَّخذ شكلَ وعودٍ كاذبةٍ بالمحاسبة.

لقد تحوَّل قطاع كبير في «الجيش الوطني» إلى متعهِّدي سرقة أغنام وتهريبها، حتى أنَّ اشتباكاً مسلَّحاً اندلع، قبل ثلاثة أيَّام، بين فصيلَيْن يتبعان لهذا «الجيش» في منطقة الباب، وأدَّى إلى مقتل وجرح مجموعة عناصر، بسبب خلاف على عمليات تهريب الأغنام عبر المعابر التي تصل بين مناطق «درع الفرات» ومناطق «قوَّات سوريا الديموقراطية» في ريف حلب الشمالي!

قيادة «الجيش الوطني» تكتفي بعد كلِّ حادثةٍ بالقول بأنَّ ما يجري ليس أكثر من «تصرُّفات فردية»!

وعندما تأخذ حادثةٌ بعينها بعضَ الضجَّة الإعلامية تسارع تلك القيادة إلى إصدار بيان تتوعَّد فيه المتورِّطين بالمحاسبة، ثمَّ تنطوي القضية دون أن يحصل أيُّ شيء، سوى حدوث جريمة جديدة تتطلَّب إصدار بيان جديد.

وبالطبع، فإنَّ انتهاكات «الجيش الوطني» لا تقتصر على سرقة الأغنام، بل تتعدَّاها إلى أنواع عديدة من السرقة (مثلاً، قام عناصر «لواء الخطَّاب» بالسطو على محتويات منزل المعتقل في سجون الأسد، محمد أحمد الحبيب، في ريف تل أبيض)، ولكنَّ كثرة حوادث سرقة المواشي والقطعان أوحت لنا بضرورة إبرازها كعنوان.

هل يجوز لنا الاكتفاء بالتنديد بعمليات «التعفيش» التي يقوم بها جيش الأسد، في مقابل تعامينا عن مثل هذه الأفعال حين تصدر عن «الجيش الوطني»؟ هذا «الجيش» الذي كاد أن ينطبق عليه معنى البيت الشهير للشاعر السوري عمر أبو ريشة:

لا يُلامُ الذئبُ في عدوانـهِ

إنْ يكُ الراعي عدوَّ الغنمِ

والمصيبة الكبرى، هاهنا، بأنَّ هذا «الراعي» صار «عدوَّ الغنم» بالمعنى الحرفيِّ للكلمة!

موقع «زمان الوصل»، 25 شباط 2020

معركة شدِّ الأزر

من بين مئات المعارك التي خاضها السوريُّون طوال السنوات الفائتة ضمن حرب بقائهم على أرضهم، ثمَّة معركة كبرى وملحَّة جداً هذه الأيَّام، يجب أن تُفتَح على مصراعَيْها، هي معركة شدّ الأزر.

معركةٌ يشدُّ فيها السوريُّ الشبعانُ أزرَ أخيه السوريِّ الجائع. معركةٌ يشدُّ فيها السوريُّ الجالس إلى جانب المدفأة أزرَ أخيه السوريِّ البائت في العراء. معركةٌ يشدُّ فيها السوريُّ الآمنُ أزرَ أخيه السوريِّ الخائف.

وكلٌّ من موقعه وبإمكاناته، دون أن يستخفَّ أحدٌ منَّا بما يمكنه القيام به.

فشعبنا المنكوب في الداخل وصل إلى المرحلة التي يحتاج فيها إلى كلِّ شيء. ونجدة هذا الشعب هي أَوْلى الواجبات وأهمَّها على الإطلاق.

وإنَّه لمن العار علينا ألَّا نتقاسم خبزنا مع الذي تقاسم معنا

دماءَه.

إنَّ إعادة الروح إلى الثورة تتطلَّب أولاً إعادة الروح إلى الناس. ولن يستعيد الناسُ الجزءَ المسروقَ من أرواحهم دون أن يشعروا بأنَّ لهم سَنَداً فعلياً، من أبناء جلْدتهم، يحاول بكلِّ ما استطاعه أن يشدَّ من أزرهم.

السوريُّ الذي رُزِقَ بثلاثة أولاد فليحسب أنَّ الله رزقه بخمسة، والمعيل لعائلة صغيرة فليحسب أنه معيلٌ لعائلةٍ أكبر، وكلُّ مغتربٍ فليفكِّر قبل أن ينام في سريره الدافئ كيف يمكنه تدفئة طفلٍ ينام في العراء والصقيع.

إنها المعركة التي لا نستطيع أن نتحاماها بدعوى أننا عاجزون عن مواجهة الجيوش وأجندات الدول الكبرى و«الفيتو» الروسي والصيني، لأنها المعركة التي لن نواجه فيها أحداً سوى أنفسنا وسوى اختبار صدقنا وإخلاصنا لقضيتنا.

لا بدَّ من إعادة جمع الأجزاء المتناثرة من المرآة وإعادة لصقها لنرى وجوهنا فيها مجدَّداً. فقد فعلت السنوات الماضية فعلها في نفوسنا، وأوحت إلينا بأنَّ الحفرة التي حفرناها لزرع شجرتنا الموعودة تحوَّلت إلى قبرٍ جماعيٍّ لنا.

إنَّ معركة شدّ الأزر ليست معركةً لتحرير الأرض، بل لتحرير

الإرادة ولإنعاش الأمل المحاصر والمهجَّر والصامد حاله حال أهله المحاصرين والمهجَّرين والصامدين.

موقع «زمان الوصل»، **2** آذار **2020**

«الهلال» يتَّحد

«الهلال» الذي أراد نظام الملالي في طهران تشكيلَه في العراق وسوريا ولبنان، عبر سياسة التمزيق المجتمعيّ والحروب الأهلية، تحوَّل إلى هلالٍ من نار.

ثورة لبنان المدنيَّة، التي رفعتْ عنواناً عابراً للطوائف، حشرتْ ميليشيا «حزب الله» في مكانٍ أضيق من المخبأ السرِّي الذي يختبئ فيه زعيمها حسن نصرالله.

ثورة العراق، التي تُقدِّم أرقى أشكال الوعي المدني، بات يحمل شعلتَها أحرارُ الطائفة التي طالما استخدمها ملالي طهران للسيطرة على العراق ومُقدَّراته.

ولم يتأخَّر الإيرانيون أنفسهم عن اللحاق بالركب من خلال انتفاضة عارمة جعلت صورَ المرشد الأعلى أكثر اشتعالاً من الوقود الذي رفعتْ حكومة الملالي أسعارَه للتوّ.

إنَّ انكفاء غول الإرهاب، الذي كان نظام الملالي واحداً من كبار مُشغِّليه، من خلال علاقته التي لا يرقى إليها الشكّ بتنظيم

«القاعدة»، ودور وكيله السابق في العراق نوري المالكي بالهروب الكبير من سجنَيْ أبو غريب والتاجي والذي كان الخطوة الأكبر في طريق صعود تنظيم «داعش»... نقول إنَّ انكفاء هذا الغول أتاح الفرصة أمام شعوب المنطقة، أو شعوب الهلال المحتلّ، لكي تلتقط أنفاسها.

فجأةً، ومنذ زمن طويل، تشعر هذه الشعوب بـ«وحدتها»، واقعاً ومصيراً.

فجأةً، تتَّحدُ المشاعر الشعبية بهذا الشكل وبهذه القوَّة، فتتَّصل ساحات بيروت وبغداد وطهران بطرقاتٍ عاطفيةٍ يتمُّ اختبارها للمرَّة الأُولى.

اختفى الطابع العنصري للشعب اللبناني ضدَّ اللاجئين السوريين، واختفى الطابع الطائفي للشعب العراقي في «الحرب» الدائرة بين «يزيد والحسين»، واختفى الطابع العدواني للشعب الإيراني ليتبيَّن بأنه، هو الآخر، ضحيةٌ للممارسات الإجرامية لنظامه الثيوقراطي.

اللافتة الصغيرة في بيروت باتت تُقرأ بوضوح في طهران. وهتاف العراقيين بات مسموعاً في دمشق. كأنما فُتحتْ البلاد على بعضها بلا مقدِّمات.

بالطبع، لم تمحُ الثوراتُ الشعبيةُ الحدودَ بين البلدان، لكنها بالتأكيد محت الحواجز المتوهَّمة.

وإلا، فما الذي يجعل قلبي، أنا السوري الذي دمَّرت إيران بلده، يخفق في ساحات أصفهان وشيراز ومشهد وطهران؟

بل ما الذي يجعلني عاجزاً عن التمييز بين أقدام الإيرانيين التي تدوس صور الخامنئي وأقدام السوريين التي داست صور الأسد؟

لكم تتشابه أقدام الشعوب حين تدوس الطغاة!

موقع «زمان الوصل»، **19** تشرين الثاني **2019**

المقارنة المستحيلة

ما إنْ بدأت الانتفاضة اللبنانية، ضدَّ فساد السلطة الحاكمة، بإفراز جمالياتها الشعبية من شعارات ولافتات ورقصات وطرائف... حتى أطلَّ علينا بعض عتاة الشبِّيحة ليُعيِّروا الثورة السورية بـ«عنفها» و«همجيتها»، وبجمال المتظاهرات اللبنانيات أيضاً!

وبالطبع لا يخفى على لبيبٍ أنَّ القصد من ذلك ليس مديح ما يحصل في لبنان، بقدر تثبيت دعاية النظام الرسمية حول أنَّ الثورة في سوريا خلتْ من أي مظاهر أو جماليات مدنيَّة يُفترَض أن تتحلَّى بها الثورات الحقَّة، وكانت عبارةً عن جولات مجَّانية من العنف والتطرُّف والكراهية.

لكنَّ الجواب على هؤلاء لم يَطُلْ أبداً، بل إنه جاء من قلب ساحات التظاهر اللبنانية، حيث تمَّت استعارة أشهر أغاني وأناشيد وشعارات الثورة السورية، مع بعض التحوير في الكلمات لتُناسب واقع الحال في لبنان.

طرائف لافتات كفرنبل الشهيرة، التي اغتال الجولاني مهندسَها

رائد الفارس، عكست ضوءَها على العديد من اللافتات المرفوعة في لبنان.

حتى الهتافات الساخرة التي راجتْ في الأشهر الأُولى للثورة السورية، استمعنا إلى شبيهاتها في لبنان مع استبدال مُسمَّى «البعثي» بـ«العوني»، وهكذا.

وفي لحظاتٍ معيَّنة، كاد السوري المتابع لوقائع التظاهرات في ساحة النور بطرابلس أن يشردَ فيظنَّ بأنها مشاهد من ساحة العاصي في حماة.

مع ذلك تبقى المقارنة مستحيلةً طالما أنَّ المتظاهرات الجميلات في لبنان، واللواتي أُتيح لهنَّ أن يتحوَّلنَ إلى نجمات في السوشال ميديا، لم يُتِحْ لأخواتهنَّ السوريات أكثر من أن ترويَ إحداهنَّ كيف أدخل الجلَّادون إلى رحم زميلتها في السجن فأراً حيَّاً.

طالما أنَّ حَمَلة الورود في ساحات لبنان، لم يُعتقل أحدُهم ويُسلَّم إلى أهله جثَّةً انتُزعتْ أحشاؤها كما حصل مع غياث مطر؛ رائد حَمَلةِ الورودِ في سوريا.

طالما أنَّ الجندي اللبناني في وسعه أن يبكيَ تأثُّراً أمام المتظاهرين والكاميرات، دون أن نسمع خبر موته في اليوم التالي، مثلما حصل مع الجنود السوريين الذين رفضوا المشاركة في المذبحة، فكانت

نهايتهم رصاصةً في الرأس.

إنَّ ما يجعل المقارنة مستحيلةً هو أنَّ ما يشغل بال المتظاهر اللبناني وهو في طريقه إلى المظاهرة، لم يكن يشغل بال المتظاهر السوري، المشغول أصلاً بسؤال عمَّا إذا ما كانت هذه المظاهرة التي يشارك فيها هي آخر عملٍ يقوم به في حياته؟

موقع «زمان الوصل»، **26** تشرين الأوَّل **2019**

ذكرى سمير قصير

لو قُسِمَ لي عمرٌ كالعمر القصير الذي عاشه الصديق الاستثنائي الراحل سمير قصير (45 سنة) لبقيَ لي أقلّ من ثلاث سنوات في هذه الدنيا.

***

2 حزيران 2005، كنتُ أستقلُّ أحد الفانات الصغيرة الذاهبة إلى ساحة الشهداء في بيروت حيث يقع مبنى جريدة «النهار»، حين سمعتُ الركَّاب يتداولون خبراً عاجلاً عن اغتيال أحد صحافيي الجريدة. وعلى الرغم من أني أعرف مدى التهديد الذي كان يتعرَّض له سمير قصير، إلا أنَّ اسمه -ولسببٍ مجهولٍ- لم يخطر في بالي في تلك اللحظة، بل خطرت لي أسماءٌ أُخرى.

لقد كنتُ مستعدًّاً للكتابة عن كتبه، وليس للكتابة عن موته!

وفي لحظةٍ طُبعتْ بطريقة الكَيِّ في الذاكرة، كان جواب أحد الركَّاب عن سؤالي حول اسم الصحافي المغدور: «سمير قصير»!

إذا كان من لحظاتٍ مفصليةٍ في حياة المرء ليتحدَّث عنها، فتلك

اللحظة كانت تحمل ذلك المعنى في حياتي. كانت لحظةً شخصيةً بقدر ما كانت لحظةً عامَّةً في حياة البلد يومذاك. وعلى العموم كانت اللحظة التي بدأتُ فيها بتغيير رأيي حول قرار العيش والبقاء بشكل نهائي في لبنان.

لقد اكتشفنا، كأصدقاء لسمير قصير، بأنَّ بين قرَّاء مقالاتنا قراءً غير عاديين. قرَّاء يُجيدون استعمال المتفجِّرات وتفخيخ السيَّارات. قرَّاء يُدقِّقون في الكلمات وبين السطور ويحدِّدون مصائرنا، ككتَّابٍ، بناءً على ذلك التدقيق!

وللحقّ كان سمير قصير غير غافلٍ عن هذه الحقيقة، وقد جاهر بها في مناسبات عديدة، ولكنني شخصياً كنتُ أشعر أنه في قرارة نفسه غير مصدِّق بأنَّ تلك التهديدات جدِّية بما فيه الكفاية لتُنهيَ حياته.

الكتَّاب السوريون الذين عرفوا سمير قصير تعاملوا معه ككاتب سوري، لشدَّة اندفاعه في الشأن السوري وإيمانه العميق بأنه لا إمكانية لحصول تغييرٍ جذريٍّ في لبنان من دون تغييرٍ جذريٍّ في سوريا.

فقد آمن سمير قصير بمقولة «المصير المشترك» بين البلدين، ولكن بشكل أعمق بكثيرٍ من الطرح الميكافيلي الذي استخدمه

نظام الأسد للسيطرة على لبنان.

أبوه الفلسطيني وأُمُّه السورية ومسقط رأسه اللبناني جعلوا منه خلطةً شاميَّةً نجحت في الدمج، بذكاء وإخلاص، بين القضايا المركزية في بلاد الشام: تحرير فلسطين وديموقراطية سوريا واستقلال لبنان.

كان سمير قصير، ومعه كوكبة من المثقَّفين، من الذين أعطوا جريدة «النهار» بُعدها الثقافي العميق والمؤثِّر، قبل أن تسقط في فخاخ الإسفاف والعنصرية.

وفي ذكراه الرابعة عشرة، إذا سُمِحَ لي بالحديث عن الجانب الشخصي، سأقول بأنَّ سمير قصير كان أخاً حقيقياً لي بكلِّ ما للكلمة من معنى.

وكان، مع الشاعر الكبير الراحل أُنسي الحاج، من أوائل الذين شجَّعوني واحتضنوني في بداياتي، وقد بلغ تشجيعه لي إلى درجة أنه قام بتكبير إحدى مقالاتي وعلَّقها في مكتب زوجته الإعلامية المعروفة جيزيل خوري.

كانت خسارة سمير قصير خسارةً شخصيةً لدى الذين عرفوه عن قرب، ولم يكتفوا بقراءة عموده الصحافي أو كتبه ومؤلَّفاته.

لذلك كلَّما أردتُ أن أكتب شيئاً عنه، في ذكراه، أجدني قد

وقعتُ تحت تأثير العاطفة والكتابة الوجدانية، وانجذبتُ -بقلَّةِ حيلةِ الفراشة- إلى الشعر.

موقع «زمان الوصل»، **4** حزيران **2019**

تاريخ ميشال عون

«ميشال عون مشكلة، لأنه حالة إسرائيلية صدامية وتدميرية».
حسن نصرالله، خلال حفل تأبينيّ لأحد قتلى «حزب الله»
في برج البراجنة، جريدة «النهار» 6 تشرين الثاني 1989

لا يكاد يمرُّ يومٌ على لبنان وإلا ونسمع فيه خبر اعتقال أحد ناشطي وسائط السوشال ميديا، والسبب يكاد يكون واحداً: المسّ بإحدى الشخصيات السياسية، عبر منشور أو صورة، أو حتى عبر إعادة تغريد ما كتبه الآخرون.

وبالطبع، على رأس تلك الشخصيات التي اتُّهم بقدحها هؤلاء الناشطون رئيس الجمهورية اللبنانية الحالي ميشال عون.

لكنَّ المشكلة التي تطرحها جناية «القدح والذمّ» مع شخص على شاكلة ميشال عون، هو تاريخ عون نفسه!

بمعنى أنَّ تاريخ هذا الشخص كان حافلاً -وبشكل موثَّق- بما يُعتبر قدحاً وذمَّاً له.

فهل استذكار ذلك التاريخ يُعتبر جنايةً يُعاقب عليها القانون

حقًّاً؟

على سبيل المثال، إذا قام مواطن لبناني بإعادة نشر صورة الجنرال عون وهو يصافح قائد جيش الدفاع الإسرائيلي سنة 1982 في بيروت مهنِّئاً له على نجاح الاجتياح، فهل ستتمُّ محاكمة ذلك المواطن بجرم الإساءة إلى رئيس الجمهورية؟

إذا حدث ذلك فعلاً -وبالمناسبة من غير المستبعدّ حدوثه قياساً إلى ما نشهده من محاكمات غرائبية على منشورات بسيطة تتناول ما هو أقلّ بكثير من قضية عمالة ميشال عون- فسنكون أمام حالةٍ فريدةٍ من نوعها يقوم فيها أحدُ الأشخاص بمحاكمة الآخرين على تاريخه هو!

***

اليوم، حاضرُ ميشال عون يتشدَّق بكلِّ ما هو نقيض لماضيه. فهو اليوم «الرئيس المقاوم» ضدّ إسرائيل، بينما كان بالأمس عميلاً إسرائيلياً صريحاً، بشهادة الصورة الشهيرة، وبشهادة صحيفة «يديعوت أحرنوت» الإسرائيلية التي وصفت، في عددها الصادر بتاريخ 27 تشرين الأوَّل 2016، العلاقة بين القيادة الأمنية الإسرائيلية وعون خلال تسعينيات القرن الماضي بـ«الغَزَل المتواصل». مؤكِّدةً أن الجنرال اللبناني أبلغ الإسرائيليين أنَّ لبنان

تحت قيادته سيكون «صديقاً لإسرائيل».

ولا يجب أن ننسى أنَّ ميشال عون في الثمانينيات، ومن أجل الحصول على أموال الدعم العراقي، ادَّعى تبنِّيه خطاب «العروبة» و«القومية العربية» في رسائله المحرَّرة إلى صدَّام حسين، قبل أن ينتهيَ به الحال عضواً في «حلف الأقلِّيات» بل رأس حربةٍ في تطبيق هذه النظرية الفاشيَّة.

ولا يجب أن ننسى، أيضاً، بأن ميشال عون الذي تحوَّل إلى الحليف الأوثق لنظام بشار الأسد، هو الذي سبق له أن تفاخر مراراً بوقوفه وراء صدور «قانون محاسبة سوريا» الذي أقرَّته إدارة الرئيس الأميركي جورج دبليو بوش في كانون الأول 2003.

ناهيك عن أنَّ هذا الشخص سبق له أن اجتمع بعتاة داعمي الحركة الصهيونية من أجل محاربة «حزب الله» بوصفه «منظَّمة إرهابية»، قبل أن يتسنَّم منصب قائد السَّرِيَة المارونية في جيش «ولاية الفقيه» إثر توقيعه ما يُسمَّى بـ«اتفاقية مار مخايل» مع «حزب الله» بتاريخ 6 شباط 2006.

بل إنَّ هذا التناقض، الذي يُطابق وصف الانقلاب على الذات، لا يقتصر على المقارنة بين ماضي ميشال عون وحاضره، فحاضر عون يزخر بكمٍّ من التناقض لو وُجِدَ في بلدٍ يتمتَّع بحدٍّ

أدنى من المحاسبة لكان وبالاً على صاحبه.

فيكفي، على سبيل المثال، تعداد أسماء الأقارب المباشرين لميشال عون الذين تمَّ تعيينهم في أعلى مناصب الدولة والتيَّار السياسي الذي يقوده، بينما هو يدَّعي بأنه حامل شعارَي «الإصلاح والتغيير» و«محاربة الإقطاع العائلي»، لنعرف مدى الزيف المستحكم الذي يطبع مسيرة هذا الشخص:

نوَّاب التكتُّل البرلماني التابع لميشال عون: آلان عون، ماريو عون، سليم عون، وصهره شامل روكز زوج ابنته كلودين عون.

وزير الخارجية: صهره جبران باسيل زوج ابنته شانتال عون.

رئيس مجلس إدارة تلفزيون «أو. تي. في»: صهره روي هاشم زوج ابنته ميراي عون التي تشغل منصب مستشارة رئيس الجمهورية.

قائد الجيش اللبناني: جوزيف عون.

... إلخ.

***

إنَّ الانتهازية السياسية، بوجهها الانقلابي المتطرِّف، التي مارسها ميشال عون، مع رفع الشعارات الوطنية والأخلاقية شديدة الزيف، انتهت به بأن يصبح مـجرَّد ذكر تاريخه بمثابة سُـبَّة له تستوجب محاكمة الشخص الذي تحدَّث عنه، باعتبار أنَّ كل محطَّة في تاريخ

هذا الرجل هي «قدح وذمّ» لمقام الرئاسة الذي يتولّاه!

موقع «زمان الوصل»، **21** آذار **2019**

تحريك عظام عمر بن عبد العزيز: الأمن الحضاري

إذا كانت الذاكرةُ على عهدها ولم تخنِّي، ففي السنوات الأولى للثورة راسل أحدُ المؤيِّدين الفنانَ السوريَّ مازن الناطور مخاطباً إياه بـ«حفيد يزيد»!

وقد ردَّ عليه الناطور، بأكثر الطرق تأدُّباً، حيث قال له إنه بالكاد يذكر اسم جدِّه حتى يذكر أنه «حفيد يزيد».

خطرت لي تلك الحادثة، وأنا أشاهد صور نبش قبر الخليفة الأمويّ الثامن عمر بن عبد العزيز (681م – 720م)، في قرية الدير الشرقي قرب مدينة معرَّة النعمان، على يد الميليشيات الطائفية.

إنَّ ما أتحدَّث عنه، هنا، ليس الحقد الذي يؤدِّي إلى نبش قبر «العدو»، كما حدث في شباط الفائت في خان السبل بريف إدلب حين أقدم عناصر من جيش الأسد على نبش قبور الثوَّار وتصوير هذا الفعل البربري ونشره على الملأ، بل هو حقدٌ أخطر بما لا يقاس، لأنه تقريباً حقدٌ غير مفهوم وغير منطقي ولديه القدرة على

العبث بـ«إعدادات» الزمن.

فهؤلاء لا ينبشون قبرَ خصم راهنٍ، لسببٍ راهنٍ، بل ينبشون قبر شخصٍ من التاريخ مضى على موته 1300 سنة، «انتقاماً» لأشخاص مضى على موتهم 1300 سنة، في سياق أحداث حدثت وانتهت قبل 1300 سنة!!

فأنْ تتَّخذ جماعةٌ من القرن الواحد والعشرين الميلادي أشخاصاً عاشوا في القرنَيْن السابع والثامن الميلاديَّيْن كأعداء راهنينَ لها، فهذا لن يُخرج تلك الجماعة من الواقع لوحدها، بل سيُخرج الآخرين معها.

فنبش قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز على يد جماعات شيعية متطرِّفة (الدير الشرقي، 2020)، وقبل ذلك نبش قبر الصحابي حُجْر بن عَدِيّ على يد جماعات سنِّية متطرِّفة (عدرا، 2013)، وكلُّ نبشٍ في أحقاد تاريخية ماضوية، سيضع أمننا الحضاري -إذا جاز لي التعبير- في مهبِّ الريح.

ففي مقابل وجود «الأمن القومي» و«الأمن الاجتماعي» و«الأمن الاقتصادي» و«الأمن الغذائي»... ثمَّة ما يمكن أن ندعوه بـ«الأمن الحضاري» الذي يتعلَّق بتماسُك الأرضية الحضارية التي تقف عليها مجتمعاتنا. وتحريك عظام عمر بن عبد العزيز -إنْ

وُجدت- هو بمثابة تحريك لـ«الصفائح التكتونية» لتلك الأرضية.

إنهم ينبشون شيئاً غير موجود إلا في عقولهم المريضة بالماضي. لذلك هم، في حقيقة الأمر، يخترعون هذا الشيء وهم ينبشون عليه. ففي قبرٍ عمره 13 قرناً، ما الذي يمكن نبشه سوى أحقاد ماضوية يمكن لإعادة اختراعها مجدَّداً تفخيخ مجتمعاتنا لألف عام مقبل؟

لقد عَلِقوا في هذه الثقافة الماضوية القائمة على الدم والحقد والثأر، ويريدوننا أن نعلق معهم، ضمن عملية شريرة لخطف الحاضر، والتفاوض عليه في أحد كهوف الماضي!

موقع «زمان الوصل»، **2** حزيران **2020**

لماذا يصرُّ حلفاء بشار على إهانته؟

وكأنما جائزةٌ تنتظرهم، يتسابق حلفاءُ بشار الأسد على إهانته. بالنسبة إليه، اليوم الذي يمرُّ دون إهانة، على أيدي حلفائه، أسعد الأيَّام.

الروس تفنَّنوا -حرفياً- في تصنيع تلك الإهانات، وتفنَّنوا أيضاً في تسريبها على شكل صور وشرائط نزلت برداً وسلاماً على مقدِّمي البرامج الساخرة.

الإهانة البروتوكولية كانت البداية فقط. تغييب عَلَم النظام والاكتفاء بالعَلَم الروسي، في لقاء بوتين الأسد، كان الإهانة الأُولى في طريق الألف إهانة، والتي لشدَّة تكرارها لم تعد إهانةً أصلاً.

صار مشهد إيقاف بشار في الصفِّ مع الضبَّاط الروس، خلف بوتين، نوعاً من البروتوكول. وصارت كيفية استدعائه إلى «قاعدة حميميم» من دون إبلاغه بهوية الضيف الروسي آليةً روتينيةً في التعامل. أمَّا حادثةُ إمساك أحد الضباط الروس بذراعه لمنعه من اللحاق ببوتين، فلم تعد مدعاةً للاستغراب، مع مرور الوقت

وتوالي الشبيهات.

وعلى طريقته، كرَّر الحليف الإيراني تلك الإهانات.

فتسمية «ذيل الكلب» التي أطلقها مركز «كارنيغي» الروسي على بشار، وجدتْ ما يقابلها في صحيفة «قانون» الإيرانية حين وصفته بـ«الجبان المخنَّث الأناني».

وتغييب عَلَم النظام في لقاءات بشار مع القادة الإيرانيين لم يعد أمراً مستهجناً.

بل إنَّ الإيرانيين، في الأيام الفائتة، تفوَّقوا على نظرائهم الروس حين نقلوا الإهانة إلى عالم المتخيَّل!

فتحت عنوان «سنُصلِّي في القدس»، نشرَ الموقع الفارسي الرسمي للمرشد الإيراني، علي خامنئي، لوحةً تصوِّر القادة في ما يُسمَّى «محور المقاومة»، وهم يصلُّون ضمن صفوفٍ وُضِعَ بشار الأسد في الرابع منها، بشكلٍ يجعل الناظر محتاجاً إلى إنعام النظر جيِّداً لكي ينجح بالتعرُّف إليه!

هكذا، وبعد عشرات الإهانات في العالم الواقعي، تأتي إهانات العالم المتخيَّل! فحتى عندما يتخيَّلون الأسد يجعلونه قليل الشأن قابعاً في الصفوف الخلفية!

والحقّ أننا نفهم إصرارنا، كمعارضين، على توجيه الإهانة

لبشار باعتباره السفَّاح الذي قتلَ ودمَّرَ وهجَّرَ، لكننا ربما لا نفهم ذلك الإصرار حين يصدر عن حلفائه الذين قاتلوا من أجل بقائه!

فإذا كان هدف الروس هو إظهار تبعيَّة بشار لهم، وبالتالي إفهام العالم بأنَّ مفاتيح الحلّ السوري كلَّها في يدهم، فإنَّ هذا الهدف قد تحقَّق منذ زمن، ويمكنه التحقُّق دائماً من دون اللجوء إلى أسلوب الإهانة المباشرة.

وإذا كان الهدف انتقاماً شخصياً لبوتين من بشار، بسبب رفض الأخير -قبل الثورة- تلبية دعوته إلى موسكو ثلاث مرَّات، بحسب ما نقل بندر بن سلطان لصحيفة «الإندبندنت» في حديثه المطوَّل والشهير، فإنَّ الهدف قد تحقَّق أيضاً، مرَّاتٍ ومرَّاتٍ، ناهيك عن أن بشار بات أضعف وأقلّ من أن يكون مادَّةً للانتقام الشخصي من رئيس دولة يحرص على وصفها بـ«العظمى».

وإذا كان الهدف الإيراني هو الضغط على بشار لإعطائهم حصَّةً أكبر من اقتصاد البلد المنهوب، فيمكنهم تحصيل ذلك دونما استعمال لأسلوب التجريح والشتم وتقليل الشأن.

الآن، ربما ينتظر القارئ منّي أن أجيب، من خلال معلومة مُسرَّبة أو عبر تحليل سياسي معقَّد، على سؤال: إذاً، لماذا يُصرُّون على إهانة بشار؟

لكنَّ جوابي بسيط جداً، يعرفه كلُّ ذي فطرةٍ سليمةٍ، ويتلخَّص في كلمتَيْن اثنتَيْن، ألا وهو: احتقار العملاء!

موقع «زمان الوصل»، **27** أيَّار **2020**

تلفزيون الأسد يَقسم شاشته

لم يَقسِمْ تلفزيونُ الأسد شاشتَه إلى ستَّة أقسام لكي ينقل وقائع المظاهرات التي عمَّتْ سوريا سنة 2011، لكنه قَسَمها قبل أيام لنقل وقائع المظاهرات الأميركية سنة 2020!

على تلفزيون حكوميّ مغمور لا يتابعه حتى شعبه، تقرأ أسماء: بوسطن ولوس أنجلوس وشيكاغو وديترويت... ولا تقرأ أسماء: درعا وحمص وإدلب ودير الزور!

تسمع اسم «جورج فلويد»، ولا تسمع اسم «غياث مطر»!

ترى ركبة الشرطي الأميركي الأبيض وهي جاثمةٌ على رقبة المواطن الأميركي الأسود في مدينة مينابولس، ولا ترى أقدام الجنود السوريين من طائفةٍ معيَّنةٍ وهم يدوسون على أجساد المواطنين السوريين من طائفةٍ معيَّنةٍ في قرية البيضا!

تشاهد فيديوهات نهب المتاجر الأميركية على يد أصحاب سوابق ومجرمين استغلّوا حالة الانفلات الأمني، ولا تحلم بمشاهدة فيديوهات التعفيش لبيوت وأرزاق السوريين على يد الجيش الذي

يُسمّي جنودَه «حماة الديار»!

تتابع وثائقياً عن التمييز العنصري ضدَّ السود في أميركا، ولا تتابع شيئاً عن الإبادة الطائفية في سوريا!

عشرات آلاف الصور التي هزَّت العالم بوحشيَّتها، لمعتقلين سوريين قضوا تعذيباً في أقبية المخابرات، لن ترى واحدةً منها على الشاشة المقسومة إلى ستَّة أقسام هذه الأيَّام؛ كما لو أنَّ طموحاً مستجدًّاً راودَ محطَّة الأسد لمنافسة المحطَّات الأميركية!

وإذا حدث أن مرَّت صورةٌ من تلك الصور على شاشة تلفزيون الأسد، فسيحدث ذلك في سياق مروِّع للانحطاط البشري، مثلما حصل الشهر الفائت مع الشهيدة رحاب العلَّاوي، صاحبة الصورة الأشهر في مجموعة «قيصر»، حين عرضَ مسلسلٌ دراميٌّ رقيعٌ تلك الصورة باعتبارها صورة فتاة مصرية قُتِلَتْ في سوريا وتمَّت سرقة أعضائها!

وفي هذه الأيام التي صار فيها جوعُ ملايين السوريين هو التسعيرة الجديدة لإطالة أمد جلوس بشار الأسد على كرسيه الصغير، لو كان التلفزيونُ سوريًّاً حقًّاً، لقَسَمَ شاشته إلى أقسام لنقلِ لقطاتٍ لسوريين ينبشون حاويات القمامة بحثاً عن بقايا طعام تُسكت جوعهم، ولقطاتٍ لسوريين يبيعون كلاهم وبعض أعضاء

جسمهم ليأكلوا بثمنها، ولقطاتٍ لسوريين انتحروا برمي أنفسهم من فوق «جسر الرئيس» بدمشق.

لو كان التلفزيونُ سوريًّاً فعلاً، لقَسَمَ شاشته إلى أقسام لنقلِ مشاهداتٍ من حياة البذخ التي تحياها أسماء الأسد، ولتصوير أسطول السيَّارات الفارهة التي يملكها ابن بثينة شعبان، ولبثّ حيّ ومباشر للحفلات الماجنة التي يقيمها وسيم الأسد على شرف صديقه تاجر المخدِّرات اللبناني نوح زعيتر الذي يصول ويجول في سوريا.

لو كان التلفزيونُ سوريًّاً فعلاً، لقَسَمَ شاشته إلى أقسام لنقلِ وقائع مظاهرات السويداء الأخيرة، بدل الانشغال بمظاهرات المدن الأميركية على بُعد آلاف الكيلومترات.

لا يأمل السوريون شيئاً من هذا التلفزيون سوى اتِّقاء شرِّ شاشته باعتبارها أداةَ قمع أمنيةً، حاولت إرهابهم زمناً، والتضليل على دمهم زمناً، وتزوير موتهم زمناً. وحين انتهت قدراتها الترهيبية وصارت عديمة المفعول... ولَّتِ الأدبارَ صوبَ شيكاغو!

موقع «زمان الوصل»، **9** حزيران **2020**

مأزق صور «قيصر»

إضافةً إلى الألم غير الموصوف الذي سبَّبه نشرُ صور «قيصر» الرهيبة لعموم السوريين، ثمَّة ألمٌ غير موصوف أيضاً طاولَ أهالي الضحايا الذين نُشرت صور أبنائهم.

فقد استتبعَ نشر تلك الصور انتشار أخبارٍ متفرِّقةٍ عن آباء أُصيبوا بذبحاتٍ قلبيةٍ بعدما تعرَّفوا على صور أبنائهم، وعن أمَّهات فقدنَ عقولهنَّ.

بطبيعة الحال، أدَّى ذلك كلُّه إلى سجالٍ سوريٍّ، حسَّاس جداً، حول «أخلاقية» المساهمة بنشر تلك الصور من دون احترام مشاعر أهالي الضحايا.

لكنَّ مثل هذا الطرح -على وجاهته- أغفل نقاشاً لا يقلُّ أهمِّيةً حول «أخلاقية» عدم المساهمة بنشر الصور انتصافاً للضحايا أنفسهم ونقلاً لحجم مأساتهم إلى العالم أجمع، وكذلك التشهير بقاتليهم والمساهمة في تحريض الرأي العام للضغط على صنَّاع القرار الدولي للتسريع بمحاكمة جميع المشتركين في تنفيذ كبرى

جرائم القرن الحادي والعشرين.

لقد وضعتنا -بالأحرى سَجَنتنا- صورُ «قيصر» بين خيارَيْن صعبَيْن غير إنسانيَّيْن قال فيهما شاعرٌ عربيٌّ قديمٌ بأنَّ «أحلاهما مُرٌّ».

فثمَّة حقوق للضحايا، وثمَّة حقٌّ لأهل الضحايا.

ثمَّة واجبٌ يستدعي نشرَ الصور كرمى لتضحيات المعتقلين، وثمَّة واجبٌ يستدعي عدمَ نشر الصور كرمى لمشاعر أهل المعتقلين.

ثمَّة أخلاقية تدفع باتجاه، وثمَّة أخلاقية نقيضة تدفع بما هو عكس ذلك الاتجاه.

إنَّ صور «قيصر» ليست وثيقة تاريخية على إبادة جماعية حصلت فحسب، بل هي أيضاً وثيقة تاريخية على إمكان تحويل الدفاع عن الحقِّ -ضمن السجال العام- إلى «عمل غير أخلاقي».

يحتار سوريُّو النكبة اليوم، مع انتشار آلاف الصور من ملفِّ «قيصر»، كيف يُجيبون عن السؤال الآتي: أيُّ الأخلاقيتَيْن أكثر أخلاقية؟ ليختاروا إحداهما ويعملوا وفقها.

إنَّ الجواب -ومهما كان- لن يكون أقلَّ قسوةً من السؤال ذاته.

وهكذا فإنَّ التشوُّهات (بفعل التعذيب الجسدي) التي تنقلها

صور «قيصر»، سرعان ما ستغادر تلك الصور لتتحوَّل إلى تشوُّهات جديدة (بفعل التعذيب النفسي) لسوريين يموتون قهراً وراء الشاشات، من دون أن يُتاح لـ«قيصر» جديد تصوير وجوههم.

موقع «زمان الوصل»، **23** حزيران **2020**

مبرِّرات وجيهة لصمت «السفير»

جريمة اغتصاب الطفل السوري ابن الثلاثة عشر ربيعاً في بلدة سُحمر البقاعية في لبنان، والتي صوَّرها المغتصبون الثلاثة بأنفسهم (أحدهم اسمه هادي قمر وهو ابن أحد المسؤولين المحلِّيين في «حزب الله»)، قبل أن يتسرَّب منهم فيديو الاغتصاب الجماعي ويصبح حديث مواقع التواصل الاجتماعي... أثارت غضب الجميع، باستثناء غضب «السفير السوري» في لبنان!

الإدانات والتصريحات المستنكِرة لهذه الجريمة التي هزَّت أركان كلِّ من شاهدها، خرجت من أفواه الجميع ومن مكاتب الجميع، باستثناء فم علي عبد الكريم علي ومكتبه!

وإذا كان من المعروف أنَّ مشكلةً حين تحصل مع شخصٍ أجنبيٍّ مقيم في بلدٍ ما، لا بدَّ أن يكون اسم السفير هو الأكثر تردُّداً في نشراتِ الأخبار، بسبب تحرُّكه الحثيث لمواكبة القضية ومساعدة مواطنه صاحب المشكلة... فإنَّ الحال هاهنا يختلف كلِّياً مع هذا «السفير» الذي يصعب على المرء أن يجد له مثالاً واحداً عن تحرُّكٍ

قام به نصرةً لأيِّ مواطن سوري موجود على الأراضي اللبنانية، على الرغم من كثرة الانتهاكات التي حصلت، بل والتي تحوَّل بعضها إلى قضايا شهيرة شغلت الرأي العام في لبنان وسوريا.

والحقّ أنَّ إنعام النظر قليلاً في حالة هذا «السفير»، وحالة النظام الذي يمثِّله، ربما يكون السبيل الوحيد لتبرير صمته وسكوته تجاه شتَّى الانتهاكات التي يتعرَّض لها مواطنوه في لبنان.

فإذا أخذنا الجريمة الأخيرة مثلاً، جريمة اغتصاب الطفل السوري، ماذا في وسع هذا «السفير» أن يقول ويستنكر، إذا كان النظام الذي انتدبه سفيراً قد اغتُصبَ في معتقلاته عددٌ لا يُحصى من الأطفال؟!

بأيِّ عينٍ سيتحدَّث هذا «السفير» عن بشاعة الفيديو، وجنود جيشه قد صوَّروا فيديوهاتٍ لا تقلُّ بشاعةً في انتهاك الكرامة الإنسانية؟

هل سيتحدَّث عن ضحكات المغتصبين الماجنة، وثمَّة ضحكاتٌ أشدّ مجوناً لشبِّيحته وهم يُعذِّبون الناس متلذِّذين مستمتعين؟

هل سيتعجَّب من إصرار المغتصبين على توثيق جريمتهم عبر التصوير، بينما ضبَّاطٌ من أبناء منطقته، يحملون النجوم والنسور على أكتافهم، قد وثَّقوا جرائمهم بهواتفهم المحمولة؟

بماذا سيجيب الصحافيين، في حال قرَّر عقد مؤتمر صحافي، إذا ما سُئلَ سؤالاً حملَ بين طيَّاته اسم الطفل حمزة الخطيب الذي قضى تحت التعذيب في درعا بعدما قطعوا عضوه التناسلي؟

إذا فكَّرنا في هذا السيناريو، فسنجد -وبكلِّ موضوعيةٍ- مبرّراتٍ وجيهةً لصمت «السفير».

موقع «زمان الوصل»، **5** تمُّوز **2020**

أُحجية لؤي المقداد

المنحى الذي اتَّخذته قضية لؤي المقداد حتى الآن خاطئ، ويعوزه التصحيح.

فاقتصار التركيز على جانب عمليات النصب والاحتيال التي افتُضِحَ أمرها مؤخَّراً، يحجب الجانبَ الأهمَّ من القضية والذي تجب مناقشته: هل كان هذا الشخص اختراقاً سياسياً وعسكرياً للثورة السورية؟ بمعنى أنه: هل دخل الثورة بمهمَّةٍ رسميةٍ من نظام الأسد، أم أنه مجرَّد متسلِّقٍ شاطرٍ وجدَ في الثورة السورية فرصةً كبيرةً للثراء والغنى؟

وبسبب تعدُّد الجوانب التي يجدر بنا الانطلاق منها نحو الإجابة، سأقوم بتلخيص تلك الجوانب في أربع نقاط، ربما تصلح، في ما بعد، لتشكيل إجابة مقنعة أو حتى لتكوين رأي متماسك.

أوَّلاً، عدم استغلال السجلّ الجنائي:

قبل أيام قليلة كشف موقع «زمان الوصل» عن سجلٍّ جنائيٍّ

حافل للؤي المقداد قبل الثورة (7 مذكِّرات جرميَّة بتهم الاحتيال وإساءة الأمانة وإصدار شيكات بلا رصيد).

ولكنَّ هذا السجلّ لَـمْ ولن يكتسب أهمِّيته الحقيقية إذا لم نعطف عليه السؤال الآتي: لماذا لَـمْ يستعمل نظام الأسد هذا السجلّ الجنائي الدامغ لفضح المقداد الذي كان يشغل منصباً حسَّاساً في الثورة؟!

فكما يعلم الجميع فإنَّ إعلام النظام قام، في أحيان كثيرة، بتلفيق سجلَّات جنائية كاذبة لبعض المعارضين البارزين بهدف تسقيطهم، فكيف يفوته استخدام هذا السجلّ الجنائي الدامغ ضدَّ لؤي المقداد؟!

سؤالٌ يستبطن الإجابة لكلٍّ من يتمعَّن به.

ثانياً، استهداف جميع الفئات:

إنَّ كثرة الفئات التي استهدفها لؤي المقداد بعمليات الاحتيال (تأمين فيزا أو استصدار جواز سفر أوروبي) تطرح استنتاجاً مهمَّاً. فهو لم يكتفِ بالنصب على فئة رجال الأعمال السوريين الأثرياء، بل قام أيضاً بالنصب على الفئة النقيضة: فئة اللاجئين السوريين الفقراء!!

ولم يكتفِ بالنصب على فئة المغمورين الذين ربما يصعب عليهم إيصال صوتهم، بل نصبَ أيضاً على فئة المشاهير من الإعلاميين الذين يستطيعون بتغريدةٍ واحدةٍ أن يفضحوا حقيقته على الملأ ويحرقوا اسمه ومستقبله السياسي.

بمعنى أنَّ المقداد لم يعد مهتمَّاً بالرأي العام الثوري إطلاقاً، بل ربما يُسعده أن يقوم سوريُّو الثورة بشتمه الآن كتتويج لمهمَّته القذرة التي انتُدبَ لها.

والدليل على ذلك أنه كان بوسعه، بعدما احتالَ على رجل أعمال سوري كبير بمبلغ مليون دولار أن يتجنَّب، على الأقلّ، الاحتيال على إعلامي مشهور بمبلغ 25 ألف دولار!

فلا يفعل ذلك إلا الذي أوشك على تشطيب مهمَّته قبل الاختفاء النهائي من المشهد العام، أو الظهور في دمشق. وعلى العموم قام المقداد بإقفال حساباته كافَّةً على مواقع التواصل الاجتماعي، وقد أبلغني الأصدقاء بأنه غيَّرَ أيضاً رقم هاتفه، ولم يعد في وسع أحدٍ الوصول إليه.

ثالثاً، تعدد الجنسيات والشبهات حولها:

ثبتَ بالوثائق الدامغة أنَّ لؤي المقداد يحمل، إلى جانب جنسيته

السورية، ثلاثَ جنسياتٍ أُخرى: بريطانية، فلسطينية، لبنانية.

الجنسية البريطانية نالها لؤي المقداد في حزيران **2016** من خلال مرسوم خاص واستثنائي من الحكومة البريطانية. وقد نشر موقع «كلنا شركاء»، بتاريخ **12** حزيران **2016**، خبراً يقول فيه بأن هذه الجنسية تمَّ منحها للمقداد «بناءً على قانون يسمح للحكومة البريطانية منحَ الجنسية بمرسومٍ في حالات استثنائية، استناداً إلى أسباب خاصَّة يعود تقديرها لجهاتٍ معيَّنة». ولنا أن نتوقَّع بأنَّ تلك «الأسباب الخاصَّة» ليست سوى خدمات استخباراتية قدَّمها المقداد لأجهزة الاستخبارات البريطانية أثناء عمله مع «الجيش الحرّ».

وهذه الخدمات الاستخباراتية لم أعد أستبعد شخصياً بأن يكون قد قدَّمها أيضاً لإسرائيل، بعدما اكتشفتُ قبل يومين -وأنا أبحث عن معلومات تخصُّ الجنسية البريطانية- بأنَّ المقداد كان قد حصل كذلك على الجنسية الفلسطينية في أواخر العام **2012**!! وقد نشرت مواقع فلسطينية عديدة صورةً طبق الأصل عن جواز سفره الفلسطيني!

والسؤال المزدوج هنا: لماذا تمنح السلطة الفلسطينية المعروفة بعدم ارتياحها للثورة السورية، وخطوطها المفتوحة مع نظام الأسد، لؤي المقداد جواز سفرها؟ ثمَّ ما حاجة هذا الشخص لمثل هذا

الجواز إن لم يكن من أجل الدخول والخروج إلى إسرائيل (لم يكن قد حصل على جوازه البريطاني بعد)؟

أما الجنسية اللبنانية، والتي يمكننا التخمين بأنه قد حصل عليها بمساعدة النائب اللبناني عقاب صقر، فهي تفسح الطريق للنقطة الرابعة والأخيرة.

رابعاً، سؤال لعقاب صقر:

إذا سُمِحَ لي ببعض الكلام الشخصي، هاهنا، فسأقول إنَّ المرَّة الوحيدة التي جرى فيها اتصال مباشر بيني وبين لؤي المقداد كانت قبل حوالى الثلاث سنوات، حيث جاءني اتصالٌ هاتفيٌّ من رقم لا أعرفه، وحين أجبتُ على المتصل فإذا بصوت المقداد يأتي مهلِّلاً مازحاً، يسأل عني وعن أحوالي، ثمَّ جرى بيننا حوار غير قصير طاولَ تفاصيلَ عديدة فقدتْ الذاكرةُ الكثيرَ منها اليوم.

لكنْ مما لم تفقده الذاكرة قوله لي بأن «صديقي القديم» عقاب صقر هو الذي نصحه في بداية الثورة بمتابعة مقالاتي.

والحقّ أن الصحافي عقاب صقر (قبل أن يصبح نائباً في البرلمان) كان صديقي أثناء إقامتي في لبنان وعملنا المشترك في الصحافة، حيث كان معارضاً شرساً لنظام الأسد ولـ«حزب الله»، ثمَّ انقطعت

العلاقة بيننا بعدما غادرتُ لبنان، وحتى كتابة هذه السطور.

وبالطبع فإنَّ ما أرمي إليه من وراء هذه الحكاية هو التوجُّه بشكل مباشر إلى عقاب صقر وسؤاله عن أسرار صعود لؤي المقداد باعتباره أوَّل وأبرز من دعم هذا الشخص؟

وإني إذ أطلب منه ذلك علناً، وعبر الصحافة، بدل أن أقوم بالاتصال المباشر به، فلأن معرفة أسرار هذه الأحجية هي حقٌّ لكلِّ السوريين الذين أضرَّ المقداد بقضيتهم، والذين أيضاً منحوا عقاب صقر مكانةً مميَّزةً لديهم تقديراً لموقفه الداعم للثورة السورية منذ بدايتها.

إنَّ فئةً غير قليلةٍ من جمهور الثورة تنتظر من عقاب أن يشرح لها من أين جاء لؤي المقداد هذا، خصوصاً وأنَّ الشكوك باتت تحوم حول أنَّ المقداد هو أحد أكبر الاختراقات لجسد الثورة السورية، حيث تسلَّم هذا الشخص أخطر المناصب في أخطر مرحلة كان فيها «الجيش الحر» في مرحلته الأولى والأهمّ.

***

ومثلما بدأنا كلامنا نعيد القول بأنه من الخطأ التعامل مع قضية لؤي المقداد باعتبارها مجرَّد قضايا نصب واحتيال، بل يجب التعامل معها باحتماليَّة أنها قضية اختراقٍ أمنيٍّ كبيرٍ للثورة تسبَّب لها بأضرار

بنيوية ساهمت بوأد «الجيش الحرّ» في مهده، ومكّنت نظام الأسد من الحصول على كنز استخباراتي يخصُّ كلَّ عنصر فيه وكلَّ تحرُّك وكلَّ خطَّة.

فأهون الشرور أن يكون لؤي المقداد هذا مجرَّد متسلِّق محتال، ولكنْ أسوأ الشرور... فتلك التي لا يمكن تصوُّرها.

16 نيسان 2020

(*) أرسل إليَّ النائب عقاب صقر جواباً مكتوباً مطوَّلاً فحواهُ أنَّ لؤي المقداد ليس اختراقاً أمنياً من قبل النظام، بل إنما هو شخص محتال أدَّى به إدمانه للعب القمار إلى القيام بعمليات نصب واسعة. والله أعلم!

البلكون «المقاوم»

بعدما أخذ البلادَ إلى المذبحة الأهلية، ها هو اليوم، بالشعارات ذاتها وبالأسلوب ذاته، يأخذها إلى المجاعة.

«محور الممانعة»، والممانعة هنا ليست أكثر من تمويهٍ مصطلحيٍّ للحلف الطائفي العميق اللابس قميص فلسطين، بعدما أخذ البلاد الواقعة تحت هيمنته -في سوريا ولبنان والعراق واليمن- إلى حتفها السياسي كبلدان ذات حدود ووجود على الخارطة الدولية، يأخذها اليوم نحو حتفها الغذائي.

وبعدما ذاقت تلك البلاد الأَمرَّيْن من شعارات «الجهاد» بالصيغة «الرسمية» التي رفعها طوال عقود، يستولد هذا المحور التخريبي مشتقَّاتٍ جديدةً لذلك «الجهاد»، أوَّل غيثها «الجهاد الزراعي» وفق التعبير الذي استعمله حسن نصرالله في دعوته اللبنانيينَ للعودة إلى الزراعة.

وفي المدن، حيث يعيش حوالى 90 ٪ من اللبنانيين بحسب إحصاءات «الأمم المتحدة»، وحيث لا يملك الإنسان مساحةً يزرع

فيها، تصبح زراعة البلكون -بحسب زعيم الميليشيا- واجباً جهادياً أو «مقاومة زراعية»!

وعلى هذا المنوال المتهافت، يستطيع المرء أن يستولد «جهاداً كهربائياً»، لمواجهة الظلام الذي تغرق فيه المدن والقرى، عبر صناعة الشموع في المنازل... و«جهاداً نقدياً»، لمواجهة انهيار العملة الوطنية، عبر تجريم كلّ من يسأل عن سعر صرف الدولار... و«جهاداً نظافاتياً»، لمواجهة جبال النفايات في الشوارع والأزقّة، عبر رشّ المعقّمات والمطهّرات فوق تلك النفايات... وهكذا حتى نأتي على جميع المشاكل المستعصية فنجد لها حلولاً من نوع البلكون «المقاوم» الذي يقدّمه نصرالله كحلٍّ سحريٍّ لـمواجهة المجاعة الزاحفة!

أمّا سبب هذه الكارثة المكتملة الأركان، وهُويَّة المسبِّب لها، والأطراف التي تتحمَّل مسؤوليتها، فتلك مسائل غير جديرة بالنقاش العام لدى نصرالله، ما دامت «كرامة البلاد» محفوظة، حتى وإن لم يكلِّف نفسه عناء إخبارنا كيف لكرامةٍ أن تستقيم مع وجود كلِّ هذا القهر والجوع والمهانة!

الصور النهارية لبيروت وهي تغرق في المزابل، والصور الليلية لها وهي تغرق في الظلام، ومثلها بغداد ودمشق وصنعاء، ليست

صورة مكان، بل صورة زمان. صورة زمان تسيَّدَ به هؤلاء في غفلةٍ من شعوبنا، وفرضوا عليها أجنداتهم الإجرامية.

منطقة مثل القصير السورية، تحوَّلت أرضُها الخصبة -على أيدي أتباع صاحب نظرية «الجهاد الزراعي»- إلى كبرى مزارع الحشيش في المنطقة. وغيرها العديد من المناطق السورية التي احتلَّها «حزب الله» وهجَّر سكَّانها منها، ثمَّ حوَّلها مزارعَ ومصانعَ للمخدِّرات.

وقد بات جلياً في الفترة الأخيرة، ومن خلال الأخبار المتواترة عن مصادرة شحنات ضخمة من المخدِّرات، في مصر والسعودية وإيطاليا، قادمة من سوريا، أن «الجهاد الزراعي» الحقيقي الذي يمتهنه أقطاب هذا المحور، يختلف كلِّياً عن ذلك «الجهاد» الذي يدعون الناس لممارسته من على الشرفات.

بل ربَّما يمكن القول بأنَّ دعوة نصرالله إلى زراعة البلكون لن تصبح ذات جدوى اقتصادية فعلية، إلَّا إذا اقتدى الناس به وبحزبه، وجرَّبوا «الزراعة» التي يمارسها هؤلاء في البقاع وسوريا.

عندئذٍ، ومن خلال فحص سريع للبلكون المنزلي، يمكننا أن نميِّز بسهولةٍ بين زارعي الحشيشة المقاومين... وزارعي الورود العملاء!

موقع «زمان الوصل»، **21** تمُّوز **2020**

الثواني اللبنانية والسنوات السورية

الثواني التي عاش فيها اللبنانيون رعب الانفجار الكبير في مرفأ عاصمتهم، قابلتها سنواتٌ طويلةٌ عاش فيها السوريون رعباً أكبر بكثير وغير قابل للقياس.

فالأطنان الثلاثة التي فجَّرت جزءاً من العاصمة اللبنانية، كان قد أُلقيَ قبلها عشرات آلاف الأضعاف من المتفجِّرات فوق المدن والقرى السورية.

هذا ليس كلاماً للانتقاص من هول الفاجعة التي حلَّت بالأشقَّاء، بل هي مجرَّد مرثية لأهلنا الذين دُفِنَ الآلاف منهم تحت أنقاض المنازل التي عمَّروها بجنى أعمارهم.

البرميل المتفجِّر الذي كان يُلقى على المنزل مباشرةً، لا يمكن تشبيهه بأي انفجار آخر يضرب آلاف الشقق والمنازل معاً.

«استفراد» البرميل المتفجّر بمنزلٍ صغيرٍ لا يشبهه أَسَى آخر.

«استفراد» ألف كيلوغرام من المتفجِّراتً بمنزلٍ، قلَّلَ أصحابُه

الحديدَ في أعمدته الإسمنتية بسبب الفقر، لا يمكن مقارنته بهَوْلٍ آخر.

ثواني الانفجار اللبناني استطالت لسنواتٍ في سوريا. وقبل الذين قذفهم انفجارُ بيروت لبضعة أمتار عن مكان وقوفهم أو جلوسهم، ثمَّة الذين قذفهم انفجارُ سوريا لآلاف الكيلومترات؛ إلى البحار البعيدة والمحيطات التي نقرتْ أسماكُها عيونَ الآلاف من غرقاهم.

إنَّ مرحلة لملمة الجراح، أو لعق الجراح، التي يعيشها الأشقَّاء اللبنانيون، هي «تَرَف» كبير لا يجرؤ كُثُرٌ من السوريين على التفكير فيه بعد.

بل إنَّ صوت كنس الزجاج المتناثر في شوارع بيروت، والذي فطرَ قلوب اللبنانيين وقلوب شعرائهم، ربما يكون أمنيةً بعيدةَ المنال لدى ملايين السوريين الذين لم تُتَحْ لهم العودة إلى شوارع بلداتهم ومدنهم المدمَّرة التي هُجِّروا منها، فكيف بالأحرى كنس زجاجها!

إنَّ الأسى المحفوظ في كلِّ حجرٍ في بلادنا يجعل من مآسي الآخرين مناسبةً لرثاء الذات والبكاء على أطلالها. وهذا جُلُّ ما أحاول قوله بهذه الكلمات القليلة.

موقع «زمان الوصل»، **19** آب **2020**

تعطيش الحسكة

يضرب تعطيش الحسكة مثالاً وقحاً على استعصاء العبث الذي علقت فيه سوريا، والذي لا يبدو بأن الأفق المنظور في المستقبل القريب يحمل حلّاً ممكناً له.

فمدينة الحسكة، التي هي عروس نهر الخابور، يكاد أهلها وأهلُ ريفها يموتون عطشاً هذه الأيام بسبب قطع الماءالآتي من محطة مياه علوك.

والسائل عن السبب في هذا كلِّه، سيلقى جوابَيْن متناقضَيْن، أو بالأحرى سيجد وجهَيْن متناقضَيْن لجوابٍ واحدٍ.

وعلى الرغم من أنني لم أكن في صدد الدخول في الجدال العقيم والتناحري الذي يجري بين «قسد» من جهة وفصائل «الجيش الوطني» من جهة ثانية، إلا أنه من المفيد، ربَّما، أن أنشر ما اقتنعتُ به من معلوماتٍ وصلتني من أطراف عديدة، بينها عاملون في محطَّات الكهرباء والمياه، لفهم الأسباب الحقيقية لانقطاع المياه، ومن ثمَّ لفهم عمق المأزق الذي تعيشه المناطق السورية المحكومة

بالميليشيات؛ الكُردية والعربية على حدٍّ سواء.

وطلباً للتبسيط، سأورد تلك المعلومات على شكل نقاط متسلسلة:

- بعد الدخول التركي إلى رأس العين وتل أبيض، جرى الاتفاق على إمداد هاتين المنطقتَيْن كهربائياً من سدِّ تشرين المسيطَر عليه من قبل «قسد»، في مقابل أن يتمَّ إمداد الحسكة مائياً من محطَّة مياه علوك المسيطَر عليها من قبل الفصائل المدعومة تركيًّاً. وقد حدَّد الاتفاق كمِّية الكهرباء المطلوبة بـ15 ميغا.

- المنطقة الواقعة تحت النفوذ التركي تأخذ كهرباءَها من محطَّة مبروكة التي تأتيها الكهرباء من سدّ تشرين. أمَّا محطَّة مياه علوك، الواقعة بين مدينتَيْ رأس العين والدرباسية، فيتمُّ تغذيتها بالكهرباء عن طريق محطَّة الدرباسية.

- الخطُّ المغذِّي لمحطَّة مياه علوك هو خطٌّ خاصٌّ بالآبار فقط (الحمولة حوالى 4 ميغا عند عمل جميع الآبار والمضخَّات).

- نقطة الخلاف بدأتْ بعد التعليق الكهربائي من قبل بعض القرى وقسم من مدينة رأس العين على الخط المغذِّي للآبار، حتى وصلت حمولة هذا الخطّ إلى أكثر من 8 ميغا، ما شكَّل ضغطاً كبيراً على محطَّة كهرباء الدرباسية التي تردها كمِّية كهرباء لا تتعدَّى

الـ15 ميغا.

- عندما قامت «قسد» بخفض الجهد، تمَّ الردّ على ذلك بتشغيل أقلّ من 10 آبار من أصل 30 بئراً.

- تطالب «قسد» بأن يتمَّ الالتزام بكمِّية الكهرباء المحدَّدة عن طريق سدّ تشرين حصراً. وتطالب الفصائل بأن ترفع «قسد» كمِّية الكهرباء الواردة إلى 20 ميغا، وإلا لن يتمَّ تشغيل محطَّة الضخِّ إلا بربع طاقتها (في هذه الحالة سيحتاج الماء لكي يصل إلى كلّ حي من أحياء الحسكة إلى 12 يوماً).

- حالياً، تسمح «قسد» بـ10 ميغا فقط لرأس العين وتل أبيض، بينما تُشغِّل الفصائل مضخَّتين و10 آبار فقط، في معادلة تقول: نعطيكم ماءً على قدر ما تعطوننا من كهرباء.

يتضح مما سبق أننا أمام عملية ابتزاز موصوفة ومتبادلة؛ بين كهرباء تسيطر عليها «قسد» ومياه تسيطر عليها الفصائل، لتكون النتيجة تعطيش الحسكة وريفها!

دون أن يخفى على أحد أن «قسد»، التي حلَّلت لنفسها الاستئثار بالنفط السوري وحرمان بقية السوريين من حقِّهم بهذه الثروة الوطنية، تستفيد سياسياً وإعلامياً من إطالة أمد أزمة التعطيش، تماماً مثلما لا يخفى على أحد أن الفصائل -بالتجربة والبرهان-

ليست منقوصة القرار الوطني من خلال استلحاقها بالقرار التركي فحسب، بل إنها أيضاً منقوصة الشعور الوطني حين لا تعبأ بمصير مليون سوري كادوا أن يموتوا عطشاً.

موقع «زمان الوصل»، **28** آب **2020**

في تعريف «السوري العالق»

يحدث أن يعلق الناس على حدود البلدان الأجنبية، لكنها المرَّة الأولى التي يعلق فيها مواطنو بلدٍ ما على حدود بلدهم!

قرار نظام الأسد بعدم السماح لأيِّ سوريٍّ بالدخول إلى سوريا في حال لم يكن يحمل مئة دولار أميركي يقوم بتصريفه لدى السلطات عند المنافذ الرسمية بالسعر الذي يُحدِّده المصرف المركزي السوري (بغرض السرقة طبعاً، لأن المصرف يُحدِّد سعر صرف الدولار بأقلّ من نصف سعره الحقيقي)... جعل المئات من السوريين القادمين من لبنان يفترشون العراء على الحدود السورية.

معظم العالقين على حدود بلدهم هم من العمَّال الذين بات بعضهم -بعد انهيار العملة اللبنانية- يعمل بأقلّ من دولارَيْن في اليوم الواحد. وبعد انفجار مرفأ بيروت اضطروا للعودة إلى سوريا ليتفاجأوا بمنعهم من دخول بلدهم لأنهم لم يكونوا من حَمَلة المئة دولار!

الجانب السوريالي في هذا المشهد لن يكتمل ما لم يعرف القارئ

بأنَّ هناك قانوناً سوريَّـاً يقوم بتجريم حيازة الدولار الأميركي!

أي أنَّ المواطن السوري يُعاقَب بالسجن في حال امتلك دولاراً أميركياً، ويُعاقَب بمنعه من دخول بلده في حال لم يمتلك دولاراً أميركياً!!

مدير «إدارة الهجرة والجوازات»، اللواء ناجي النمير، أوصل هذه المسرحية المافيوية إلى مستويات غير مسبوقة من الوضاعة حين قال حرفياً، في لقاء متلفز، إنَّ «التعليمات تقضي بأن من لا يملك المئة دولار يُعاد من حيث أتى! إلا أن الجانب اللبناني لا يقبل برجوعه، وبالتالي يصبح اسمه سوري عالق! عندها لا خيار أمامه سوى الاتصال بأهله أو أصدقائه ليؤمِّنوا له المئة دولار»!!

وبالطبع لا يشرح هذا «النمير»، الذي يحمل رتبة «لواء»، من أين لأهل هذا «السوري العالق» وأصدقائه، وهم موجودون في الداخل، أن يجلبوا له مئة دولار؟! بل هل كان هؤلاء العمَّال المساكين مضطرّين للعمل، بشروط أقرب للعبودية في لبنان، لو كان لدى أهليهم بعض المدَّخرات بالدولار الأميركي؟!

عائلات كاملة تباتُ في العراء، منذ أيام، على حدود دولةٍ تحكمها عصابة لديها مؤسَّسات ومعابر ومدير «هجرة وجوازات» لا يخجل بأن يقول للإعلام إنَّ «السوري العالق يمارس حياته كالمعتاد

فيأكل ويشرب»!! مُستكثراً عليه الأكل والشرب، بل ربما مُستكثراً عليه النوم في العراء تحت سماء خالية من الطائرات الحربية!

ملحق: لم أكد أنتهي من كتابة هذا المقال حتى طالعني خبر وفاة اللاجئة السورية زينب الإبراهيم (17 عاماً) أثناء محاولتها دخول سوريا تسلُّلاً عبر أحد الطرق الجبلية، حيث سقطت من سفح الجبل المتاخم لنقطة المصنع الحدودية التي مُنعتْ من عبورها بسبب عجزها عن تأمين مبلغ المئة دولار!

موقع «زمان الوصل»، **7** أيلول **2020**

لماذا رياض حجاب؟

تمرُّ القضية السورية، اليوم، في أخطر مرحلةٍ لها على الإطلاق، فإما أن تكون مرحلة تصفية لهذه القضية، وإما أن تكون مرحلةً ينجح فيها الوطنيون السوريون بفرض أنفسهم ورؤيتهم في معادلة الحلّ السياسي الآتي لا محالة.

وبعدما انكشف نظام الأسد، حتى في أعين مواليه، كعصابةٍ داخليةٍ وكأداةٍ خارجيةٍ، وبعدما فاضت ساحة المعارضة بألوان حربائية من معارضاتٍ فهمت الثورةَ كفرصةٍ شخصيةٍ لجمع المال وحيازة النفوذ... صار لا بدَّ من الدفع قُدُماً باتجاه تشكيل تيَّار سياسي إنقاذي تلتفُّ حوله جميع الشخصيات الوطنية السورية التي لم تتلوَّث بالدم أو بالمال أو بالتسويق للمشاريع المشبوهة التابعة لأجندات بعض الدول.

ولأنه، في طرحٍ حسَّاس كهذا الطرح، لا ينفعنا الكلام العمومي في الحديث عن شخصيات إعجازية غير موجودة على أرض الواقع يجدر بنا اختراعها أو انتظار العقود المقبلة لتجود بمثلها...

ولأنه لا بدَّ لهذا الطرح من أن يكون واقعياً ومقترناً بتسمية شخصياتٍ تستطيع السير به وتحمُّل أعبائه...

ولأنه أجد من واجبي ألا أتردَّد في تسمية الشخصية التي أعتقد بأنها الأكثر جدارةً وقدرةً على تشكيل حركة إنقاذية تضطلع بدور رئيسي في قيادة المرحلة المقبلة... فإني أُسمّي رياض حجاب، رئيس الوزراء المنشقّ، وأدعوه لأخذ زمام المبادرة.

ولشرح وجهة نظري أو أسباب اعتقادي بأفضلية حجاب على سواه، سأُفصِّل ذلك في نقاطٍ سبع أجدها نقاط قوَّةٍ تتوافر في الرجل مجتمعةً، ولا تتوافر في بقية المعارضِين الآخرين مجتمعةً أيضاً:

أولاً، هو أرفع شخصية تنشقُّ عن نظام الأسد.

ثانياً، هو موضع إجماع إيجابي لدى شريحة واسعة من أبناء الثورة.

ثالثاً، وهذه نقطةٌ أجدها مهمَّةً للغاية، هو موضع تطمين لمختلف شرائح الشعب السوري، بما فيها شريحة الموالين الذين عرفوه محافظاً للاذقية.

رابعاً، هو المعارض الأكثر ممارسةً لمهام الإدارة وشؤون الحكم في الدولة.

خامساً، هو شخص مُحصَّن -بسبب تاريخه السياسي قبل

الانشقاق وسلوكه بعده- ضدَّ أهم تهمتَيْن في لائحة التهم الرئيسية التي يستعملها نظام الأسد وحلفاؤه لتشويه صورة المعارضين: التطرُّف والطائفية.

سادساً، هو شخصية معتدلة ومقبولة دولياً، وهو بالتوازي مع ذلك ابن الأكثرية التي جرت عليها أعمالُ الإبادة والتطهير.

سابعاً، هو ابن محافظة دير الزور التي باتت تقع ضمن سيطرة ما يُعرَف بـ«الإدارة الذاتية». بمعنى أنه ابن المنطقة التي يقع على عاتقها تطويق المشاريع الانفصالية التي تُهدِّد وحدة الأراضي السورية.

وبالطبع أستطيع الاستطراد أكثر في ذكر نقاط إضافية أُخرى، ولكني أجد النقاط السبع أعلاه هي الأهمّ والأكثر ترجيحاً ليكون رياض حجاب الأنسب لقيادة المرحلة المقبلة والداهمة، ولتشكيل حركة أو تيَّار وطني إنقاذي، يضع المصلحة السورية فوق كلِّ اعتبار، فيمحضه السوريون الثقة ويمنحونه الزخم اللازم لتصدُّر المشهد، من ثمَّ البدء بتغييره.

موقع «زمان الوصل»، **28** أيلول **2020**

واقعية ثورية مبدئية

منذ أن نُشِرَ في موقع «زمان الوصل» وحتى اليوم، أثار مقالي المعنون «لماذا رياض حجاب؟» حالةً من الجدل، أو الأدقّ أنه فتح نقاشاً حول الطرح الذي قدَّمتُه عبر اقتراح دعم رياض حجاب، رئيس الوزراء المنشقّ، كشخصية وطنية توافقية تقود حركةً إنقاذيةً من داخل الثورة.

والحقّ أنني أعود للكتابة حول هذا الموضوع لتوضيح ما أشكلَ والتبسَ على بعض الذين تداولوا وناقشوا محتوى المقال، علماً بأنَّ أكثريةً واضحةً منهم قد أيَّدتْ ما جاء فيه.

فالطرح، من حيث المبدأ، لا يتعلَّق بضرورة دعم شخص رياض حجاب تحديداً، بل بضرورة دعم الشخصية التي تحوز على صفات تُؤهِّلها لكي تلعب دوراً فاعلاً في تغيير المشهد، والتي -لأسباب عدَّدتُها في المقال المذكور- أجدها متوافرةً في شخصية حجاب أكثر من غيره.

إنَّ الردَّ على طرح اسمٍ معيَّنٍ بالقول إنَّ «الاتفاق على الاسم

غير مهمّ لأنَّ الأهمَّ هو الاتفاق على المبادئ» هو في حقيقة الأمر كلامٌ مُلقى على عواهنه، ما دام أنه يَغفل عن حقيقة أن معظم الشخصيات المعارِضة تدَّعي وتزعم أنها تتبنَّى أرفع المبادئ الثورية، في حين أنَّ ممارسات بعض تلك الشخصيات تأتي على النقيض من تلك المبادئ!

نقطة الانطلاق، برأيي المتواضع، لصون مبادئ الثورة وتحقيق أهدافها، تكون بالاتفاق على اسم محدَّد والعمل على تشكيل إجماع حوله، خصوصاً بعدما تمَّ إغراقُ المشهد المعارض بشخصياتٍ، لن يرفَّ لي جفنٌ وأنا أصفها بحثالة البشر، أضعفتْ -عبر ممارساتها الانتهازية وارتزاقها لدى الدول ولصوصيتها التي لم تنجُ من براثنها أموال الإغاثة والمشرَّدين- إيمانَ السوريين بما قاموا ويقومون به في مسارهم الثوري الطويل.

فالإجماع على اسم شخصية وطنية، أو حتى على مجموعة شخصيات وطنية أثبتت جدارتها، سيُبطل مفعول الشخصيات المصطنعة الملفَّقة التي أُغرقتْ بها المعارضة السورية. كما أنه سيساهم في إعادة إنتاج معارضة وطنية نظيفة، وموثوقة شعبياً، قادرة على التصدِّي لمسألة تمثيل الثورة، وبالتالي قادرة على تقديم مشروع البديل المنتظر.

شخصياً كان لي رأيٌ في هذا الصدد، وقد قدَّمتُه في المقال السابق، وعلى كلِّ صاحب رأي أن يُدليَ بما يراه صواباً ويختار اسماً إذا أمكن من أجل تقديمه للنقاش العام.

أمَّا استعمال الكليشيهات العاطفية التي تقوم على اختيار أسماء الشهداء والمغيَّبين في سجون النظام والقول إنهم هم الوحيدون الذين يستحقُّون قيادة الثورة... فهذا كلامٌ إنشائيٌّ لن يُقدِّم ولن يؤخِّر شيئاً على أرض الواقع.

فأنا أتمنَّى لو أنَّ الشهيد أبا الفرات كان حيَّاً، أو لو أنَّ المقدَّم حسين هرموش كان طليقاً، وغيرهما من الشهداء والمغيَّبين في المعتقلات، لكي يقودوا الحركة الإنقاذية المنتظرة. ولكنَّ الأماني شيءٌ وما نحنُ فيه شيءٌ آخر.

إنَّ الواقعية في العمل الثوري -كما في العمل السياسي- ضروريةٌ جداً، لا ينجح عملٌ من دونها.

وإذا كان مصطلح «الواقعية» ذا سمعة سيِّئة في عالم السياسة، لأنَّ بعض السياسيين استخدموه كمدخل للتنازلات والمساومات والصفقات، فيمكنه أن يكون ذا سمعة حسنة في السياق الثوري عبر ربطه بمبادئ الثورة، وجعل تلك المبادئ سقفاً واضحاً لواقعية ثورية نتحرَّك من خلالها لإنقاذ شعبنا وإخراج بلادنا من محنتها.

وَلْـنُسَمِّ ذلك اصطلاحاً: واقعية ثورية مبدئية.

موقع «زمان الوصل»، 27 تشرين الأوَّل 2020

تبرئة الحصار

أثناء زيارته لمعرضٍ إنتاجيٍّ في التكيَّة السليمانية بدمشق، برَّأ بشار الأسد الحصار و«قانون قيصر» من الكارثة الاقتصادية الحالية، ملقياً باللوم على الشعب نفسه!

قال بأنَّ «الحصار ليس السبب في ما تمرّ به سوريا (...) فالمشكلة الاقتصادية سببها الأموال التي أودعها السوريون في لبنان، وحين أُقفلت المصارف في لبنان دفعنا الثمن. هذا هو جوهر المشكلة الذي لا يتحدَّث عنه أحد»!

بالطبع لا يخفى -أو يجب ألَّا يخفى- على أحدٍ أن الأسد لا يحاول تبرئة الحصار بقدر محاولته تبرئة نفسه.

فالسوريون في مناطق سيطرته، باتوا يدركون حقيقةَ أنَّ حالة شبه المجاعة التي يعيشونها سببها الأول والأخير هو بقائه في الحكم ورفضه المغادرة وعرقلته قيام أيِّ تسويةٍ سياسيةٍ هي شرطٌ أساسيٌّ لرفع الحصار عن سوريا.

ولأنَّ كذبةً كبيرةً كهذه -أي تبرئة الحصار من الكارثة المعيشية-

تحتاج إلى الكثير من الغبار لتمريرها، فتح الأسد ملفَّ الأموال المهرَّبة إلى لبنان، محمِّلاً هذا الملفّ المسؤولية الكاملة!

وبالفعل بدأت الصفحات الإعلامية الموالية الحديث عن أنَّ جوهر الأزمة ليس «قانون قيصر» ومفاعيل الحصار الاقتصادي، بل تلك الأموال التي هرَّبها «التجّار السوريون» إلى لبنان، والتي قدَّرها الأسد في حديثه بـ20 مليار دولار كحدٍّ أدنى و42 مليار دولار كحدٍّ أعلى... دون أي إشارة إلى أن قسماً كبيراً من تلك الأموال المهرَّبة يعود إلى أفراد من عائلات الأسد ومخلوف وشاليش وبقية الائتلاف العائلي الذي يُشكِّل المافيا الاقتصادية في البلاد.

وكما يعرف الجميع، فإنَّ ما قاله بشار في هذا الصدد لا يُعتبر سابقةً، بل هو نهجٌ دائم، إذ إنه دأبَ على التنصُّل من أي مسؤولية تقع عليه، وبدلاً عن ذلك يقوم بتحميلها للسوريين.

ولنتذكَّرْ أنه أعاد، في السابق، سببَ اندلاع الثورة في سوريا إلى وجود «حاضنة شعبية» للإرهاب قد تصل إلى «ملايين الأشخاص»! رافضاً الاعتراف بتحمُّله، هو ونظامه الإجرامي، لأيِّ مسؤولية.

إنَّ «الأموال المهرَّبة» التي جعلها الأسد مصدراً لكلِّ الشرور (نقص الخبز والوقود وانهيار العملة الوطنية...) لا تشمل عشرات المليارات التي دفعها للجيش الروسي ولميليشيات إيران. ولا تشمل

مرافق البلاد وثرواتها التي باعها ورهنها ثمناً لبقائه على الكرسي. بل تشمل فقط الأموال التي قام التجَّار السوريون بتهريبها إلى لبنان خوفاً من أن يسطوَ عليها هو وزوجته التي ملأت، للتوِّ، جيوبها بمليارات آل مخلوف.

وهكذا يخرج الأسد بريئاً كالعادة... لتبدأ محاكمة الشعب المذنب.

موقع «زمان الوصل»، 7 تشرين الثاني 2020

جمباز الكروش الكبيرة

بخلاف المنطق -الوطني والفيزيائي على حدٍّ سواء- يريد أصحاب الكروش الكبيرة في «الائتلاف» تنفيذ قفزة جمباز عملاقة فوق جبلٍ من الجثامين!

فقرار «الائتلاف» تشكيل ما أسماها «المفوَّضية العليا للانتخابات»، بهدف التمكين من «المنافسة في أيِّ انتخابات مستقبلية سواء كانت رئاسية أو برلمانية أو محلِّية»، كما قال في بيانه، يقفز فوق المأساة السورية برمَّتها ليصل إلى طريق تحقيق أحلام أعضائه في الحصول على فتاتِ سلطةٍ هي بدورها فتاتُ سلطةٍ أُخرى!

حرفياً، نحن أمام قرارٍ يحمل اعترافاً صريحاً بشرعية الانتخابات في سوريا، واعترافاً ضمنياً بشرعية القائمين على هذه الانتخابات!

وبكلمةٍ ثانيةٍ، نحن أمام عملية إعادة تدوير لبشار الأسد من كونه مجرم حربٍ يحتكم للدبَّابات والطائرات إلى كونه مرشَّحاً رئاسياً يحتكم للصناديق والانتخابات!

بالطبع، لسنا ساذجين لنُصدِّق بأن قرار تشكيل هذه «المفوَّضية»

يمكن أن يأتيَ ارتجالاً دون أن يأخذ كفايته من التفكير والنقاش. تماماً كما لا يمكننا استبعاد فرضية أنه قرارٌ صدرَ بوحي من جهةٍ ما أو دولةٍ ما لها خططها الخاصَّة بالوضع السوري، طالما أن «الائتلاف» لم يكن -ومنذ لحظة تأسيسه المشؤومة- أكثر من مرايا عاكسة لمصالح الدول التي أنشأته ودفعت رواتب أعضائه.

بيان «الائتلاف» اللاحق، الذي أراد امتصاص موجة الغضب والصدمة، والذي أعلن إيقاف العمل بقرار إحداث المفوَّضية «إلى حين إجراء مزيد من المشاورات للوصول إلى صيغة مناسبة»، كان واضحاً في أنَّ قرار المشاركة في السلطة -وبأيِّ شكلٍ وبأيِّ ثمن- قد اتُّخذ، وبأنَّ الخلاف يدور، فقط، حول «الصيغة المناسبة»!

ومن هذا المنظار يمكن أن نفهم معنى حديث «الائتلاف» عن «تهيئة الشارع السوري لخوض غمار الاستحقاق النيابي» كتهيئة لهذا الشارع لقبول مشاركة المعارضة في السلطة، عبر «مجلس الشعب» وبعض الوزارات الهامشية، تحت سقف واطئ يُحدِّده النظام وداعموه من قوى الاحتلال.

بل إنَّ تفصيل أنواع هذه الانتخابات، بين «رئاسية وبرلمانية ومحلِّية» في قرار «الائتلاف»، وتعمُّد تمرير كلمة «رئاسية»، يحمل مغزىً واضحاً حين ننتبه إلى أن الانتخابات الرئاسية في سوريا باتت

على الأبواب، ولا يفصلنا عنها سوى خمسة شهور!

لن يملَّ «الائتلاف»، ولن يكلَّ أعضاؤه، قبل أن يعادوا الكرَّة ليطرحوا الموضوع بصيغةٍ أُخرى، أكثر ركاكةً وانبطاحاً، وفي جميع الأحوال: أكثر انكشافاً.

موقع «زمان الوصل»، 28 تشرين الثاني 2020

الشهادة الجديدة لقيصر

بعد شهادته الموثَّقة بعشرات آلاف الصور التي قدَّمها ضدَّ نظام الأسد، ها هو «قيصر»[1] يطلُّ مجدَّداً ليقدِّم ما يشبه «الشهادة» الجديدة ولكنْ، هذه المرَّة، ضدَّ المعارضة.

ففي حوارٍ حصريٍّ أجرته جريدة «عكاظ»، بتاريخ 17 أيَّار 2020، مع «قيصر» ورفيقه سامي (الذي حمل الملفَّ إلى المحافل الدولية)، تحدَّث الرجلان عن تصرُّفات دنيئة قامت بها زمرةٌ أساسيةٌ في المعارضة، وصلت إلى حدود ابتزازهما بأمنهما الشخصي!!

وطبعاً من نافل القول أنه لا يمكن، إطلاقاً، مقارنة شهادة «قيصر» الدامغة والمفصلية عن جرائم الإبادة التي ارتكبها النظام في معتقلاته، بأيِّ شهادةٍ أُخرى.

(1) قيصر: ضابط سوري منشقّ نجح، سنة 2014، بتسريب 55 ألف صورة لـ11 ألف معتقل قُتلوا تحت التعذيب، وقد أثارت تلك الصور -بسبب وحشيتها- الرأي العام العالمي.

لكن مع ذلك تكتسب «شهادته» الجديدة ضدَّ جهةٍ معيَّنةٍ في المعارضة أهميةً كبيرةً.

فإذا كان ملفُّ «قيصر»، الذي يكاد لا ينازعهُ في الخطورة ملفٌّ آخر، ليس لأنه قدَّم الدليل الحاسم على جرائم الإبادة في المعتقلات السورية فحسب، بل لأنه يتَّصل بالقضية الأكثر مأساوية في الثورة ألا وهي قضية المعتقلين والمغيَّبين قسراً، ناهيك عن تأثيره السياسي الكبير بعد استصدار قانون حمل اسمه، أي «قانون قيصر»[1]... أقول: إذا كان ملفٌّ بهذا الحجم والخطورة قد تمَّ التعامل معه بمثل هذه الطريقة (ابتزاز بالأمن الشخصي وتربُّح مادِّي)، فما الذي كان عليه الحال، إذاً، مع الملفَّات الأُخرى الأقلّ شأناً؟!

يتحدَّث «قيصر» وسامي عن وجود أكثر من عشرين منظَّمة ومؤسَّسة تعمل تحت مُسمَّى «فريق قيصر» وتتقاضى مئات آلاف الدولارات سنوياً من الدول المانحة دون أن يكون لها أيّ صلة بالملفّ!

---

(1) قانون قيصر: مشروع قانون أقرَّه مجلس النوَّاب الأميركي بتاريخ 15 تشرين الثاني 2016، ووقَّعه الرئيس الأميركي بتاريخ 21 كانون الأوَّل 2019، ينصُّ على إنزال العقوبة بكلِّ من يقدِّم الدعم العسكري والمالي والتقني لنظام الأسد، سواء أكان مقدِّمو الدعم دولاً أو أشخاصاً أو شركاتٍ.

ويُبدي الرجلان قلقهما من اللجنة التي شكَّلها «الإئتلاف» لمتابعة تطبيق «قانون قيصر»، متخوِّفَيْن من تحويل ملفّ «قيصر» إلى «ملفّ تفاوضيّ بيد مجموعة غير مؤتمنة على تضحيات الشعب السوري».

والحقّ أنَّ هذا التوصيف -أي «مجموعة غير مؤتمنة على التضحيات»- دقيقٌ للغاية في وصف «الائتلاف» ولجانه، استناداً إلى التقييم الموضوعي للدور الذي لعبه مع أسلافه من المؤسَّسات الشبيهة، لأنه -إضافة إلى فساده وتحوُّله إلى بؤرة للمتسلِّقين- افتقد الصبغة الوطنية السورية بشكل لافت، وتحوَّل إلى ما يشبه الشركة المساهمة المؤلَّفة من حصص وأسهم تمتلكها الدول والجهات المموِّلة دون أن يمتلك الشعب السوري شيئاً منها.

إنَّ فضح الأدوار المشبوهة التي لعبتها تلك المؤسَّسات، وبعض الشخصيات المعارضة، بات أشبه ما يكون بالواجب الثوري.

كما أنَّ التذرُّع بضرورة حرمان النظام من الاستفادة من فضائح المعارضة، لكتم الأصوات الناقدة للفساد والارتهان والعمالة للدول، قد أوشك على إيصالنا إلى قلب خزَّان غسان كنفاني الذي مات فيه الرجال اختناقاً دون أن يفكِّروا بالدقِّ على جدرانه.

يقول سامي (رفيق «قيصر») إنه سيكشف عن التفاصيل

والأسماء في «الوقت المناسب».

ويردُّ البعض: الآن هو الوقت المناسب.

موقع «أساس ميديا»، 22 أيَّار 2020

الحرب «الثرية»
والسِّلْم المفلس

في اعترافٍ سابق، ونادر، سلَّط ضوءاً جديداً على اقتصاد النظام في زمن الحرب، أقرَّ بشار الأسد في لقاء مع «الإخبارية السورية»، بتاريخ 1 تشرين الثاني 2019، بأنَّ «تحرير المناطق» أثَّر سلباً على الليرة السورية، والاقتصاد عموماً، لأنه حرمَ نظامه من «دولارات الإرهابيين».

كانت مناسبة ذلك الحوار تبرير انخفاض سعر صرف الليرة بعد تحقيق النظام لتقدُّم عسكري كبير على الأرض، بعكس ما كان يعتقد الموالون عن أن استعادة المناطق لا بدَّ أن تكون مقدِّمة لاستعادة زمام الأمور في البلاد، وعلى رأسها العملة والاقتصاد.

كان رأس النظام يقصد، يومذاك، التمهيد لما سيلي من انهيار للعملة والاقتصاد معاً.

كلام الأسد، إذا ما قمنا بترجمته وفق القاموس الاقتصادي، كان يعني بأنَّ دولارات الحرب التي دخلت إلى سوريا كانت أشبه

بالغطاء الذهبي لعملة البلاد، وحين ينفد هذا الغطاء ستكون العملة، يداً بيدٍ مع الاقتصاد، في حالة سقوطٍ حُرٍّ.

إنَّ العملة الصعبة، التي وفَّرتها الحرب لجميع الأطراف، ساهمت بتأخير الانهيار التامّ للاقتصاد المنهك، وتالياً الإشراف على المجاعة في مختلف المناطق السورية، وخصوصاً في المناطق الخاضعة لسلطة النظام.

ومع الجمود الحاصل على الجبهة الوحيدة المتبقية شمالاً، بفعل الاتفاق الروسي التركي، وانتهاء الدعم المالي الذي ضخَّته بعض دول الخليج لصالح الفصائل الإسلامية التي اختفى بعضها، وتحوُّل بعضها الآخر إلى تحصيل تمويله بقوَّة الأمر الواقع من أرزاق الناس في المناطق التي يسيطر عليها، ونضوب الدعم المالي الإيراني للنظام بسبب قسوة العقوبات الأميركية التي فتكت بالاقتصاد، إضافة إلى مطالبة الروس بتسديد فواتير الحرب المتراكمة... ذلك كلُّه أفضى إلى حالةٍ يمكن تسميتها بـ«السلْم المفلس».

ولأنَّ المصائب على نظام الأسد لا تأتي فرادى، تزامن حصول وباء «كورونا»، الذي حوَّل الشلل النصفي للاقتصاد إلى شلل كلِّي، مع اقتراب موعد تطبيق «قانون قيصر» الذي سيعاقب كلَّ من يقدِّم دعماً مالياً أو تقنياً أو عسكرياً للنظام.

إنَّ سنتاً أميركياً واحداً لن يدخل الخزينة في ظلِّ وجود هذه العائلة المافيوية التي بدأت تأكل بعضها في سبيل البقاء.

والرغيف -الذي هو الخطُّ الأكثرة حُمرة لدى جميع الشعوب بغضِّ النظر عن الثقافة والتاريخ والحالة الراهنة- صار يُوزَّع، بتقتيرٍ شديدٍ، على بطاقةٍ زاد من سخط الناس أنَّ النظام قد سمَّاها بـ«البطاقة الذكية»!

الشعب جائع، والنظام كذلك.

بدأ بشار الأسد بالتهام أقرب رجاله.

رامي مخلوف، الذي لم يتردَّد في تحريض فقراء العلويين لمنع مصادرة شركاته، لن يكون الأخير. المطالبات التي أطلقها السوريون في الأيام الأولى للثورة، لمحاسبة هذا الأخطبوط، تأخَّر «تحقيقها» تسع سنوات. ولكن ليس من أجل رفاهية السوريين، بل من أجل تسديد فواتير الأسلحة التي دمَّرت بلدهم.

الآن بردتْ سخونة الحرب، ومعها بردَ الجرح ليصير الشعور بالألم أكبر بكثير.

فمع انخفاض صوت قرقعة البندقية، تصاعد صوت قرقرة المعدة.

ولا نبالغ إذا ما قلنا بأنَّ صوت الأمعاء الخاوية في مناطق النظام

بات يرعب الأسد أكثر من صوت السلاح في مناطق المعارضة. لأنَّ ولادة «معارضة» معيشية، غير سياسية، من قلب الحاضنة الشعبية تعني أن الحرب صارت داخل الأسوار.

إنه يعرف جيِّداً بأنَّ ما عجزتْ عن فعله حربٌ «ثرية»، ربما ينجح بفعله «سِلْمٌ» مفلس. بل إنه يعرف جيِّداً بأنَّ «سِلْماً» مفلساً، ربما يكون هو الحرب الحقيقية.

موقع «أساس ميديا»، **31 أيَّار 2020**

جنود الأسد يتسوَّلون بالزيّ الرسمي

التُقطتْ صورةٌ لأحد الجنود في جيش الأسد وهو يقوم ببيع الخبز علانيةً في الطرقات، وبالزيِّ العسكري الكامل.

لقد وصل الحال بهذا الجندي، الذي قاتل وقَتَل طوال السنوات الفائتة، إلى أن يستخدم زيَّه العسكري كوسيلةٍ للتسوُّل، تماماً كما يستخدم بعض المتسوِّلين حالاتهم الخاصة، من إعاقاتٍ جسديةٍ كالشلل والعمى، لكسب عطف المارَّة.

الزيُّ العسكريُّ في سوريا، والذي يُفترَض أن تكون وظيفتُه بعثَ الفخار في نفوس الشعب، بات باعثاً للشفقة في نفس كلِّ من يراه.

الرغيف وحبَّة البطاطا الصغيرة، التي هي مخصَّصات الجندي الواحد في اليوم الواحد في أغلب الوحدات العسكرية -باستثناء تلك الوحدات المدعومة بشكل خاص كـ«الفرقة الرابعة» و«قوَّات النمر»- مع راتب شهري لا يتجاوز 16 دولاراً تنقص قيمته يومياً

مع كلِّ تدهورٍ يصيب العملة الوطنية، وإصابات قديمة يضطر عشرات آلاف الجنود للتعايش معها... ذلك كلُّه رسمَ الصورة الأكثر بؤساً وقتامةً لما يمكن أن يكون عليه حال الجندي في «جيش نظامي».

الجنود الجوعى الذين يجدون في جُعَبِهم رصاصاً يطلقونه، ولا يجدون طعاماً يأكلونه، لم يعد أمامهم سوى التسوُّل المقنَّع ببعض الحاجيات الرخيصة والبسيطة. وأحياناً كثيرة يكون هذا التسوُّل معلناً وصريحاً، كما في فيديو، سبقَ أن نشرناه، لأحد الجنود وهو يطلب من المارَّة، ويرجوهم، إعطاءَه إيجار الطريق ليصل إلى قريته.

أن يكون الزيُّ العسكريُّ في بلدٍ ما أداةً للتسوُّل ولاستعطاف الناس، فهذا يُخبر الشيء الكثير ليس عن حال الجيش والبلد فحسب، بل عن حال الحاكم الوضيع الذي يريد الاستمرار في الجلوس على كرسيِّه المخلَّعة، بعد (وعلى الرغم من) كلِّ شيءٍ قد حدث.

الجيش جائع، والجنود يتضوَّرون جوعاً، وأنينهم بات مسموعاً بقوَّة على صفحات التواصل الاجتماعي، بعدما راحوا يُعبِّرون علناً ودونما خوف عن مأساتهم المستفحلة، من على صفحاتهم الشخصية، أو عبر رسائل صادمة يرسلونها للنشر في الصفحات

العامَّة.

إنه جيش الجوعى الذي يريد له بشار الأسد أن يرفع راية النصر باليد المشغولة بحمل بضعة أرغفة. إنه جيش الجوعى الذي أُريد له فَرْد إصبعيه في الهواء لرسم إشارة النصر، فإذا به يفرد أصابعه الخمس للتسوُّل في الطرقات.

موقع «أساس ميديا»، **11** تمُّوز **2020**

مرشّح «داعش» في انتخابات الأسد!

في خانة «عاجل» بثَّت وسائل إعلام الأسد هذا الخبر الطريف: «اللجنة القضائية العليا تعلن عن بدء مرحلة الصمت الانتخابي»!

فعلى عادة جميع الأنظمة الدكتاتورية، يُصرُّ نظام الأسد على إظهار أنه من بين الديموقراطيات الراسخة، التي تُجري الانتخابات وتلتزم بمرحلة «صمت انتخابي».

لكنَّ هذا «الصمت الانتخابي» سرعان ما تحوَّل إلى ضجَّةٍ في وسائل التواصل الاجتماعي، مع اكتشاف مؤيِّدي الأسد، قبل غيرهم، أنَّ من بين المرشَّحين لعضوية «مجلس الشعب» أحد قياديي تنظيم «داعش» السابقين!

فادي رمضان العفِّيس (37 عاماً)، والذي كان قيادياً محلِّياً في التنظيم الإرهابي بدير الزور قبل أن يهجره ليلتحق بميليشيا «لواء الباقر» الإيرانية، يترشَّح كممثِّل لـ«الشباب» السوري!

العفِّيس (مواليد قرية الحسينيَّة في ريف ديرالزور الغربي) كان

قد تحوَّل من قيادي في «داعش»، إلى قيادي في «لواء الباقر»، ثمَّ إلى مرشَّح لعضوية «مجلس الشعب» في «سوريا الأسد»... لتكتمل سلسلة من «التحوُّلات» التي لا يمكن تفسيرها خارج المنطق المشكِّك الذي يعتقد بوجود حصَّةٍ كبيرةٍ للأسد وإيران في «شركة داعش المساهمة» لخدمات الإرهاب المحلِّي والإقليمي والدولي.

عَلَمُ النظام في خلفيَّة الدعاية الانتخابية للعفِّيس، حلَّ مكانَ الراية السوداء التي كانت رؤوس الخَلْق تُقطَع في ظلالها. مع يقيننا بأنَّ شيئاً لم يتغيَّر -ولا بدَّ- مع تغيير العَلَم، ما دام قطع الرؤوس مستمرَّاً على الرغم من تبدُّل أشكال الرايات وألوانها. ناهيكَ عن الحقيقة التي تقول بأنَّ عَلَم الأسد قد أُريق من الدماء تحته أكثر مما أُريقَ تحت راية «داعش».

إنَّ «العرس الجماهيري» في انتخابات «مجلس الشعب»، والذي لا يكتمل إلا بعقد حلقات الدبكة في «المراكز الانتخابية»، له «عريس» حقيقي هذه المرَّة. «عريس» يمثِّله خير تمثيل لأنه ابن الجانب الأكثر ظلاماً في المؤامرة التي حيكت ضدَّ ثورة السوريين لنيل حرِّيتهم وكرامتهم.

«حضن الوطن»، المصطلح الرسمي الذي يعتمده إعلام الأسد اسماً دعائياً لما يجري من «مصالحات» في سوريا، يتَّسع لسفَّاح سابق

في «داعش»، ولا يتَّسع لمعارضين مدنيين سلميين عُرضت لجثثهم 55 ألف صورة في ملفِّ «قيصر».

إنَّ «انتخابات» الأسد في هذه الدورة، على الرغم من هزليَّتها المعتادة، وعلى الرغم من كونها مجرَّد مناسَبة لتأليف النكات حولها، قدَّمت دليلاً جديداً -لا نحتاجه- عن الصانع الحقيقي لـ«داعش»، أو على الأقلّ عن أحد مساهميه الكبار: ذاك الذي تظهر وجوه معارضيه المدنيين مشوَّهةً مفجعةً في صور «قيصر»، بينما تظهر وجوه دواعشه السابقين مشرقةً ضاحكةً ضمن حملاته الانتخابية!

موقع «أساس ميديا»، **24** تمُّوز **2020**

يوم تمنَّت جريدة «تشرين» تدمير بيروت

ذكَّرني التفاعلُ الكلاميُّ الكاذب لنظام الأسد مع نكبة بيروت التي سبَّبها الانفجار الكبير في مينائها، والذي حملته أخبارٌ ملفَّقةٌ على شاكلة: «الأسد يأمر بفتح الحدود لنقل جرحى انفجار بيروت»، «الأسد يأمر فرق الإسعاف من جمعية الهلال الأحمر السوري بالتوجُّه إلى بيروت»، «الأسد يأمر بفتح المستشفيات السورية أمام المصابين»... إلى آخر هذه العناوين التي ليس لها أيُّ حظٍّ بالمصداقية...

أقول: ذكَّرني هذا التفاعل الكلاميّ بخبرٍ شهيرٍ سبق أن نشرته جريدة «تشرين» الرسمية في شهر نيسان من سنةٍ 2006 و«تنبَّأت» فيه بدمار بيروت!

ففي ذلك الزمن الذي جرى فيه طرد جيش الأسد من لبنان، بعد انتفاضة الرابع عشر من آذار، احتار الإعلام الرسمي للنظام في كيفية الثأر لذلك الطرد المذلّ الذي بدأ برسم ملامح عزلته

الدولية، لتتفجَّر تلك الرغبة في الثأر على شكل سباق محموم لنشر الأخبار الكيدية والحاقدة، انتزعت جريدة «تشرين» الصدارة فيه بنشرها «خبراً»، لا صلة له بمنطق الإِخبار الصحافي، عن قرب تدمير بيروت بزلزال كبير!

والحقيقة أنَّ الخبر المذكور لم يكن، في عمقه، أكثر من أمنيةٍ بهذا الخراب، ولكنه اتَّخذ بطبيعة الحال صيغة «النبوءة»، وقد وضعتها الجريدة على لسان «مُعمِّرين لبنانيين» يتوقَّعون حدوث «زلزال مدمِّر» يضرب بيروت ويُدمِّرها عن بكرة أبيها!

وقد بلغ الحقد، آنذاك، بكاتبي الخبر وناشريه أن توقَّعوا قوَّة الزلزال على مقياس ريختر! حيث بلغت، بحسب الصحيفة، «سبع درجات»!

اليوم يبدو بأن تلك الأمنية «التشرينية» الحاقدة قد تحقَّقت، ولكن ليس على يد زلزال من صنع الطبيعة، بل على يد تفجير رهيب من صنع أيدي المحور الذي ينتمي إليه النظام والذي تنطق باسمه تلك الصحيفة.

مع ذلك، لا يسعُ العاقل أن يلوم «إعلاماً» تمنَّى الدمار لشعبٍ آخر، حين يعلم بأنَّ هذا «الإعلام» كان قد تمنَّى الدمار لشعبه هو، بل وساهم فيه أيضاً. بل إنَّ تكريماً حافلاً قد جرى لعتاة المجرمين

في ذلك الإعلام، ومن قبل رأس النظام نفسه. ولنا في تكريم بشار الأسد وزوجته أسماء لـ«المذيعة» ميشلين عازار خير مثال. حيث تمَّ تكريمها، مباشرةً، بعد تغطيتها الوحشية والشهيرة لمجزرة داريًّا، التي ارتكبتها «الفرقة الرابعة» في جيش النظام في مثل هذا الشهر من عام 2012. وقد راحت عازار، يومذاك، تُجري اللقاءات (الثأرية) المصوَّرة مع الجرحى وهم ينزفون على أرض المجزرة، حتى أن أحدهم فارق الحياة بعد وقت قصير جداً من انتهاء «استجوابه» التلفزيوني دون أن تحضر سيَّارة إسعاف لإنقاذه.

***

متصفِّح جريدة «تشرين»، هذه الأيَّام، ربما يستطيع -إذا دقَّق النظر- أن يلمح أمنيتها القديمة بتدمير بيروت وهي تتراءى، شامتةً مختالةً، بين أخبار التعاطف والتضامن و... الحداد على «الضحايا الأشقَّاء»!

موقع «أساس ميديا»، **13** آب **2020**

عن أغلفة «المناضل» العالقة كالشوك في الذاكرة

تعثَّرتُ، قبل أيام، ببعض الأغلفة القديمة لمجلَّة «المناضل»، منشورةً على إحدى الصفحات السورية في موقع «فيسبوك»، وضربني إحساسٌ غريبٌ، وغير مفهوم، شبيهٌ بإحساس من يلتقي بالصدفة شخصاً كريهاً لم يَرَه منذ عشرين عاماً، فيعرفه من النظرة الأولى، على الرغم من طول مدَّة الانقطاع التي يُفترَض أنها كفيلة بإسقاطه من الذاكرة.

ولمن لا يعرف، فهذه «المجلَّة» هي النشرة الداخلية لـ«حزب البعث العربي الاشتراكي»، والتي تُوزَّع مجاناً على جميع «الحزبيين» في سوريا؛ سواء انتسبوا إلى الحزب المذكور طوعاً أو كرهاً.

ولا أعتقد بوجود شخص من أبناء جيلي، ممن عاش شطراً من حياته في سوريا، لم يُقلِّب بين يدَيْه، ذات يوم، عدداً من أعداد هذه النشرة القبيحة.

والحقّ أنَّ ما يجعلها عالقةً إلى اليوم في ذاكرة أجيال بكاملها،

كما يعلق الشوك بالثياب، ليس فقط فرضها على السوريين بالقوَّة، ووجود أعدادها في كلِّ بيت، واعتبار اقتنائها شكلاً من أشكال «الولاء للقائد والحزب»، بل بشاعة منظرها أيضاً.

فإضافة إلى الرثاثة الفكرية والأيديولوجية التي ترسم شخصية هذه المجلَّة وشخصية القائمين على تحريرها، ثمَّة قبحٌ بصريٌّ يرسم شكلها. حتى أنني -وقد كنت آنذاك الفتى الذي يحلم باقتناء الكتب والمجلَّات- لم أستسغ فكرة وجودها إلى جانب كتابَيْ «آنا كارنينا» لتولستوي و«النبي» لجبران، اللذين كانا الكتابَيْن الوحيدَيْن غير الحزبيَّيْن على الرفِّ الذي تمَّ اختياره، بين رفوف الكومدينة، لجعله أشبه برفِّ المكتبة.

بعض الأغلفة التي طالعني بها «فيسبوك» كأني رأيتُها البارحة، بل إني أحتفظ في ذاكرتي بأغلفة قديمة لم أعثر عليها بين الأغلفة المنشورة. فثمَّة غلاف بتدرُّجات اللون الزهري فقط، والعناوين بالأسود، ما يزال تصميمه مطبوعاً في ذاكرتي كأنه ذكرى شخصية وليس مجرَّد غلاف لإحدى المنشورات.

ولا أنسى شكلَ غلافٍ حملَ أحدُ عناوينه هجوماً على «الإخوان المسلمين»، وقد كنتُ صبياً لا أفقه الكثير في السياسة ومسمَّياتها، ولا أعرف شيئاً عن «الإخوان المسلمين» سوى أنهم العصابة التي

نتعاهد كلَّ صباح، في الهتاف المدرسي، على «سحقها». وقد شغلت بالي فكرةُ قبولِنا بمناداتهم «الإخوان» وهم عصابة! فاعتقدتُ بأنَّ في القصَّة خطأً ما، فلا بدَّ أن اسمهم ليس بكسر الهمزة «الإِخوان» (إخوة) بل بفتحها «الأَخْوان» (خونة - وطبعاً هذا غير صحيح لغوياً).

لقد كانت قباحة «المناضل» جزءاً من «القبح العام» الذي غطَّى سوريا طوال نصف قرن. وكانت بشاعة أغلفتها صورةً للحياة البشعة التي عاشتها الأجيال المتعاقبة والتي لم يفطن أحدٌ لقراءة محتوياتها، تماماً كما لم يكن الحزبيون «المناضلون» يفطنون لقراءة محتويات مجلَّتهم.

موقع «زمان الوصل»، **27** تمُّوز **2020**

روث حصان
في متحف باسل الأسد

بينما تتحوَّل وحدةُ قياس الطوابير أمام الأفران ومحطات الوقود في سوريا، من الأمتار إلى الكيلومترات في بعض المناطق، يفتتح نظام الأسد «متحفاً» في اللاذقية!

وربما تخطر في بال المرء عشراتُ الخواطر عن ماهيَّة هذا المتحف، وأهميته الاستثنائية التي أجبرت السلطات على افتتاحه في هذه الظروف المأساوية للبلاد، قبل أن يعرف بأنه «متحف» خاص بمقتنيات باسل حافظ الأسد، الذي قضى في حادث سير سنة 1994 على طريق مطار دمشق، بسبب قيادته الجنونية لسيَّارته كما ذكرت آنذاك صحيفة «نيويورك تايمز».

وفي حين أُهملتْ وهُدِمت البيوت الشخصية والتاريخية التي عاش فيها بعض عظماء سوريا، يُقام متحف لشابّ «إنجازه» الوحيد صنعته البيولوجيا التي جعلته الابن البكر للحاكم المطلق للبلاد.

والحقّ أنني، وبعدما رأيتُ البؤس الذي كانت عليه «مقتنيات

المتحف»، حيث اقتصرت على بعض الصور الشخصية لباسل الأسد وسرج خيله وجزمته التي وُضعت في صندوق زجاجي وكأنها قطعة ألماس نادرة، فكَّرتُ: لو أنَّ القائمين على هذا «المتحف» سلَّموني أمر الإشراف على اختيار مقتنياته بالشكل الذي يجعل منه متحفاً حقيقياً يثير رغبة الناس في زيارته والتعرُّف إلى محتوياته، فماذا كنتُ لأختار من أشياء تخصُّ باسل الأسد وتستحقُّ العرض؟

وأصدقكم القول بأنني لم أبذل جهداً كبيراً في البحث عن تلك الأشياء، وإليكم قائمة بأبرزها:

أولاً، الأوراق والتسجيلات الخاصة بالمفاوضات التي خاضتها الحكومة السورية مع الحكومة النمساوية، بعد مقتل باسل الأسد، لاستعادة مبلغ قُدِّر بـ13 مليار دولار كانت موجودةً في أرصدته بالنمسا.

ثانياً، صور الطالبات اللواتي اختطفهنَّ باسل الأسد بعدما أُعجبَ بهنَّ ورفضنَ الإذعان لشهواته. فقد كان يُروى -همساً ولكن على نطاق واسع- في زمن حافظ الأسد، بأن ابنه باسل كان يجلس في سيَّارته مراقباً خروج الطالبات من جامعة دمشق، والفتاة التي تُعجبه يبعث بطلبها فوراً! وإذا حدث أن مانعت أخذها بالقوَّة وأرهبَ عائلتها!

ثالثاً، كُتيِّب خاص يروي مأساة الفارس السوري عدنان قصَّار الذي سجنه باسل الأسد بسبب غيرته منه، بعدما ظهر تفوُّقه الكبير عليه في دورة ألعاب البحر الأبيض المتوسط سنة 1993. حيث قام الأمن بوضع كمِّية من المتفجِّرات في سيَّارة قصَّار قبل أن يتمَّ اعتقاله من قلب الحلبة، وبشكل استعراضي، بتهمة «محاولة اغتيال باسل الأسد»!!

وقد مكث قصَّار في السجن لمدَّة 21 سنة (من 1993 حتى 2014). وقد كان سجَّانوه يقولون له بعد موت باسل الأسد: «الذي أدخلك إلى السجن هو الوحيد القادر على إخراجك منه»!

رابعاً، الإبقاء على جزمته في مكانها، مع كتابة عبارة واضحة على الصندوق الزجاجي الذي عُرِضَتْ فيه تفيد بأنها كانت رمزاً لقهر الشعب السوري.

...

إنَّ هذه «المقتنيات» الفظيعة التي تعكس الصورة الوحشية التي كان عليها باسل الأسد، كفيلةٌ بجعل «المتحف» الجديد مستحقَّاً للقبه، خصوصاً إذا ما تمَّ فرش مدخله بقليلٍ من روث حصان الفارس الضحية عدنان قصَّار.

موقع «أساس ميديا»، 27 تشرين الثاني 2020

بشار من عقدة للمعارضين إلى عقدة للمؤيِّدين

إنها المرَّة الأولى التي يرحل فيها رئيس دولة دون أن يقول فيها جمهور النظام: «رحل فلان وبقي الأسد».

غادر الرئيس الأميركي دونالد ترامب منصبه، ولم تكتب الصفحات المؤيِّدة للأسد ما كتبتْه سابقاً عند مغادرة أوباما وساركوزي وتيريزا ماي لمناصبهم كرؤساء وحاكمين لدولهم.

الحال المعيشية المزرية التي وصلوا إليها عَقَدَتْ ألسنتهم، وردعتْ حتى السفهاء منهم.

بل إنَّ هؤلاء، وأكثر من سواهم، باتوا يعرفون بأنَّ السبب الأوَّل لاستمرار معاناتهم هو بقاء بشار الأسد وتعنُّته ورفضه حصول أيِّ تسوية سياسية.

وبهذا المعنى تحوَّل بشار الأسد من كونه مشكلةً ومعضلةً لمعارضيه إلى كونه مشكلةً ومعضلةً لمؤيِّديه.

في الحديقة الخلفية لمشهد الحرب، تلتقي مصلحة المؤيِّد

والمعارض في نقطة مركَّزة وجوهرية: بقاء بشار في الحكم يُضرُّ بجميع الأطراف.

إنَّ اعتقال المؤيِّدين الذي أخذ بالازدياد في الفترة الأخيرة، بسبب منشوراتهم الناقدة على صفحات التواصل الاجتماعي، سيتوسَّع مع توسُّع رقعة المأساة المعيشية.

وإنَّ ارتفاع أصواتهم، على صفحات السوشال ميديا، ضدَّ جميع المسؤولين باستثناء بشار، لن يبقى على استثنائه، ما دامت وتيرة الانهيار تتسارع، ساعةً بساعةٍ، مع كلِّ انهيار جديد تُصاب به الليرة.

قبل أشهر قليلة، وعلى مستوى الأمن الغذائي، كانت جميع المواد الغذائية مهدَّدةً بالشحّ والفقدان والغلاء الفاحش باستثناء الخبز. ظلَّ توافر الخبز إلى فترة متأخرة أقرب إلى المسلَّمات الشعبية في سوريا.

كان السوري، الذي لم يعد في مقدوره شراء الطعام، يملأ بطنه بالخبز الحاف. أما اليوم فلا خبز، إلا بكمِّيات قليلة جداً (رغيف واحد للشخص يومياً) يحتاج المرء إلى الوقوف لساعاتٍ أمام الأفران للحصول عليها.

الشعب جائع، ولكنَّ النظام جائع أيضاً. وحملة المصادرات التي

بدأها بشار وزوجته امتدَّت إلى حيتان النظام أنفسهم من الذين كانوا أكبر داعميه وأضخم واجهاته الاقتصادية، وما حصل مع رامي مخلوف وشركاته بات معلوماً للجميع. ومثله ما حصل مع وهيب مرعي (توفي سنة 2017)، «إمبراطور تجارة الحديد» والداعم الأكبر لميليشيات الشبِّيحة في طرطوس وعموم سوريا، والذي صادر الأسد ممتلكاته قبل أشهر ووضع وَرَثته في الإقامة الجبرية، بمن فيهم زوجته. وغيرهما الكثير من رجال الأعمال الذين لاقوا ويلاقون المصير ذاته.

بيع الدولة، مرافقَ وقطاعاتٍ، مع الأموال المصادرة، لا يكفيان لسداد الديون التي راكمها التدخُّل العسكري الأجنبي المدفوع بالدولار. و«الرئيس» الذي تحوَّل إلى سمسار عقارات من أجل سداد تلك الديون لروسيا وإيران، لم يعد لديه ما يبيعه سوى شبع مؤيِّديه وشبع أولادهم.

اليوم يُباع المؤيِّدون أنفسهم عبر بيع رغيفهم. والبائع مُتَلَهٍّ بكيفية تمرير مسرحية إعادة انتخابه.

إنَّ جمهور الأسد، الذي يبحث بعضُه في هذه الأثناء عمَّا يسدُّ رمقه في حاويات القمامة القريبة من المطاعم، لم يعد بعيداً جداً من اكتشاف حقيقة أنه غائب تماماً عن سجلِّ حسابات الأسد... وأنه

-وللمرَّة الأولى- سيجد نفسه وقد وقف في الصفِّ ذاته الذي يقف فيه الجمهور المعارض، مقتنعاً بأنَّ الأسد صار مشكلةً للجميع.

موقع «أساس ميديا»، **10 شباط 2021**

المشكلة في برامج الطبخ!

قبل أشهر، اقترحتْ إحدى الصفحات الموالية لنظام الأسد إقفال «الندوة» (مكان بيع الأطعمة والمشروبات) في المدارس الابتدائية في سوريا، وذلك لكي لا يشتهي الأطفالُ طعاماً لا يملكون ثمنه!

وقبل أيام، سرَّبتْ صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية (23 شباط 2021) تفاصيل اجتماعٍ غير معلن، طلبَ فيه بشار الأسد من الإعلاميين الموالين الذين اجتمع بهم إلغاء برامج الطبخ التلفزيونية لـ«عدم إزعاج السوريين بصور أطباق لا يمكنهم الحصول عليها لارتفاع ثمنها»!!

المشكلة في منظور الأسد ونظامه لا تكمن في نقص الطعام والخبز في البلاد، بل في برامج الطبخ و«ندوات» التلاميذ التي تُذكِّر السوريين بأنهم جوعى ولا يملكون ثمن الطعام!

التقرير الذي أعدَّه مؤخَّراً برنامج الأغذية العالمي (WFP)، التابع لـ«الأمم المتحدة»، والذي يؤكِّد بأن سوريا تعيش «أسوأ حالة

أمن غذائي»، أحصى ما يزيد عن 12.4 مليون سوري (ما يعادل 60 ٪ من السكّان) ممن يعانون من انعدام الأمن الغذائي.

وبحسب ممثِّلة «منظمة الصحة العالمية» في سوريا، أكجمال ماجتيموفا، فإنَّ 90 ٪ من السوريين يعيشون تحت خطِّ الفقر، مما يجعل سوريا متصدِّرةً بجدارةٍ قائمةَ الدول الأكثر فقراً في العالم.

وجود هذه الحقائق ليس هو المهم بنظر الأسد، بل تسليط الضوء عليها!

فلا بأس بأن يصبح الطبخُ حلماً لدى العائلة السورية، ولكن لا يجوز تذكير تلك العائلة بأنَّ هذا «الحلم» هو حقٌّ طبيعي لجميع الناس.

ولا بأس أن ينام المواطنون جوعى ويُصبحوا جوعى، ولكن الأهمّ ألا يتمَّ تذكيرهم بصور الأطباق التي كانوا يتناولونها في الماضي.

ولا بأس بأن يغدوَ منظر نبش حاويات القمامة بحثاً عمَّا يسدُّ الرمق مشهداً عادياً ومألوفاً في البلاد، ولكن لا يمكن التساهل مع من يقوم بتصوير مثل هذه المشاهد ونشرها.

إنَّ الأسد ينظر إلى كلِّ ما يُذكِّر السوريين بحقيقة حالهم على أنه جزءٌ من المؤامرة التي تُحاك ضدَّه. ولذلك صارت وسائل التواصل

الاجتماعي العدوَّ الأول بالنسبة إليه، حتى أنه لم يعد يوفِّر فرصةً لمهاجمتها والتحذير منها، وهو المعروف عنه هَوَسه بمتابعتها. بحسب تسريبات «نيويورك تايمز» اعتبرها السبب الثاني بعد «وحشية الرأسمالية العالمية» في الكارثة الاقتصادية السورية، ملخِّصاً دورها -أي دور وسائل التواصل- بكلمتَيْن: «غسل الدماغ»!

ومع تفاقم الكارثة الاقتصادية، أصاب هذا «الهوسَ» انحرافٌ كبيرٌ جعل اهتمام الأسد ينتقل من متابعة الصفحات المعارضة إلى متابعة الصفحات الموالية التي بات صوتها يعلو يوماً بعد آخر. لذلك -وبعدما كنَّا نسمع عبارة «الحرِّية لفلان» وقد ارتبطت بأسماء المعارضين المعتقلين- صرنا نسمعها وقد ارتبطت بأسماء الموالين المعتقلين، والذين غالبيتهم من نشطاء «الفيسبوك» الذين يحتجُّون على اتِّساع رقعة الفساد والمجاعة. (في الفترة الأخيرة اعتقل نظام الأسد المذيعة هالة الجرف، وهي واحدة من أقدم المذيعات في التلفزيون الرسمي، بسبب منشور كتبته على صفحتها عن حالة الفساد، وقد تمَّ هذا الاعتقال ضمن حملة اعتقال جماعي لنشطاء موالين اعترفت بها وزارة داخلية الأسد في بيانٍ حدَّدت فيه اعتقال ثمانية أشخاص بـ«جرم التواصل والتعامل مع مواقع الكترونية مشبوهة (...) لإحداث البلبلة»!).

بالنسبة إلى الأسد، صار حديث السوريين في السياسة أهون عليه، ألف مرَّة، من حديثهم في الاقتصاد، تماماً كما صار بثُّ برنامج سياسي على التلفزيون الرسمي أهون عليه، ألف مرَّة، من بثٍّ برنامج للطبخ.

موقع «أساس ميديا»، **3** آذار **2021**

«قوانين» التغيير الديموغرافي على النموذج الإسرائيلي

«الوطن ليس لمن يسكن فيه أو يحمل
جنسيَّته، بل لمن يدافع عنه ويحميه»
بشار الأسد، 26 تمُّوز 2015

في الثاني من نيسان لسنة 2018، أصدر نظام الأسد القانون رقم 10 الذي يسمح له بمصادرة أملاك السوريين في المناطق التي تمَّ تهجير سكَّانها (يُلزم القانون مالكي العقارات بتقديم ما يُثبت ملكيتهم في غضون 30 يوماً فقط، وإلَّا فإنهم سيخسرون ملكية هذه العقارات لصالح الدولة(*)).

(*) تمَّ تمديد فترة السماح إلى سنةٍ بعد الضجَّة العالمية التي أحدثها صدور القانون الذي يعني ببساطةٍ مصادرة الأسد لجميع العقارات في المناطق المناهضة له.

وفي السابع عشر من شباط لسنة 2021، أجرى ما يُسمَّى «مجلس الشعب» تعديلاً، أشبه بالانقلاب، على مواد القانون رقم 11 لعام 2011، يُلغي القيود التي كانت تمنع الأجنبي من تملُّك أكثر من شقَّة سكنية للعائلة الواحدة (في مذكّرتها الاحتجاجية، لاحظت «هيئة القانونيين السوريين»، التي تضمُّ قضاةً ومحامين ومستشارين قانونيين انشقُّوا عن نظام الأسد، بأنَّ التعديل المذكور تزامنَ مع إعلان محافظة دمشق عن القيمة التقديرية للعقارات التي تمَّ الاستيلاء عليها في مناطق المزَّة وخلف الرازي وداريَّا وكفرسوسة والقدم ومخيَّم اليرموك وجنوب دمشق والغوطة الشرقية والقابون وبعض أحياء دمشق القديمة، حيث تمَّ تقدير القيمة المالية في المناطق المذكورة بأسعار بخسة لا تتجاوز العشرة دولارات للمتر الواحد في حين أنَّ سعره الحقيقي يتراوح ما بين 5000 و8000 دولار!).

إنَّ الدور الذي يُراد للقانونَيْن المذكورَيْن، رقم 10 ورقم 11 المعدَّل، أن يلعباه هو دور طرفَي الكمَّاشة في عملية استكمال كسر الديموغرافيا السورية. فقانون يسلب السوريين ممتلكاتهم، وآخر يسمح للإيرانيين بالسطو عليها بأثمان زهيدة.

وإذا كانت «منظمة العفو الدولية» قد نظرت إلى القانون رقم

10 باعتباره أداةً لإعادة «هندسة المجتمع» في سوريا، فإنَّ النظرة ذاتها يصحُّ اعتمادُها في توصيف القانون رقم 11 المعدَّل، والذي لا يعدو كونه نصف الوجه المكمِّل للقانون رقم 10.

ولا يخفى على متابعٍ أن هذين القانونَيْن جاءا بمثابة تتويج لسلسلةٍ كاملةٍ من القوانين والمراسيم التي أصدرها النظام، منذ مطلع الثورة، بغرض قَوْنَنة عملية التغيير الديموغرافي؛ من قانون مكافحة الإرهاب رقم 19 لسنة 2012 الذي تُعطي المادَّة الحادية عشرة منه الحقَّ للنائب العام بتجميد الأموال المنقولة وغير المنقولة لمرتكبي جرائم الإرهاب التي ليست هنا سوى معارضة النظام، إلى المرسوم رقم 66 لسنة 2012 الذي يقضي بإحداث منطقتَيْن تنظيميتَيْن في مناطق المخالفات والعشوائيات في محافظة دمشق ولكنه في جوهره يهدف إلى إنجاز عملية توزيع سكَّاني جديد، وغير ذلك من القوانين والمراسيم التي تصبُّ في السياق ذاته.

أخبارُ استغلال التعديل الجديد في القانون رقم 11، عبر الاستيلاء على مناطق مهجَّرة بكاملها لتوطين عوائل عناصر الميليشيات الإيرانية المستجلبة من لبنان والعراق وأفغانستان وباكستان وإيران، بدأت بالتواتر.

تقريرٌ جديدٌ، نشره موقع «زمان الوصل»، يتحدَّث عن كيفية

استغلال ميليشيا «حزب الله» للنسخة المعدَّلة من القانون رقم **11** من أجل الاستيلاء، قانونياً، على ممتلكات النازحين في ريف حلب الشمالي.

بلدة عندان، التي سبق للميليشيا اللبنانية أن نهبتها وأحرقت الكثير من منازلها بعد احتلالها، تنتقل ملكية عقاراتها هذه الأيام إلى عناصر الميليشيا وعائلاتها.

إنَّ الفتوى التي أطلقها المدعو «الشيخ عبد المطَّلب»، مطلع العام **2020** بعد سقوط عندان في يد «حزب الله» وبقية الميليشيات، والتي اعتبرت المنازل في عندان «غنيمةً» بزعم أن «أصحابها باعوا الوطن لتركيا»... أقول إنَّ هذه الفتوى تحوَّلت، بتوقيع بشار الأسد، إلى قانون رسمي!

التغيير الديموغرافي الذي حصل بالأمس بقوَّة السلاح، يتمُّ تكريسه اليوم بقوَّة القانون.

وفي المناطق التي لم تصلها نيران الحرب، راحت نيران من نوع آخر تصل إليها لإجبار السكَّان على البيع. ففي دمشق القديمة التي شهدتْ وتشهد جهوداً إيرانية محمومة لشراء عقاراتها، سجَّل «فوج إطفاء دمشق» اندلاع أكثر من **100** حريق في سنة **2020** فقط. وقد طالت هذه الحرائقُ المنازلَ والمطاعمَ والمحلَّات التجارية

والمستودعات والفنادق... كما طالت سوق البزوريَّة الشهير الواقع بالقرب من سوق الحميديَّة الأثري.

وقبلها في سنة 2016 اندلع حريق كبير في سوق العَصْرونيَّة القريب من مقام السيّدة رقيَّة، بعدما انتشرت العديد من الروايات التي تحدَّثت عن رفض تجَّار السوق بيع محلَّاتهم لرجال أعمال مرتبطين بالسفارة الإيرانية التي كانت تُخطِّط آنذاك لتوسعة محيط المقام.

من دير الزور إلى حلب إلى حمص فدمشق... عقارات منهوبة تنتقل ملكياتها إلى عوائل الغزاة، وعقارات مسكونة يتمُّ توزيع إنذارات الإخلاء على أصحابها، ورجال أعمال إيرانيون ينشطون في مختلف المناطق السورية للشراء، ومشاريع بناء ضخمة تقوم على أنقاض سوريا القديمة (من المفارقات، الباعثة على السخرية والألم معاً، أنَّ إعلام الأسد يقول بأنَّ اختيار اسم «ماروتا سيتي» لأضخم مشاريعه العمرانية جاء بسبب الأصل السيرياني لكلمة «ماروتا» والتي تعني: السيادة!).

مُدُنٌ مثل القصير في ريف حمص الغربي، والبوكمال والميادين في ريف دير الزور الجنوبي، جرى تغيير هُويَّتها الديموغرافية الثقافية بشكلٍ يصعب التراجع عنه.

ميليشيات «زينبيُّون» الباكستانية و«فاطميُّون» الأفغانية و«حزب الله» اللبنانية و«أبو الفضل العبَّاس» العراقية تستكمل حرب السلاح بحرب الديموغرافيا عبر سياسة الاستيطان، ضمن مشروع إيراني كبير يُعدُّ للمنطقة العربية برمَّتها (كشفت شبكة «عين الفرات» عن بناء إيران لبعض المزارات الوهميَّة، مثل مزار عين علي قرب البوكمال ومزار قبَّة علي في منطقة السويعيَّة، بهدف استقطاب كتلة بشرية كبيرة من العراق وإيران).

«المجتمع المتجانس» الذي تحدَّث عنه بشار الأسد قبل سنوات، يتمُّ تفصيل القوانين على مقاسه.

وآخر هذه القوانين النسخة الجديدة من «قانون الأحوال المدنية» التي تُبطل صلاحية معظم البطاقات الشخصية الحالية لمعظم السوريين المعارضين، لجهة أنها تُحدِّد مدَّة سريان البطاقة الشخصية بعشر سنوات من تاريخ صدورها.

منذ اليوم، ملايين المهجَّرين واللاجئين السوريين سيكونون مجرَّدين من بطاقاتهم الشخصية، في مقابل منح هذه البطاقة لمرتزقة مُستجلَبين من شتَّى بقاع الدنيا.

إنَّ القوانين المستصدرة حتى اليوم لقَوْنَنة التغيير الديموغرافي في سوريا، اقتربت من أن تشكِّل أنموذجاً متكاملاً يستحقُّ الدرس،

والمقارنة ببقية النماذج، والتي يقف على رأسها الأنموذج الإسرائيلي طبعاً.

موقع «أساس ميديا»، 9 آذار 2021

المزاح بالمأساة!

1- علْم تفسير الطوابير

يتفنَّن مسؤولو النظام في دمشق بتقديم أغرب النظريات لانتشار الطوابير في سوريا.

بحسب نائب محافظ دمشق، أحمد نابلسي، لا يوجد أي نقص في مادَّة البنزين لكنَّ «الحالة النفسية للناس تلعب دوراً في زيادة الازدحام»!

مدير مخابز دمشق، نائل اسمندر، سبق له أن فسَّر سبب انتشار الطوابير أمام الأفران بالقول: «لأنَّ ثقافة الدور غير موجودة في بلادنا»!

أمَّا المدير العام لـ«السوريَّة للمخابز»، زياد هزَّاع، فعزا المسألة إلى رداءة الخبز في بعض الأفران مما يُسبِّب ازدحاماً لدى الأفران التي تُنتج خبزاً جيِّداً!

لو ترجمنا التصاريح (النظريات) أعلاه، وجميعها منشورٌ في جريدة «الوطن» شبه الرسمية، إلى لغةٍ أكثر وضوحاً فسنجد الآتي:

لا يوجد أزمة معيشية في سوريا، بل أزمة نفسية لدى السوريين!

السوري الجائع يتوهَّم الجوع، والسوري المرتعش يتوهَّم البرد، والطوابير الكيلومتريَّة صنعها الوهم.

فالكارثة المعيشية في سوريا مجرَّد تهيُّؤات واشتباهات وسوء فهم، ولا يمكن أن تكون سوى لغزٍ لا يحتاج إلَّا لتقديم بعض النظريات التي باتَ جمعُها كافياً للتأسيس لعِلْمٍ جديدٍ هو علْم تفسير الطوابير.

2- «تحدي أسبوع بلا سكَّر»

على طريقة المشعوذين، تحاول الوزارات في حكومة الأسد أن «تفزع» لنجدة بعضها بعضاً!

وآخر الشعوذات، قيام وزارة الصحَّة بنجدة وزارة التموين العاجزة عن تأمين مادَّة السكَّر، عبر إطلاق «تحدِّي أسبوع بلا سكَّر»!!

فبدل أن تقوم وزارة التموين بتأمين مادَّة السكَّر، التي تحوَّلت من مادَّةٍ غذائيةٍ إلى حلم بعيد المنال للمواطن السوري... فإذا بوزارة الصحَّة تخرج علينا بهذا «التحدِّي» الذي تُدرِجه ضمن «النشاطات التوعوية للوصول إلى مجتمع صحِّي»!

ولولا أنَّ وزارة الصحَّة هي التي نشرت تفاصيل «التحدِّي» عبر مُعرِّفاتها الرسمية، لشكَّ بعضُنا بأنها مجرَّد فبركة ساخرة.

فمثل هذا «التحدِّي» يترتَّب إطلاقُه على الحكومات المتحضِّرة التي تُعاني شعوبها من مضارّ السكَّر والسُّمنة، وليس على الحكومة التي لم يذق شعبُها طعم السكَّر منذ شهور بسبب انقطاعه من الأسواق.

إنَّ حكومة الأسد، بهذا «التحدِّي» «الترفيهي» المستفزّ، تُقدِّم مثالاً لا يُضاهى عن نظرتها الدونيَّة للقدرات العقلية التي يتمتَّع بها السوريون الذين يعيشون في مناطقها، والذين -بالمناسبة- لم «يُوفِّروها» من تعليقاتهم الساخرة، حين راحوا يطلقون تحدِّيات مماثلة: «تحدِّي شهر بلا خبز» و«تحدِّي شهر بلا كهرباء».

3- المزاح بالمأساة

يمزح مسؤولو النظام، وإعلاميُّوه، بالمأساة السورية، ويُطلقون النكات حولها.

قبل سنتَيْن، وفي معرض ردِّه على الذين يقولون بأنَّ الشعب السوري جائع، قال وزير المالية مأمون حمدان ساخراً مازحاً: «أنا كتير بجوع، لأنو ما عندي وقت لآكل»!

الأسد نفسه مازح أحد محاوريه بمجزرة الكيمياوي، حين قال في مقابلة له مع جريدة «الأخبار» (14 تشرين الأول 2013) بأنه يستحقُّ نيل «جائزة نوبل للسلام» لأنه سلَّم الأسلحة الكيمياوية!

من كبيرها إلى صغيرها، لا تتورَّع هذه العصابة عن المزاح بالمأساة وتحويلها إلى مادَّة للضحك والهزء.

على الفضائية السورية الرسمية، مطلع سنة 2016، تبادلت المذيعة الضحكات مع إعلامي لبناني مؤيِّد للأسد، يُدعى ميخائيل عوض، وهو يشيد بـ«عبقرية» المخابرات الجوية وقائدها المجرم جميل حسن على «اختراع» البرميل المتفجِّر بسبب «رخص ثمنه» وفعاليته الكبيرة: «البرميل كلفته 100 دولار... فعاليته أكثر من الصاروخ المجنَّح اللي حقّه 500 ألف دولار... كم برميل بالصاروخ المجنَّح إذا بدنا نحسبها؟»!

وهكذا يصبح القتل مادَّةً للتوفير الاقتصادي، وتصبح المجزرة باباً لنيل الجوائز، والمجاعة فرصةً لإطلاق النكات!

عندما سقطت غوطة دمشق في يد جيش النظام، رُويَ بأنَّ أحد الضبَّاط مع جنوده -ومن أجل الفكاهة والضحك- قاموا بتبديل الشواهد بين قبور الرجال وقبور النساء، مقهقهين وهم يتخيَّلون الزوجات يقرأنَ الفاتحة على قبور أزواجهنَّ (النساء)، والأزواج

يقرأون الفاتحة على قبور زوجاتهنَّ (الرجال)!

موقع «أساس ميديا»، 16 آذار 2021

هل ينظر بشار في عيون مؤيِّديه؟

قبل ثماني سنوات، قام الشيخ معاذ الخطيب، الذي كان يومذاك رئيساً لـ«الائتلاف الوطني»، بالتوجُّه مباشرةً إلى بشار الأسد ليقول له: «انظرْ في عيون أطفالك وحاول أن تجد حلاً» (قناة «الجزيرة»، 4 شباط 2013).

بالطبع، مثل هذه الدعوة تستبطن نيَّةً حسنةً تفيد بأن المخاطَب -بفتح الطاء- لديه مشاعر طبيعية وحسٌّ إنسانيٌّ وعاطفة أبويَّة ربما تدفعه، بعد النظر في عيون أطفاله، للتنازل قليلاً والقبول بالتسوية التي ستنقذ حياة ملايين الأطفال السوريين.

لكنَّ أطفال بشار يومذاك كانوا ينعمون بحياة الرفاهية، وكانت زوجته تتسوَّق من أفخم المتاجر الأوروبية أفخرَ الأحذية والملابس وتخطِّط لتغيير أثاث قصرها.

وإذا ما تخيَّلنا بأن بشار الأسد فعلاً استجاب إلى طلب معاذ الخطيب ونظر في عيون أطفاله (السعداء)، فإنَّ شيئاً لن يتغيَّر في

موقفه، ما دام الذين يعنونه هم أطفاله هوَ، وليس أطفال الآخرين.

إنَّ العقد الذي اكتمل هذه الأيَّام من عمر المذبحة السوريَّة، أثبتَ، وبما لا يدع مجالاً للشكِّ، بأنَّ الأسد ليس إنساناً سويَّاً وطبيعيَّاً لكي تراوده مشاعر الخجل جرَّاء ما ارتكبه من جرائم وضعها العالم، وعلى قدم المساواة، مع الجرائم التي ارتكبها النازيون.

ما اختلف الآن هو أنَّ هذه المذبحة الكبرى بحقِّ المعارضين بدأت تتفرَّع إلى مجاعة كبرى بحقِّ المؤيِّدين.

المحكُّ الجديدُ الذي وُضِعَ عليه بشار الأسد، هذه المرَّة، ليس مأساة معارضيه، بل مأساة مواليه. شتَّى النعوت التي أطلقها على أعدائه لتبرير مأساتهم، لا يمكنه استعمال أيٍّ منها لتبرير مأساة جمهوره.

وهكذا، فإنَّ الذين تُمتَحَن عَبْرهم «إنسانية» بشار قد تبدَّلوا. فاختبار «الإنسانية» يجري، خلافاً لما مضى، من خلال حال المؤيِّدين الذين قدَّموا أولادهم من أجل بقائه، وليس من خلال حال المعارضين الذين قاتلوا في سبيل إسقاطه.

لقد أكَّدت تقارير عديدة بأنَّ دخل السوريين المقيمين في المناطق التي يحكمها تنظيم إرهابي مثل «جبهة تحرير الشام» بقيادة الجولاني، أكبر من دخل السوريين الذين يعيشون في المناطق التي يحكمها النظام

بقيادة بشار. ناهيك عن دخل السوريين الذين يقيمون في المناطق السورية الواقعة تحت النفوذ التركي والذي يبلغ خمسة أضعاف!

حالات انتحار الشباب في مناطق الأسد سجَّلت معدَّلات قياسية.

وبلسان فنَّانين مؤيِّدين للأسد جرى الاعتراف بأنَّ بعض الآباء باتوا يقفون على الأرصفة عارضين أبناءَهم للبيع بسبب انعدام قدرتهم على إطعامهم (الممثِّلة هدى شعراوي في مقابلة مدوِّية مع إذاعة «المدينة» الموالية بتاريخ 23 شباط 2021).

لذلك، فدعوة معاذ الخطيب، قبل ثماني سنوات، والتي حقَّقت ما يشبه الإجماع على انعدام معناها وجدواها، بات يمكن لها أن تكون ذات معنى وجدوى، هذه الأيَّام، من خلال تحويرها لتصبح: «انظر في عيون مؤيِّديك».

هل يخجل بشار؟ الأكيد لا.

والأكيد أنَّ تمارضه الأخير، هو وزوجته أسماء بفيروس «كورونا»، جاء لتبرير تواريه عن الأنظار وتجاهله لمناشدات جمهوره الذي بات يطالبه فعلاً بأن ينظر في عيونه!

موقع «أساس ميديا»، **19** آذار **2021**

«تيس البوكمال»
وتمارُض بشار

سنة 1986. كانت الحرب العراقية - الإيرانية في أوجها، وكان نظام حافظ الأسد قد انتظم فيها، جهاراً نهاراً، ضمن الصفّ الإيراني.

فجأةً، حدثت «معجزة» في بلدةٍ سوريَّةٍ تقع على الحدود العراقية!

كانت البوكمال آنذاك بلدةً ذات هوىً عراقيٍّ صريحٍ، وقد أحبَّ أهلُها صدَّام حسين وتفاعلوا مع حربه وكأنهم جزءٌ من العراق. وعموماً كان هذا الحالُ حالَ الكثيرين من سكَّان محافظة دير الزور التي تتبع لها بلدة البوكمال.

ولكنَّ موقع البلدة المتداخل مع جغرافيا العراق، وعلاقاتها الاجتماعية القوية جداً مع الجوار العراقيّ، جعلا البوكمال المكان السوريّ الأكثر تجسيداً لهذا الهوى العراقيّ، حتى أصبحت موضع قلق وتوجُّس دائمَيْن لدى استخبارات الأسد الأب.

«المعجزة» التي ظهرت، سنتذاك، في البوكمال كانت عبارة عن تيسٍ يحلبُ (وهي ظاهرة نادرة سببُها خللٌ هرمونيٌّ).

من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، انشغلت سوريا بأخبار هذا التيس الذي قيل إنَّ لحليبه خصائصَ سحريةً تجعله يشفي من الأمراض ويعالج العقم ويجلب الرزق للتجَّار!

ومن كلِّ حدبٍ وصوبٍ جاءت الباصات مُقلَّةً الزائرين. حتى أنَّ البوكمال، التي لم يكن فيها يومذاك أيُّ فندق، ازدهرت بالفنادق. آلاف، إن لم يكن عشرات الآلاف، من الناس توافدوا إليها لشراء بضع قطرات من حليب هذا التيس العجيب!

وتناسى إعلام الأسد كلَّ شعارات التقدُّمية ومحاربة الجهل والتخلُّف، وراح يغطِّي أخبار التيس، عبر الراديو والتلفزيون والصحف، شاغلاً السوريين بمعجزات حليبه وبطول قرونه وضخامة أثدائه!

وانشغل أهل البوكمال وعموم أهالي المنطقة الشرقية بالحدث العجائبي الذي حوَّل منطقتهم إلى وجهةٍ سياحيةٍ... وضاعت أخبار الحرب العراقية - الإيرانية بين أثداء ذلك التيس.

***

مناسبة سرد هذه الحكاية، طبعاً، هو خبر تمارُض بشار الأسد

وزوجته بفيروس «كورونا».

فالإعلان الرسمي عن خبر المرض، اقتصرتْ قراءته شعبياً على ناحية المغزى والهدف. وذلك، ببساطةٍ، لأنَّ أحداً لم يُصدِّق الخبر. فالجميع ما يزال يذكر بأنَّ أسماء الأسد نجحت بإدخال النسخة الأحدث من «آيفون» (آيفون 12) إلى السوق السورية قبل طرحها في السوق الأميركية نفسها! فهل هي عاجزة حقَّاً عن إدخال لقاح «فايزر» أو «موديرنا» لها ولزوجها؟

لقد اعتقد الأسد بأنَّ حيلة إلهاء الشعب بقضايا هامشية، صالحةٌ في كلِّ زمان ومكان. وبأنَّ خبر مرضه يمكن أن يصرف أنظار أنصاره عن مسؤوليته الشخصية عمَّا وصلوا إليه من بؤسٍ معيشيٍّ.

لكنَّ الفرق هنا، بين حكاية تيس البوكمال الذي يحلب، وحكاية الرئيس الذي يُصاب بـ«كورونا»، هو فرق جوهري، ما دامت القضية التي يُراد إلهاء الشعب عنها لا تجري في بلدٍ مجاور بل تجري في سوريا نفسها. بل إنها تجري في جسد السوري نفسه؛ في معدته الفارغة وعلى جلده المرتعش برداً.

بعد انتهاء مدَّة الحجر، خرج بشار الأسد إلى الإعلام معلناً انتصاره على المرض، في ظلِّ غياب شبه تامّ لتفاعل حاضنته الشعبية مع خبر «الشفاء» الذي لا يبدو بأنه عديم الصلة بخرافة الشفاء التي

نُسبتْ، في الثمانينيات، لحليب تيس البوكمال.

موقع «أساس ميديا»، 11 نيسان 2021

بوتوكس وكيماوي: التجمُّل في وسط الدمار!

في المكان الذي ارتكب فيه مجزرتَه الكيماوية الشهيرة، صوَّتَ بشار الأسد لنفسه.

من بين جميع الأماكن والمدن السورية، اختار بشار مدينة دوما، كبرى مدن الغوطة الشرقية، التي قتلَ من أبنائها عشرات الآلاف، ليُسقط فيها ورقةً كُتِبَ عليها اسمه، ضمن «انتخابات رئاسية» لم تحتجْ إلى عملية فرز لمعرفة نتائجها.

بمنطق الحروب الوحشية، يبدو هذا الاختيار أقرب إلى فعل التمثيل والتنكيل بالجثث: التمثيل بجثَّة مدينة مقتولة.

فإذا كان من رسائل لاختيار المكان، فرسالة الانتقام أولاً وثانياً، تليها رسالة الإفلات من المحاسبة والقصاص.

إنَّ الورقة التي أسقطها بشار الأسد في «صندوق الانتخاب» بدوما كُتِبَ عليها أكثر بكثيرٍ من اسمه واسمَيْ مرشَّحَي الكومبارس اللذين اختارهما اللواء عليٍّ مملوك للعب هذا الدور. لقد كُتِبَ

عليها أنَّ أحداً في الدنيا لن يستطيع محاسبته، بعد اليوم، على المجازر التي ارتكبها.

النتيجة التي انتظرها بشار الأسد من الانتخابات ليست إعلان فوزه المحتوم فيها، بل إعلان إفلاته من العقاب.

واختياره لمكان الجريمة هو أشبه بتقديم الدليل على هذا «الفوز».

ومثلما أثبتت الصور والوقائع، فقد خطَّط بشار الأسد وحضَّر جيّداً لهذا اليوم. حتى أنه اضطرَّ إلى إعلان إصابته بـ«فايروس كورونا» قبل أسابيع، ليتسنَّى له استغلال فترة الحجْر والغياب من أجل القيام ببعض الأعمال التجميلية، حيث ظهرت بشكل جلي نتائج حُقن البوتوكس والفيلر على وجهه، إضافة إلى عمليات نفخ مبالغ فيها لصدره الممسوح مسحاً، إلى درجة أن الصور الجديدة أظهرت صعوبة إغلاق جاكيت البدلة بعد تلك العمليات! (اعتقد الغالبية منَّا بأنَّ إعلان الإصابة بالفايروس كان عملية هروب من مواجهة الانهيار المعيشي في البلاد، واستجرار مشاعر التعاطف من الحاضنة الشعبية، ولم يخطر في بالنا بأنها إجازة للتجميل!).

إنَّ التجمُّل وسط كلِّ هذا الدمار، يختصر جوهر الجهود التي يحاول نظام الأسد القيام بها بعد توقُّف الحرب، لترسيخ صورة

«المنتصر» على ضحاياه.

وما فعله، على سبيل التهكُّم والسخرية، رسَّامو الكاريكاتور وفنَّانو الغرافيك حين جعلوا المدن السورية المدمَّرة خلفيةً لبشار وزوجته من أجل التقاط الصور، يقوم به النظام، عامداً متعمِّداً، وبكامل الجدِّية.

ولذلك يمكن فهم اللقاء الرمزي الأخير بين حقنة البوتوكس وصاروخ الكيماوي على أرض دوما، باعتباره ترسيخاً لصورة الفوز على الضحايا، والتي تستدعي -وفق منطق النظام- الكثير الكثير من التجمُّل!

موقع «أساس ميديا»، 1 حزيران 2021

الجنازة الصغيرة

بالنسبة إلى كثيرٍ من السوريين، ما كان أشدّ ألماً من خبر رحيل المفكِّر السوري طيِّب تيزيني هو صورةُ جنازته الصغيرة.

***

منذ وصوله إلى السلطة، تعاملَ حافظ الأسد مع جنازات بعض الشخصيات وكأنها نشاطٌ سياسيٌّ، بمعنى أنه لا بدَّ من ضبطها وتقييدها بحيث لا يُسمَح لها بأن تحمل أيَّ تعبيرٍ يتجاوز البُعد الاجتماعي الطبيعي إلى الحيِّز السياسي.

الجنازات الكبيرة المسموح بها هي الجنازات الاجتماعية، أي تلك التي يكون المتوفَّى فيها كبيرَ عائلةٍ أو شيخَ عشيرةٍ أو وجيهَ قريةٍ أو أحد الأثرياء والمتموِّلين أو رجل دين لم يخرج، قيدَ أُنملةٍ، عن توصيات المؤسَّسة الدينية الممسوكة بإحكام من قبل المؤسَّسة الأمنية (سبق أن نبَّهتُ إلى مفارقة أنَّ المؤسَّستين الوحيدتين اللتين لم تشهدا حالات انشقاق نوعيَّة أثناء الثورة في سوريا هما المؤسَّستان الأمنية والدينية).

الجنازة الأشهر التي تعدَّتْ بُعدها الاجتماعي إلى بُعدٍ سياسي جاوزَ سوريا إلى العالم العربي، ولم يستطع نظام الأسد تقييدها، كانت جنازة القائد العامّ لـ«الثورة السورية الكبرى» سلطان الأطرش سنة 1982، والتي لامسَ عدد المشاركين فيها سقف النصف مليون إنسان، توافدوا من مختلف المناطق السورية والعديد من البلدان العربية. ومن نافل القول أنَّ تاريخ الأطرش ومكانته الوطنية، إضافة إلى العصبية العشائرية التي تعضد تلك المكانة... ذلك كلّه منع النظام من التحكُّم بسير الجنازة، وبالتالي محدوديَّة قدرته على تحجيمها.

في جنازة شاعر دمشق نزار قباني سنة 1998، والتي بدا فيها واضحاً حجم الانتشار الأمنيّ، كان ثمَّة طابع احتجاج سياسيّ صامت. فالمصالحة التي أجراها الشاعر، في سنواته الأخيرة، مع نظام الأسد ليضمن عبرها وجود قبره في دمشق، لا في لندن، لم تستطع أن تحجب حقيقة أن نزار قبَّاني هو أفضل من عبَّر عن الرأي السلبيّ للمشاركين في الجنازة بالأنظمة العربية عموماً، ونظام الأسد على وجه التحديد.

وقبل جنازة قبَّاني بثماني سنوات، كانت جنازة الشاعر عمر أبو ريشة سنة 1990، والذي كان قد هجا حافظ الأسد بالاسم

ناعتاً إيَّاه بأقذع الأوصاف (بينها وصف «الخسيس») في قصيدةٍ شهيرةٍ كتبها إثر مجزرة حماة سنة 1982. وعلى الرغم من ذلك لم يستطع حافظ الأسد منع إقامة الجنازة، بسبب المكانة المرموقة التي احتلَّها الشاعر، واكتفى بالتضييق على حفلَي التأبين اللذين أُقيما للشاعر في حلب ودمشق.

جنازة الشيخ (الكُردي) محمد معشوق الخزنوي، الذي تُشير جميع الأدلَّة إلى وقوف نظام بشار الأسد خلف خطفه وقتله سنة 2005، كانت سياسيةً بامتياز. فالآلاف من أبناء الحسكة الذين ساروا في الجنازة لم يكن بينهم من كان مقتنعاً بالرواية الملفَّقة والهزيلة التي قدَّمتها وزارة داخلية النظام، والتي حاولت حصر الجريمة في زاوية جنائية بحتة.

***

لو قُدِّرَ لطيِّب تيزيني أن يرحل قبل تاريخ 2011، سنة انطلاق الثورة في سوريا، فلا بدَّ أن كثراً كانوا قد مشوا في جنازته، لما له من إسهامٍ لا يُنكر في حقل التنوير المعرفيّ بسوريا. لكنَّ أغلب هؤلاء هم حالياً خارج البلاد، مطاردون ولاجئون، بل إنَّ العديد منهم قضى نحبه وأُقيمت له جنازة أكثر تواضعاً من جنازة تيزيني.

ناهيك عن أن مدينة حمص؛ مسقط رأس الراحل، قد هُجِّرَ

القسم الأكبر من أهلها.

وإذا كانت قيمةُ الأشخاص في مجتمعاتنا غالباً ما تُقاس بحجم جنازاتهم، فإنَّ في الجنازة الصغيرة لطيِّب تيزيني استثناءً جعلها -في ضوء موقفه المعارض لنظام الاستبداد وموقفه المضادّ للخطاب الدينيِّ في الثورة- أشبه بوسامٍ أخيرٍ ومستحقّ.

موقع «زمان الوصل»، **20** أيَّار **2019**

هزيمة الملعب
وهزيمة المدرَّجات

في مشهدٍ، لا أحسب أنَّ له نُسَخاً كثيرةً في تاريخ الشعوب، يُشجِّع ملايين السوريين ضدَّ الفريق السوري لكرة القدم. يُشجِّعون جميع الفرق التي تلعب ضدَّه. ويبتهجون لخسارته.

وقد بلغت «المفارقة» أقصاها في مباراة سوريا والأردن، قبل أيَّام، حين راح بعض السوريين يُصوِّرون أنفسهم وهم يُشجِّعون فريق الأردن ويرقصون لفوزه على فريق بلادهم الذي صنعوا له هاشتاغاً خاصاً بعنوان «فريق البراميل».

لكنَّ هذه «المفارقة» تغدو أمراً «طبيعياً» حالما يطَّلع أيُّ إنسان على أيِّ جزءٍ -مهما كان صغيراً- من أجزاء المأساة السورية. حالما يعرف بأنَّ الفريق الذي يحمل عَلَم بلادهم هو في حقيقة الأمر ليس سوى جزءٍ من الماكينة الإعلامية لإعادة إنتاج صورة النظام الدمويِّ الذي صنع مأساتهم. حالما يعرف بأنَّ الكرة التي تتهادى بين أرجل اللاعبين ليست سوى الرأس المقطوع لمستقبلهم.

بين لاعبي الفريق نجومٌ هلَّلَ لهم سوريُّو الثورة حينما أعلنوا موقفاً أخلاقياً -اتَّضح بأنه كان انتهازياً- سرعان ما تراجعوا عنه بعد انقلاب الميزان العسكري.

اللاعبون العائدون إلى «حضن الوطن» (وهو التعبيرُ الرسميُّ الذي اختاره إعلام النظام عنواناً لعودة المعارضين التائبين)، والذين أقسمَ أحدهم ألَّا يلعب في فريق سوريا إلَّا بعد تحرُّرها من الاستبداد، لم يعودوا للعب فحسب، ولم يشتموا الثورة فحسب، بل قدَّموا قمصانهم وصدورهم لتكون أوتوغرافات يُوقِّع عليها بشار الأسد!

لاعب مثل عمر السومة، ابن مدينة دير الزور، كان يتراءى لأبناء مدينته وهو يركل الكرة وكأنه كان يركل حجراً من حجارة بيوتها المهدَّمة.

لاعب مثل فراس الخطيب، ابن مدينة حمص، كان يتراءى لأبناء مدينته وهو يركل الكرة وكأنه كان يركل جرحاً من جراحهم وقهرهم وتهجيرهم.

***

لا يمكن تصوُّر المرارة التي ذاقها إنسانٌ لكي يتمنَّى الهزيمة لفريق بلاده.

نحن الجيل الذي عاش حلماً قصيراً بإمكانية تأهُّل سوريا إلى مونديال 1986، سنحمل في ذاكرتنا، إلى القبر، لحظات فرحنا العارم بهدف منتخبنا في مرمى البحرين، ولحظات حزننا العارم، بعد ذلك، بهزيمة منتخبنا أمام العراق.

نحن الذين ألصقنا صور اللاعبين على زجاج الفاترينات في بيوتنا، ما الذي أوصلنا إلى هنا؟ ما الذي أوصل السوري إلى تمنِّي الهزيمة لمنتخبٍ كان يُصلِّي من أجل انتصاره؟

إنه الاستبداد ولا شيء سواه. إنه الجواب الشامل لكلِّ أسئلة المأساة السورية. إنه مركبنا للوصول إلى الحضيض، ومركبنا للوصول إلى ما نحن عليه: سوريون مهزومون على المدرَّجات... يشمتون بسوريين مهزومين على أرض الملعب.

موقع «زمان الوصل»، **14** كانون الثاني **2019**

المحتويات

مفاتيح

مفاتيح

صدر للمؤلِّف

في الشعر:

- الرسَّام (1999)
- ملحق الشعراء السرِّي (2001)
- قصيدة فاطمة (2004)
- العروس (2007)
- تمثال امرأة تتجرَّع السمّ (2008)
- حصاة في كُليتي اليسرى (2013)
- السوريون شجر (2017)
- قبورٌ صغيرة (2021)
- أطفال تأخَّروا عن موعد النوم (2021)

في السرد:

- لحظة وفاة الدكتاتور (2011)

في النقد الأدبي:

- محاكمة الشِّعر (2021)

في الثقافة:

- فضائح الآخرين (2021)
- المثقَّف القديم (2021)
- عند تقاطُعِ الفنِّ والسياسة (2021)

في السياسة:

- حكُّ الصدأ (2017)
- مفاتيح (2021)
- مواكبات فكرية للثورة (2021)
- الجانب الصامت من المأساة (2021)

في الفلسفة:

- حقائق من نوع خاصّ (قيد النشر)

منشورات ماهر شرف الدين

من الكتاب

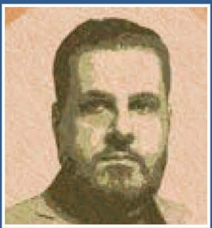
من سرطان حافظ الأسد إلى سرطان أسماء الأسد، تغيَّر الأسلوب فقط.

كان سرطان الدم الذي أُصيب به حافظ الأسد أحد الأسرار الكبرى للنظام التي تمَّ التكتُّم عليها. شرخٌ كبيرٌ يُراد إخفاؤه بأيِّ شكلٍ من الأشكال في الصورة العملاقة للرجل الذي ادَّعى بأنه سيبقى «قائداً إلى الأبد». كان «الأبد» أحد أكثر أدوات الإرهاب النفسيّ فاعليةً للبقاء في الحكم، ولا يجوز لهذا «الأبد» أن يكون مريضاً.

لقد فهمَ «الأبد» المريض منذ سنة 1983 (تاريخ تشخيص المرض إثر إصابة حافظ الأسد بنوبة قلبية) بأنَّ دكتاتوراً صعد إلى سدَّة الحكم بالعنف، لا يمكن لـ«الصورة الإنسانية» أن تخدم بقاءَه...

في شهر آب 2018 أُعلنَ بشكلٍ رسميٍّ، وعبر مواقع وصفحات رسمية حكومية، إصابة أسماء الأسد بسرطان الثدي.

مَنْ فكَّر بالأسلوب القديم للنظام، أدهشه صدور هذا الإعلان!



شاعر وكاتب سوري من مواليد 1977. كتبَ في السيرة والنقد الأدبي والفلسفة والتاريخ والسياسة.

ISBN: 978-0-9995375-3-4